في علم مقارنة الأديان

# الأرواح وحياة القبور

## بين المسلمين وأهل الكتاب

د. أحمد حجازي السقا

مكتبة النافذة

# الأرواح
# وحياة القبور

د . أحمد حجازى السقا
أستاذ مقارنة الأديان - جامعة الأزهر

مكتبة النافذة

# الأرواح وحياة القبور

## د. أحمد حجازى السقا

الطبعة الأولى / ٢٠٠٦

رقم الإيداع ٢٠٧٦٥/ ٢٠٠٥



الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٢

Email : alnafezah@hotmail.com



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فهذا كتابنا، في نفى الروح المفارقة، وبيان: أن الإنسان خلق من مخلوقات الله، يوجده من العدم، ويميته. ثم يبعثه فى يوم القيامة؛ ليحاسبه على أعماله. وأن الله وحده هو الذى يتوفى الإنسان إذا دنا أجله فى الحال. أى يميته. وهو نفسه الذى يتوفى الإنسان إذا دنا أجله فى المستقبل. أى ليس من إله غيره.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الزمر: ٤٢-٤٤).



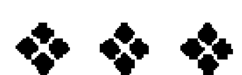
وأنت أيها الرجل. إذا جلست على كرسى، ورأتك امرأة؛ فإنها ترى جسمًا حيا متحركًا. له رأس. به عينان. وأذنان، وأنف، وفم فيه أسنان، ولسان.

**ويقول جمهور العلماء:** إن فى جسمك روحًا منفصلة عن جسدك لها رأس، به عينان، وأذنان، وأنف وفم فيه أسنان، ولسان. وهذه الروح تفارقك حين الموت، وتشاهدك وأنت تغسل وتكفن، وتقترب من كفنك، وتدخل فيه. فإذا صرت فى القبر وحيدًا، خرجت هذه الروح من الكفن، وحلت فى جسدك، وأقعدتك، وهيأتك لسؤال منكر ونكير. وإذا كنت مستحقًا للنعيم، تنعمت معك، وإذا كنت مستحقًا للعذاب، تعذبت معك.

فأنت أيها الرجل - على رأى الجمهور - لك جسد، ولك روح تتنفس بها، وتمشى بها، وتتحرك. ولك أيضا روح مفارقة تفكر بها وتعقل. وإذا جاءك شيطان وأراد أن يصرعك، فإنه يلبس جسدك. فيكون جسدك فيه:

١- روح التنفس، ٢- والروح المفارقة الناطقة، ٣- والشيطان الذى هو روح. وإذا كنت صالحًا ونزل ملاك من عند الله ليقوى قلبك. فإن جسدك يكون متلبسًا به، مع روح التنفس والروح المفارقة. فالجسد على رأى الجمهور - يكون بأرواح ثلاثة. فاعلم هذا.

ثم اعلم: أن الروح المفارقة التى تلف وتدرج فى الكفن لها أسماء كثيرة هى: الروح المفارقة - النفس الناطقة - الروح - الإنسان.

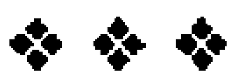


**ويقول جمهور علماء الحديث من أهل السنة والشيعة الإمامية:**

إن الروح المفارقة: جسم مادى محسوس. له عينان وأذنان وأعضاء كأعضاء الجسد، سواء بسواء.



**ويقول كثيرون من علماء علم التوحيد:** إن الروح المفارقة: روح مجرد عن الجسمية.



**ويستدل الجميع على الروح المفارقة** بأدلة من القرآن والسنة. وهم متفقون على الأدلة، ومختلفون فى تفسيرها، ومختلفون فى حقيقة النفس. هل هى جسم أم روح؟ وما قاله العلماء عن أنها مستقلة بذاتها، عن الجسد. قال به بعض فلاسفة اليونان. ويقول به النصارى كلهم، وجمهور علماء بنى إسرائيل.

وأدلة القرآن التى استدلوا بها، هى أدلة متشابهة. إذا رددتها أنت إلى محكمها، لم تكن حجة لهم. فهم يستدلون - على سبيل المثال - بقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(١) على أن الخطاب لنفس فارقت جسدها، حال دخولها فى القبر، لتعذب فيه أو لتنعم فيه. وكلمة «النفس» هاهنا لاتدل على روح مفارقة. فقد جاءت كلمة النفس فى الآيات المحكمة للجسد وروح تنفسه. مثل: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾(٢) والسلام لا يكون على نفس بلا جسد.

وقد بين القرآن: أن الإعادة فى الآخرة، تكون كالنشأة الأولى. وذلك فى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(٣) فالعود مثل البدء. فكيف كان البدء؟ هذا هو مفتاح البحث عن الجسد والروح. وقد اتفق القرآن والعلم الحديث على الإجابة على كيفية البدء. فقد قال

---

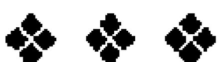
(١) الفجر: ٢٧- ٣٠. (٢) النور: ٦١. (٣) الأعراف: ٢٩.

تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾(١).

فآدم عليه السلام خلقه الله تعالى من طين الأرض، وجعل له زوجة من جنسه. وقد أكل آدم وزوجه من نبات الأرض، فتكون ﴿مني يمنى﴾(١) فى رحم المرأة. وصار هذا المنى، نطفة وعلقة ومضغة وعظامًا ولحمًا ودمًا. وعلى هذا الذى هو واضح من القرآن، لم تكن أرواح مخلوقة قبل أجسادها. فالمنى فيه حيوانات كثيرة حية، وحيوان واحد منها حى، هو الذى لقح بويضة الأنثى. وهذا ما يقوله العلم الحديث اليوم. وهذا هو بدء الإنسان. والإعادة كالبدء.



وفى هذا الكتاب. سنعرض الآراء بأدلتها وسنناقش الأدلة مناقشة جادة هادفة، وسنبين الرأى الصواب. مع علمنا بأن العقول متفاوتة فى الفهم وفى العلم، ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير * ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾(٢).



وسبب تأليف هذا الكتاب: هو أن جماعة من الناس شاهدوا ميتًا فى ثلاجة مستشفى. وتذكروا القبر وما فيه من أهوال. وفكروا فى الميت الموضوع فى الثلاجة. كيف يسأله الملكان؟ وكيف يعذب أو ينعم؟ وإذا كان للميت روح ترفرف على قبره، وترد السلام على زواره، وتلف فى كفنه وتدرج. فأين مكانها فى ثلاجة المستشفى؟ بل لو تكسرت أعضاء ميت على مشرحة الطبيب الشرعى. فأين موضع الروح من الأعضاء التالفة؟

وقد سألوا نصرانيًا كان بينهم عن اعتقاده فى هذا الأمر. وأجابهم بأن ما يعرفه: هو إن الميت إذا كان مؤمنا حقًا؛ فإن روحه تنفصل عنه بعد الموت مباشرة وتتجه إلى حيث يقيم «المسيح» لتسعد معه فى الفردوس. والجسد يبقى فى القبر إلى يوم دينونة الخلائق.

---

(١) المؤمنون: ١٢-١٦. (٢) القيامة: ٣٧.

(٣) الممتحنة: ٤-٥ واعلم أن كلمة ﴿فتنة﴾ فى الآية عبر عنها عيسى عليه السلام للحواريين بأنهم يدعون الله ويقولون له: «لا تدخلنا فى تجربة» (متى ٦:١٣).

وسعادته مع المسيح هى سعادة جزئية. أما السعادة الكاملة؛ فإنها تكون بعد قيام جميع الناس من الموت فى يوم الدينونة. وكذلك تكون حالة الأشرار. تذهب الروح إلى عذاب جزئى. وفى القيامة تكون فى عذاب كامل.

ويستدل أهل الكتاب على انفصال الروح عن الجسد، بآيات متشابهة. منها: «فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله، الذى أعطاها».

وهؤلاء الذين شاهدوا الميت فى الثلاجة، خطر فى بالهم أن يسألونى ويسألوا غيرى عن عذاب القبر ونعيمه. وأنا أعلم: أنه لا يوجد فى الإنسان روح منفصلة عن جسده. فالله خلق الجسد بجلد وعظام ولحم وتركيب مخصوص. صار به تفكير وعقل ونطق ونسيان وتذكر وغم وحزن وسرور وفرح. كل ذلك من التركيب المخصوص الذى ركب الله الجسد عليه، من حين النشأة الأولى فى البطن إلى حين الموت. وأن هذا الجسد يوجده الله على هيئته هذه، ويعدمه على هيئته هذه، ويبعثه على هيئته هذه، فى يوم الدين، وليس من روح مفصولة عن جسد؛ حتى يقال بعذاب لها فى القبر، أو نعيم، وليس من جسد يبقى على حاله فى تراب الأرض، حتى يقال بعذاب له أو نعيم.

ولما سألنى هؤلاء المشاهدون لجثة الميت فى الثلاجة عن روح الميت التى تلف فى الكفن مع الجسد. أين موضعها من الثلاجة؟ هل هى هائمة عليها، أم فيها، أم هى فوقها؟ وهل يسأل الميت الآن، أم لا يسأل؟ وأخبرونى بكلام النصرانى الذى كان معهم. أجبتهم: بأن العلم يبين بأنه ليس من روح للمرء زائدة على جسده وروح تنفسه. وروح التنفس، لا يصح أن نسميها بروح التنفس؛ لأنها من خصائص الجسد. وإن هذا الموضوع سأعيد النظر فيه. ولا أقدر على الكلام معكم فيه الآن، إلا إذا كنتم تريدون الكلام المشهور. وأنتم تعرفونه.

وبدأت فى البحث والتحرى عن «الروح» وهذا هو السبب المباشر لتأليف هذا الكتاب.

وقد قسمته إلى الفصول التالية:

الفصل الأول: فى الروح بين أهل الحديث وعلماء الكلام.

والفصل الثانى: فى الروح التى تلف وتدرج فى الكفن.

والفصل الثال: فى فناء الأرواح.

والفصل الرابع: فى الصلة بين البعث الروحى، وملكوت السموات عند النصارى.

والفصل الخامس: فى المعاد الجسمانى والروحانى.

والفصل السادس: فى النيابة فى الأعمال.

والفصل السابع: فى الروح القدس.

والفصل الثامن: فى الأرواح العالية والسافلة.

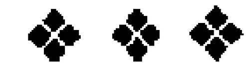
والفصل التاسع: فى بيان الأخرويات عند أهل الكتاب.

والفصل العاشر: فى الهيئة الآدمية للجن والملائكة.

وقد كررنا التعبير عن بعض المعانى، لربط المعلومات بعضها ببعض ولزيادة بيان.

وقد أثر عن ابن عباس -رضى الله عنهما- آراء فى «الروح» المسئول عنها فى سورة الإسراء. وتبين لنا: صواب رأى من الآراء المأثورة عنه. فذكرناه فى الفصل السابع. وشرحناه بما فيه الكفاية. وهو: «روى عبد الغنى بن سعيد، حدثنا موسى بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس. وعن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس. فى قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الرُّوحِ﴾ وذلك أن قريشًا اجتمعت. فقال بعضهم لبعض: والله ما كان محمد يكذب ولقد نشأ فينا بالصدق والأمانة؛ فأرسلوا جماعة إلى اليهود، فاسألوهم عنه - وكانوا مستبشرين به، ويكثرون ذكره، ويدعون نبوته، ويرجون نصرته، موقنين بأنه سيهاجر إليهم، ويكونون له أنصارًا - فسألوهم عنه. فقالت لهم اليهود: سلوه عن ثلاث: سلوه عن الروح. وذلك أنه ليس فى التوراة قصته ولا تفسيره؛ إلا ذكر اسم عن الروح. فأنزل الله تعالى: ﴿ويسألونك عنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء: ٨٥) يريد: من خلق ربى -عز وجل- فالروح المسئول عنه: هو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا الرأى فى المسألة السابعة عشر من كتاب الروح لابن قيم الجوزية(١).

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين.



(١) فى سفر إشعياء: «هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سرت به نفسى، وضعت روحى عليه؛ فيخرج الحق للأمم...» وجاء هذا النص فى حديث نبوى مروى عن كعب الأحبار. (إشعياء ٤٢) فى صفة رسول الله فى التوراة.

## الفصل الأول

# الروح
# بين
# أهل الحديث وعلماء الكلام

كان علماء بنى إسرائيل يقتلون الأنبياء بغير حق. ثم يبنون لهم المقابر المشيدة، ويزينونها بأحسن أنواع الزينات، ويقولون للناس: إن أرواحهم تسكن القبور، وتنظر إلى زوارها، وتقضى لهم حوائجهم، نيابة عن الله، ويضعون صناديق، ليضع الناس فيها نذورهم وقرابينهم.

وقد عاب عليهم عيسى ﷺ فعلهم، ووبخهم، وأهانهم، وسخر منهم. فقال: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين، وتقولون: لو كنا فى أيام آبائنا، لما شاركناهم فى دم الأنبياء. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم» (متى ٢٣: ٢٩-٣٢).

ومن قبلهم كان يعتقد المصريون القدماء ببقاء الأرواح من بعد فناء الأجساد. مع أن القرآن يبين أن يوسف ﷺ قال: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٣٧) والكافر بالآخرة، لا يعتقد بخلود الأرواح؛ لعلمه أن الدنيا هى حياته كلها(١).

وكان علماء بنى إسرائيل يخدعون الناس بمجيء الأرواح إلى أفنية القبور من عصر الخميس إلى صبح السبت، ثم تنصرف. وذلك لأن السبت مقدس عندهم ويحرم العمل فيه. ثم يروون الروايات المنامية عن تزاور الموتى، وانتفاعهم بالدعوات والصدقات. وذلك كله لينتفع القراء، والفقهاء، والعلماء بكثير مما تركه الميت. نكاية فى الميت وأهله؛ فإنهم حريصون على الحياة الدنيا وبخلاء، ولا يخرج من أيديهم شيء إلا بالحيل والخداع.

---

(١) إلا أن يراد: أنه لأصراره على الظلم مع معرفته بالله، ساواه بالكافر، إذ لو كان إيمان مع المعرفة، لما كان من ظلم. ولو كان اعتقاد بالبعث، وحساب فيه، من غير شفعاء. لما كان من ظلم.

وبنو إسرائيل يؤمنون بالله واليوم الآخر، وبنبوة موسى والنبيين من جنسهم من بعده، وبالتوراة أنها من عند الله تعالى. وقد وصفهم الله تعالى مع هذا الإيمان بالكفر. وذلك لأنهم لم يعملوا بحكم فقهى منصوص عليه فى التوراة. وهو الإيمان بالنبى الآمى الآتى على مثال موسى، والعمل بشريعته. وترك حكم من أحكام الله هو ظلم للنفس وكفر بالله.

وانتقل فعلهم إلى النصارى حذو النعل بالنعل. وأخذوا الأموال بصكوك الغفران.

وهذا نص صك من صكوك الغفران:

«ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية الاقداسة. وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى؛ أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها، وكذلك من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها، مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة – وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس بابا الكرسى الرسولى – وأمحو جميع أقذار الذنوب، وكل علامات الملامة، التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر(١). وأردك حديثًا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة، وأقرنك فى شركة القديسين، أردك ثانية إلى الطهارة والبر، اللذين كانا لك عند معموديتك، حتى أنه فى ساعة الموت، يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة. فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتى ساعتك الأخيرة، باسم الآب والابن وروح القدس» اهـ



وقالت الأمم الضالة – للغرض نفسه – بتناسخ الأرواح. أى حلول روح ميت فى جسد، سيخلقه الله فيما بعد. فالنصارى يعتقدون أن روح النبى إلياس عليه السلام – وهو قد كان قبل يحيى عليه السلام بنحو سبعمائة عام – حلت فى جسد يحيى. وفى إنجيل مرقس: أن عيسى ﷺ قال للحواريين: من أنا فى ظن الأميين من بنى إسرائيل؟ فأجابوه: بأن فريقا منهم يقول: إن فى جسدك روح إلياس، وفريقا يقول: روح نبى من الأنبياء القدماء، وفريقا يقول: روح يحيى بن زكريا (مرقس ٨: ٢٧-٣٠).

وادعت طوائف من الأمم: أن الميت إذا كان من شرار الخلق، فإن روحه تحل فى جسد حيوان محتقر، كالكلاب والخنازير. وذلك لتتألم كثيرا فى الحياة الدنيا. وبالغت طائفة البهائية فى طهارة رئيسها. بقولهم: إن روح الله قد حلت فيه، كما يبالغ النصارى فى أمر عيسى ﷺ سواء بسواء.

---

(١) المطهر أو البرزخ أو الأعراف هو عند النصارى مقر الأرواح الطيبة التى مات أصحابها قبل بعث المسيح، ومقر أرواح الأطفال الذين ماتوا من قبل أن يعمدوا، ومقر مرتكبى الخطايا من النصارى ويختار هؤلاء جميعًا فى المطهر مرحلة الم وعذاب قبل أن يدخلوا الجنة (الأسفار المقدسة ص ١٨).

وقد جاء فى الكتب الإسلامية: أن «جميل بثينة» الشاعر المشهور، كان يزعم: أن به روح النبى يونس عليه السلام. وأن طائفة قد فسرت قول الله تعالى ﴿**فى أى صورة ما شاء ركبك**﴾ أى يضع فى الجسد الذى سيخلق، أى روح، من أرواح السابقين. وقد رد الشيخ ابن حزم على هذه الطائفة ردا حسنا فى كتابه الفصل فى الملل والآراء والنحل. وقال: فى أى صورة من الصور الآدمية، ككونه قصيرا أو طويلا، أو أشقر أو أبيض أو أسود؛ ليتميز كل جنس مما خلقه الله عن غيره.



ومنشأ الاعتقاد فى تناسخ الأرواح: هو الشيطان، والرؤى المنامية. فإن المرء قد يحلم حلما ويرى فيه ما يرى من الصور والتخيلات. مثل أن يرى ميتا يظهر له ويتحدث معه، ويقول فى حديثه: روحى معك. أو أنا قويت روح فلان وشددت أزره. فيصحو من نومه. فيجد واقع الأحلام غير واقع اليقظة. وقد ينام «زيد» من الناس فى «حان» بالقاهرة، ويحلم أنه قد ذهب إلى الأسكندرية، وقابل فيها «المرسى أبو العباس» وجلس معه، وأكل وشرب. فيصحو من نومه فى «القاهرة» ويتذكر «الأسكندرية» وما رآه فيها فى حلم الليل. فإن كان من أهل العلم، فإنه يعتقد أنه رأى صورا وتخيلات. إذ من المستحيل أنه كان فى «الاسكندرية» بجسمه. وإذ من المستحيل أنه كان فيها بجسمه، فإنه من المستحيل عقلا أن يكون «المرسى أبو العباس» فيها بجسمه. وذلك لأنه بشر قد فنى جسده فى التراب كسائر البشر، ولأن الحالمين كلهم لو حلموا فى وقت واحد برؤيته، فإن الحلم ممكن، وغير الممكن هو أن يكون جسده الحقيقى مع الحالمين كلهم فى وقت واحد.

ويؤيد هذا: أن «زيدا» هذا، لو اضطجع فى حلم الليل مع امرأة. وأنزل منيه فيها، ورآه فى الحلم طوائف من أهل العدل. وأصبح، فقص ما رآه على الحكام والقضاة، واعترف وحلف بالأيمان المغلظة. فإنه لا يقدر أحد على إقامة الحد عليه. وذلك لعلمهم بأنه رأى صورا، وفعل ما فعل فى صور. فكذلك لو أسمعه «المرسى أبو العباس» كلاما حسنا أو قبيحا؛ فإنه لا يترتب على الحسن أو القبح أى أثر. وهب أنه قال له: إن أباك الذى مات. هو عليه دين. هو مائة دينار، للشيخ فلان. فهل إذا صحا من نومه، يأخذ مائة دينار، ويعطيها للشيخ؟ لو أفتى عالم بهذا. لما صحت فتواه. لأن الرؤى لا تثبت حقا، ولا تدفع باطلا. وذلك لأن الشريعة قد نصت على الكتابة، وعلى الإشهاد.

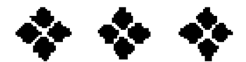
وفلاسفة اليونان كانوا يقولون فى الروح بغير علم. ولذلك اضطربت أقوالهم واختلفت وتناقضت، وظهر دين الإسلام والناس فى حيرة من أمر الروح. فاليهود والنصارى يضللون ويخدعون، ليأكلوا أموال الناس بالباطل، والفلاسفة يقولون رجمًا بالغيب. ولبس أهل الكتاب على الناس فى الفرق بين (أ) الروح القدس (ب) وروح الميت. ولم يبينوا الروح القدس على الحقيقة والمجاز.

أما الراسخون فى العلم من المسلمين، فإنهم عرفوا من القرآن ووضحوا وبينوا، وأما الذين دخلوا فى الإسلام من أهل الكتاب خداعًا ونفاقًا، فإنهم خدعوا الأميين من المسلمين بما خدعوا به الأميين منهم. واستغلوا مشاعر الحزن والهلع والجزع عند الموت، لتقوية خداعهم وضلالهم وشوشوا على آراء الراسخين فى العلم. وبفعلهم وقولهم، صار الناس فى لبس من أمر الأرواح. وخفى عليهم وجه الصواب.



وغالب ما فعله علماء الكلام فى أمر الأرواح: هو أنهم نقلوا فيها آراء الفلاسفة، والمليين، ووجهات نظرهم المختلفة، وأدلتهم من النقل والعقل. ومنها أدلة يقينية، وأدلة وردت بطريق الآحاد - الذى لا يصح أن يكون حجة فى العقائد الدينية، وفى فقه الشريعة أيضا - وفسروا آيات قرآنية متشابهة بدون الرجوع إلى المحكم.

واليوم لسنا فى حاجة إلى نقل آراء، بل فى حاجة إلى بيان الحق. ما هو؟



### أما عن الروح القدس:

فهو قد يطلق على جبريل عليه السلام. وذلك لقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (النحل: ١٠٢) والمسئول عنه فى القرآن هو محمد ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥) فإنهم يسألونك عن الروح القدس[١] وهو تعبير عند أهل الكتاب يطلق على المنتسب إلى الله، فى مقابل المنتسب إلى الشيطان. فيقولون: روح إلله للرجل الصالح، وروح الشيطان للرجل الفاسد. وقد نسب عيسى عليه السلام محمداً ﷺ إلى الله؛ ليؤمن به بنو إسرائيل إذا جاء، فقال: «وأما

(١) راجع فى هذا الموضوع كتاب إظهار الحق لرحمت الله الهندى.

المعزى[1] الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى، فهو يعلمكم كل شىء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» - «ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم، من الآب، روح الحق، الذى من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لى، وتشهدون أنتم أيضًا، لأنكم معى من الابتداء» «ومتى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية».

وقد بين الله تعالى: أن «محمدًا» من أمر الله، لا من أمر الشيطان الذى يضل العالم، وبين أنه تعالى أيد عيسى به. لأن اليهود قد شككوا الناس فى نبوته ودعوته. فأظهر الله تعالى للناس الحق فى أمره على لسان محمد ﷺ، فصار الحق فى عيسى مؤيدًا به. أى شهد محمد ﷺ بصدق عيسى فى دعواه. وذلك فى قوله تعالى: «وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس».

وفرق الله تعالى بين الروح الذى هو جبريل عليه السلام وبين الروح الذى هو الشيطان اللعين. فقال: إن جبريل ينزل من عند الله لهداية العالم، وإن الشيطان يتنزل على قلوب الفاسقين بالكلام الذى يضل العالم. وإن القرآن من جبريل، ولا يقدر الشيطان على المساس به. ففى سورة الشعراء: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ (الشعراء: ٢١٠-٢١٢) ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢١-٢٢٣).

وغرض اليهود والنصارى من السؤال عن الروح القدس: هو لماذا وعد الله به إذا كانت شريعة موسى منه، وليست من إله آخر؟ فإنه إذا كانت شريعة موسى من الله، فلماذا سينسخها هذا النبى الموعود به؟ فكأنهم يقولون: ويسألونك عن الروح. لماذا يأتى؟ وأجاب: بأن هذا قضاء الله فى خلقه. ولا راد لما قضى به. وإذا اجتهدتم فى البحث عن تعليل أحكام الله. ولماذا جعل هذا هكذا، ولم يجعله هكذا؟ فإنكم ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ من عيسى، نيابة عن الله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ويجب أن تسلموا بأحكام الله، وإن خفيت عليكم الحكمة فيها. فالله وحده أعلم بالمصالح.

---

(١) المعزّى - بضم الميم وتشديد الزاى مكسورة - هو ترجمة «باراكليت» ومعناها: المؤيد- بتشديد الياء مسكورة- أو المدافع أو المحامى... وهكذا وعيسى عليه السلام نطق «بيراكليت» - بكسر الباء- وترجمتها العربية: «أحمد» ووصفه بالروح القدس أى أحمد الآتى من الله لا من الشيطان. ثم لشهرة الوصف. صار النطق بالروح القدس يدل على «أحمد» ولو لم يذكر «أحمد» فى الكلام.

وقد قال شيخ الإسلام الإمام فخر الدين الرازى: إن المفسرين فى «الروح المسئول عنه أقوال: ١- الروح الذى هو سبب الحياة ٢- القرآن ٣- ملك من الملائكة ٤- أن المسئول عنه هو جبريل عليه السلام ٥- الروح خلق، ليسوا من الملائكة، على صورة بنى آدم.

وقال الشيخ ابن كثير الدمشقى فى تفسيره بمثل قوله.

وتعيين المراد لا يكون إلا من كتب أهل الكتاب. لأنهم يسألون عن شىء عندهم، لهم به علم. فإنهم لما سألوا عن الطواف الذى بلغ مشارق الأرض ومغاربها؛ سألوا عن رجل، له سيرة فى كتبهم. وهو الإسكندر الأكبر ذو القرنين. وهم يسألون عن شىء عندهم. لأن الإجابة إذا لم تكن على وفق ما عندهم؛ فإنهم يستشهدون بأهل العلم من الأمم على أن الإجابة غير متطابقة، وبالتالى لا يكون هذا القرآن من الله. والكلام عن ذى القرنين مذكور عندهم فى سفر دانيال. والكلام عن الروح القدس مذكور فى إنجيل يوحنا. والكلام عن أصحاب الكهف مذكور فى كتب الأساطير الذهبية عند النصارى.

والإسرائيليات فى كتب تفسير القرآن والحديث، المنقولة عن اليهود؛ موجودة بنصها فى كتاب كبير، طبعه اليهود باللغة الانجليزية، ورأيته فى كلية اللاهوت بمصر.

وشبيه بهذا الموضع: استبعادهم نسخ شريعة موسى على يد محمد ﷺ بقولهم: لماذا تنزل الخير على غيرنا ونحن قائمون بدينك؟ ورد عليهم بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٦) ثم حذر المسلمين من أهل الكتاب بقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ وعلل السبب بقوله: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: ١٠٩).

## هل الروح جسم أم روح؟

ومن عيوب أصحاب المذاهب: أنهم فى سبيل الانتصار للمذهب؛ ينقلون كلام خصومهم على وجهه، وعلى غير وجهه، ثم يهونون منه، ثم يرمون أصحاب الكلام من خصومهم بالضلال والزندقة والمروق عن الدين. وهذا لا يصح من أصحاب المذاهب، فأكثر مسائل العلم العقائدية والفقهية؛ فيها خلاف. وليس هذا فى دين الإسلام فحسب، بل فى كل نحلة وملة. وأذكر مثالا على ذلك: مسألة: هل الروح جسم أم جوهر روحانى مجرد عن الجسمية؟ فابن قيم الجوزية، وشيخ الإسلام فخر الدين الرازى. هما من أهل الحديث - أى هما على مذهب واحد - واختلفا فى الروح - وهما معًا تخالفهما فيما ذهبا إليه -

وقال ابن قيم عن شيخ الإسلام: «والمذهب الحق الذى دل عليه القرآن والسنة وأقوال الصحابة: لم يعرفه، ولم يذكره» وابن قيم قال فى الروح بما قال به شيخ الإسلام، ونقل كلامه، ونقل أدلته، وتعلم منه. وأوهم أنه قال قولا باطلا. وذلك فى قوله: «هو قول الخلق الذين عرف «الرازى» أقوالهم من أهل البدع، وغيرهم من المضلين» فهل هذا يصح من أصحاب المذاهب؟

وهذا هو نص الكلام:

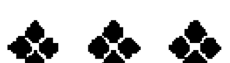
**أولا:**

## نص كلام شيخ الإسلام فخر الدين الرازى فى الروح المفارقة:

«اعلم: أنا نعلم بالضرورة: أن ههنا شيئًا يشير إليه كل أحد منا، بقوله: «أنا» وبالحقيقة: أعرف المعارف، وأظهر الظاهرات: هو ما يشير إليه كل أحد بقوله: «أنا».

إلا أن العقلاء اختلفوا فى أن ماهية[1] ذلك الشىء، ما هو؟

وضبط المذاهب فيه: أن يقال: ١- إنه إما أن يكون جسمًا ٢- أو عرضًا ساريًا فى الجسم ٣- أو لا جسمًا ولا عرضا ساريا فى الجسم.



أما القسم الأول: وهو أنه جسم. فذلك الجسم: (أ) إما أن يكون هو هذا البدن، (ب) وإما أن يكون جسمًا مشابكًا لهذا البدن، (ج) وإما أن يكون جسمًا خارجًا عنه - فأما القسم الثالث[2] - وهو أن تكون نفس الإنسان عبارة عن جسم خارج عن هذا البدن - فهذا لم يقل به أحد. وأما القسم الأول[3]: وهو أن نفس الإنسان عبارة عن هذا البدن المعين، والهيكل المخصوص. فهو قول جمهور الخلق. وهو المختار عند أكثر المتكلمين. وأما

---

(١) شيخ الإسلام فخر الدين الرازى أخذ مذهبه فى أن الروح جوهر روحانى مجرد عن الجسمية من النصارى.

وسنوضح هذا فيما بعد.

(٢) القسم الثالث هو المرموز إليه بـ (ج).

(٣) القسم الأول هو المرموز إليه بـ (أ).

القسم الثانى(١): وهو أن الإنسان عبارة عن جسم مخصوص، موجود فى داخل هذا البدن. فالقائلون بهذا القول. اختلفوا فى تعيين نفس ذلك الجسم، على وجوه:

**الأول:** قال بعضهم: إنه عبارة عن الأخلاط الأربعة التى يتولد منها هذا البدن.

**والثانى:** قال بعضهم: إنه هو الدم.

وهذا الاختلاف مبنى على أصل آخر، وهو: أن الأطباء اختلفوا. فقال كثير منهم: إن هذا البدن متولد من مجموع الأخلاط الأربعة. وقال قوم من المحققين: إنه متولد من الدم فقط. ثم تولد من هذا الأصل: الاختلاف فى أن الإنسان. هل هو عبارة عن مجموع الأخلاط الأربعة، أو عن الدم؟

**والقول الثالث:** إنه عبارة عن الدم اللطيف، الذى يتولد من الجانب الأيسر من القلب، وينفذ فى الشريانات إلى سائر الأعضاء.

**والقول الرابع:** إنه هو الروح الذى يصعد من القلب إلى الدماغ، ويتكيف بالكيفية الصالحة لقبول قوة الحفظ، والفكر، والذكر.

**والقول الخامس:** وهو قول «ابن الراوندى» - إنه جزء لا يتجزأ فى القلب.

**والقول السادس:** هو أنه جسم مخالف بالماهية للجسم، الذى يتولد منه الأعضاء، وذلك الجسم: هو جسم نورانى علوى خفيف، حى لذاته، متحرك، ينفذ فى جواهر الأعضاء، ويسرى فيها سريان النار فى الفحم، وسريان ماء الورد فى الورد، وسريان الدهن فى السمسم. فما دامت هذه الأعضاء تبقى صالحة لقبول الآثار الفائضة عن هذا الجسم اللطيف الشريف - وهو قوة الحس والحركة بالإرادة - بقى مع ذلك الجسم، مشابكًا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار الشريفة، والقوى النورانية. وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار؛ فارق الروح والبدن، وانفصل إلى عالم الأرواح.

ثم قال أصحاب هذا القول: هذا القول أولى من غيره؛ لأنه لما لم يكن هذا الجسم

---

(٢) القسم الثانى هو المرموز إليه بـ (ب) ويقصد به: أن الروح جسم داخل جسم الإنسان، وهى غير روح جسم الإنسان.

وعبر عن أنه جسم داخل جسم الإنسان بقوله: «جسم مشابك».

والرازى يعترف بالقسم الثانى هذا، ويقول: إن المفارق لـ ١- الروح ٢- والبدن؛ هو الروح المفارقة، ولكنها روح. ابن القيم يقول: إن الروح المفارقة جسم. فهما متفقان على القسم الثانى.

من جنس الأجسام التى تولدت الأعضاء منها، لا جرم صح القول بأنه لا يلزم من وقوع الذوبان والتحلل فى البدن، وقوع الذوبان والتحلل فى هذا الجسم الشريف، بل يكون باقيًا بحالة واحدة من أول العمر إلى آخره.

وأيضًا: فلما كان جسمًا، صح عليه المجيء والذهاب والرجوع. وآيات القرآن ناطقة بهذه الأحوال. قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ (الأنعام: ١٦٢) وقال: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ (الفجر ٢٧-٢٨).

**والقول السابع:** هو أن الإنسان عبارة عن أجزاء أصلية باقية من أول العمر إلى آخره، مصونة عن التبدل والتغير.

والفرق بين هذا القول وبين ما قبله: أن فى القول الذى قبله. كان الجسم - الذى هو عبارة عن النفس- جسمًا مخالفًا بالماهية للجسم الذى تولد عنه البدن، وفى هذا القول ليس كذلك.

**والقول الثامن:** إن الإنسان عبارة عن الأعضاء الرئيسية التى لا يمكن بقاء الحياة مع فقدانها.

فهذا كله تفصيل قول من يقول: إن الإنسان عبارة عن جسم مشابك لهذا البدن.



وأما القسم الثانى[١] من الأقسام المذكورة فى أول هذا التقسيم. وهو أن يقال: إن الإنسان عبارة عن عرض حال فى الجسم، فهذا لا يقول به عاقل، لأن كل إنسان يجد من نفسه علمًا ضروريًا، بأنه جوهر قائم بنفسه، غير حال فى محل. ومع هذا العلم، يستحيل أن يقال: الإنسان عبارة عن عرض حال فى جسم من الأجسام.



وأما القسم الثالث[٢] وهو أن يقال: الإنسان عبارة عن جوهر مجرد، ليس بمتحيز ولا حال فى المتحيز. فهذا قول أكثر الحكماء الإلهيين. وقال به قوم كثير من أهل الملة. أما من الشيعة فقد كان يقول بهذا القول «أبو سهل النوبختى» صاحب كتاب «الآراء والديانات»

(١) القسم الثانى: هو المرموز إليه برمز رقم (٢).

(٢) القسم الثالث: هو المرموز إليه برمز رقم (٣) وظن ابن قيم الجوزية أنه هو اعتقاد شيخ الإسلام فخر الدين الرازى. وظنه فى غير محله؛ لأنه يقول بالقول السادس من القسم الثانى.

وكان يقول به «محمد بن النعمان» الملقب عندهم بالشيخ المفيد. وأما من المعتزلة، فهو قول «معمر بن عباد السلمى» وأتباعه. وأما من أهل السنة، فكان الشيخ «أبو حامد الغزالى» جازمًا بهذا المذهب، شديد الاعتقاد فيه. وأما أكثر المحققين من الصوفية فيقولون بهذا القول».

(انتهى كلام شيخ الإسلام بنصه).

## ثانيا:

## نص كلام ابن قيم الجوزية فى الروح المفارقة:

«المسألة التاسعة عشرة:

وهى ما حقيقة النفس؟ هل هى جزء من أجزاء البدن أو عرض من أعراضه، أو جسم مساكن له مودع فيه، أو جوهر مجرد؟ وهل هى الروح أو غيرها؟ وهل الأمارة واللوامة والمطمئنة نفس واحدة، لها هذه الصفات، أم هى ثلاث أنفس؟

فالجواب: أن هذه مسائل قد تكلم الناس فيها من سائر الطوائف، واضطربت أقوالهم فيها، وكثر فيها خطؤهم. وهدى الله أتباع الرسول، أهل سنته ﴿لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ٢١٣) فنذكر أقوال الناس، وما لهم وما عليهم فى تلك الأقوال، ونذكر الصواب بحمد الله وعونه:

قال أبو الحسن الأشعرى فى مقالاته: اختلف الناس فى الروح والنفس والحياة. هل الروح هى الحياة أو غيرها. وهل الروح جسم أم لا؟ فقال النظام: الروح هى جسم، وهى النفس، وزعم: أن الروح حى بنفسه، وأنكر أن تكون الحياة والقوة، معنى غير الحى القوى. وقال آخرون: الروح عرض.

وقال قائلون - منهم جعفر بن حرب -: لا ندرى الروح جوهر أو عرض؟ -كذا قال- واعتلوا فى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء: ٨٥) ولم يخبر عنها. ما هى. لا أنها جوهر، ولا عرض. قال: وأظن جعفرًا أثبت: أن الحياة غير الروح، أثبت أن الحياة عرضًا.

وكان الجبائى يذهب إلى أن الروح جسم، وأنها غير الحياة، والحياة عرض، ويعتل بقول أهل اللغة: خرجت روح الإنسان، وزعم: أن الروح لا تجوز عليها الأعراض.

وقال قائلون: ليس الروح شيئًا أكثر من اعتدال الطبائع الأربع ولم يرجعوا من قولهم

اعتدال إلى المعتدل ولم يثبتوا فى الدنيا شيئًا إلا الطبائع الأربع التى هى: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

وقال قائلون: إن الروح معنى خامس غير الطبائع الأربع، وإنه ليس فى الدنيا إلا الطبائع الأربع، والروح. واختلفوا فى أعمال الروح. فثبتها بعضهم طباعًا وثبتها بعضهم اختيارًا.

وقال قائلون: الروح: الدم الصافى الخالص من الكدر والعفونات. وكذلك قالوا فى القوة.

وقال قائلون: الحياة: هى الحرارة الغريزية.

وكل هؤلاء الذين حكينا أقوالهم فى الروح من أصحاب الطبائع؛ يثبتون بأن الحياة هى الروح.

وكان «الأصم» لا يثبت الحياة والروح شيئًا غير الجسد. ويقول: لست أعقل إلا الجسد الطويل العريض العميق الذى أراه وأشاهده، وكان يقول: النفس هى هذا البدن بعينه لا غيره، وانما جرى عليها هذا الذكر على جهة البيان والتأكيد بحقيقة الشىء، لا على أنها معنى غير البدن(١).

وذكر عن أرسطو طاليس: أن النفس معنى مرتفع عن الوقوع تحت التدبير والنشوء والبلى غير دائرة(٢)، وأنها جوهر بسيط، منبث فى العالم كله من الحيوان، على جهة الإعمال له والتدبير، وأنه لا تجوز عليه صفة قلة ولا كثرة. قال: وهى على ما وصفت من انبساطها فى هذا العالم، غير منقسمة الذات والبنية، وأنها فى كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير.

وقال آخرون: بل النفس معنى موجود ذات حدود وأركان وطول وعرض وعمق، وأنها غير مفارقة فى هذا العالم لغيرها، مما يجرى عليه حكم الطول والعرض والعمق، وكل واحد منهما يجمعهما صفة الحد والنهاية - وهذا قول طائفة من الثنوية يقال لهم المنانية-.

وقالت طائفة: إن النفس موصوفة بما وصفها به هؤلاء الذين قدمنا ذكرهم من

(١) هذا هو رأى الراسخين فى العلم.
(٢) يعنى لا تفنى ولا تندثر فى التراب.

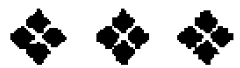
معنى الحدود والنهايات، إلا أنها غير مفارقة لغيرها مما لا يجوز أن يكون موصوفًا بصفة الحيوان - وهؤلاء هم الديصانية -.

وحكى الحريرى عن جعفر بن مبشر. أن النفس جوهر. ليس هو هذا الجسم، وليس بجسم، لكنه معنى يباين الجوهر والجسم.

وقال آخر: النفس معنى غير الروح، والروح غير الحياة، والحياة عنده عرض - وهو أبو الهذيل - وزعم: أنه قد يجوز أن يكون الإنسان فى حال نومه مسلوب النفس والروح دون الحياة، واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر: ٤٢).

وقال جعفر بن حرب: النفس عرض من الأعراض، يوجد فى هذا الجسم، وهو إحدى الآلات التى يستعين بها الإنسان على الفعل، كالصحة والسلامة وما أشبههما، وإنها غير موصوفة بشيء من صفات الجواهر والأجسام.

- هذا ما حكاه الأشعرى -



وقالت طائفة: النفس: هى النسيم الداخل والخارج بالتنفس. قالوا: والروح: عرض، وهو الحياة فقط. وهو غير النفس، وهذا قول القاضى أبو بكر بن الباقلانى ومن اتبعه من الأشعرية.

وقالت طائفة: ليست النفس جسمًا ولا عرضًا، وليست النفس فى مكان، ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا لون ولا بعض، ولا هى فى العالم ولا خارجة، ولا محاثية له ولا مباينة. وهذا قول المشائين، وهو الذى حكاه الأشعرى عن أرسطو طاليس. وزعموا: أن تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ولا بالمجاورة ولا بالمساكنة ولا بالالتصاق ولا بالمقابلة، وإنما هو بالتدبير له فقط، واختار هذا المذهب البشنجى، ومحمد بن النعمان الملقب بالمفيد، ومعمر بن عباد، والغزالى. وهو قول ابن سينا وأتباعه، وهو أردأ المذاهب وأبطلها وأبعدها عن الصواب.

قال أبو محمد بن حزم: وذهب سائر أهل الإسلام والملل المقرة بالمعاد: إلى أن النفس: جسم طويل عريض عميق ذات مكان، جثة متحيزة مصرفة للجسد. قال: وبهذا نقول. قال: وللنفس والروح اسمان مترادفان لمعنى واحد. ومعناهما واحد.



وقد ضبط أبو عبدالله بن الخطيب[1] مذاهب الناس فى النفس، فقال: ما يشير إليه كل إنسان بقوله: أنا . إما أن يكون جسمًا، أو عرضًا ساريًا فى الجسم، أو لا جسما ولا عرضا ساريا فيه.

أما القسم الأول. وهو أنه جسم. فذلك الجسم. إما أن يكون هذا البدن، وإما أن يكون جسمًا مشابكًا لهذا البدن، وإما أن يكون خارجًا عنه.

وأما القسم الثالث. وهو أن نفس الإنسان عبارة عن جسم خارج عن هذا البدن. فهذا لم يقله أحد . وأما القسم الأول. وهو أن الإنسان عبارة عن هذا البدن والهيكل المخصوص؛ فهو قول جمهور الخلق. وهو المختار عند أكثر المتكلمين».



قلت: هو قول جمهور الخلق الذين عرف «الرازى» أقوالهم من أهل البدع، وغيرهم من المضلين. وأما أقوال الصحابة والتابعين وأهل الحديث، فلم يكن له بها شعور البتة. ولا أعتقد أن لهم فى ذلك قولا . على عادته فى حكاية المذاهب الباطلة فى المسألة.

والمذهب الحق الذى دل عليه القرآن والسنة وأقوال الصحابة: لم يعرفه ولم يذكره.

وهذا الذى نسبه إلى جمهور الخلق، من أن الإنسان هو هذا البدن المخصوص[1] فقط، وليس وراءه شىء: هو من أبطل الأقوال فى المسألة. بل هو أبطل من قول ابن سينا وأتباعه. بل الذى عليه جمهور العقلاء: أن الإنسان هو البدن والروح معًا. وقد يطلق اسمه على أحدهما دون الآخر بقرينة.

فالناس لهم أربعة أقوال فى مسمى الإنسان، هل هو الروح فقط، أو البدن فقط، أو

(١) هو شيخ الإسلام فخر الدين الرازى.

(٢) الذى يعتقده المرء شىء، والذى يكتبه حكاية عن غيره شىء آخر. فجمهور الخلق منسوب اليهم: أن الروح هو هذا البدن المخصوص. أى هيئة الرجل منا – وهى بدنه المخصوص – تدل على أ– جسد ب– وروح فيه. ولأنهم لا يرون «روحا مفارقة» يقولون: إن الإنسان أى الروح المفارقة – هو هذا البدن المخصوص فقط، وليس وراءه شىء. ذلك قولهم وهو ناشئ من المشاهدة، فى نظر جميع الأميين والعلماء.

وصرح الإمام فخر الدين رحمه الله بأن «الروح المفارقة» هى غير هذا البدن المخصوص. وهذا هو اعتقاده. وهو اعتقاد جمهور المسلمين. وفى بدء حياته العلمية صرح بأن الروح المفارقة «جسم» مشابك لهذا البدن المخصوص. وفى أواخر كتبه صرح بأن الروح المفارقة «جوهر روحانى مجرد» مثل جوهر الملائكة الأطهار.

مجموعهما، أو كل واحد منهما، وهذه الأقوال الأربعة لهم فى كلامهم: هل هو اللفظ فقط، أو المعنى فقط، أو مجموعهما، أو كل واحد منهما؟ فالخلاف بينهم فى الناطق ونطقه.



قال الرازى: «وأما القسم الثانى. وهو الإنسان عبارة عن جسم مخصوص موجود فى داخل هذا البدن. فالقائلون بهذا القول اختلفوا فى تعيين ذلك الجسم: على وجوه:

الأول: أنه عبارة عن الأخلاط الأربعة التى منها يتولد هذا البدن.

والثانى: أنه الدم.

والثالث: أنه الروح اللطيف الذى يتولد فى الجانب الأيسر من القلب وينفذ فى الشريانات إلى سائر الأعضاء.

والرابع: أنه الروح الذى يصعد فى القلب إلى الدماغ، ويتكيف بالكيفية الصالحة لقيام قوة الحفظ والفكر والذكر.

والخامس: أنه جزء لا يتجزأ فى القلب.

والسادس: أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس. وهو جسم نورانى علوى خفيف حى متحرك، ينفذ فى جوهر الأعضاء، ويسرى فيها سريان الماء فى الورد، وسريان الدهن فى الزيتون، والنار فى الفحم. فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكًا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة. وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار؛ فارق الروح والبدن، وانفصل إلى عالم الأرواح».



وهذا القول هو الصواب فى المسألة، وهو الذى لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، وأدلة العقل. والفطرة.

ونحن نسوق الأدلة عليه على نسق واحد:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الزمر: ٤٢).

ففى الآية ثلاثة أدلة: الإخبار بتوفيها، وإمساكها، وإرسالها.

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ (الأنعام: ٩٣) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الأنعام: ٩٤).

وفيها أربعة أدلة:

أحدها: بسط الملائكة أيديهم، لتناولها.

الثانى: وصفها بالإخراج والخروج.

الثالث: الإخبار عن عذابها فى ذلك اليوم.

الرابع: الإخبار عن مجيئها إلى ربها. فهذه سبعة أدلة.

الخامس: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ (الإنعام ٦٠) إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الإنعام ٦١).

وفيها ثلاثة أدلة:

أحدها: الإخبار بتوفى الأنفس بالليل.

الثانى: بعثها إلى أجسادها بالنهار.

الثالث: توفى الملائكة لها عند الموت. فهذه عشرة أدلة.

الحادى عشر: قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر ٢٧- ٣٠).

وفيها ثلاثة أدلة:

أحدها: وصفها بالرجوع.

الثانى: وصفها بالدخول.

الثالث: وصفها بالرضا.

واختلف السلف. هل يقال لها ذلك عند الموت، أو عند البعث، أو فى الموضعين؟ على

ثلاثة أقوال. وقد روى فى حديث مرفوع: أن النبى ﷺ قال لأبى بكر الصديق: «أما إن الملك سيقولها لك عند الموت»(١) قال ريد بن أسلم: بشرت بالجنة عند الموت، ويوم الجمع، وعند البعث. وقال أبو صالح: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ هذا عند الموت ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ قال: هذايوم القيامة. فهذه أربعة عشر دليلا».

انتهى كلام ابن قيم الجوزية بنصه:

## المناقشة

### (أ) عند شيخ الإسلام:

١- الروح عند شيخ الإسلام هى نفسها النفس. وتسمى أيضًا الإنسان. وهى عنده غير البدن وغير روح تنفسه. ولكن لا يسميها جسمًا، وإنما يسميها روحًا. أى حقيقتها كحقيقة الملاك أو الشيطان. فى أنها روح مجرد.

٢- ويقول شيخ الإسلام: إن الدليل على أن الروح غير الجسد: وغير روح تنفسه: هو أن المرء منا حال ما يكون غافلا يقول: أنا فعلت كذا. وأنا تركت كذا. وهذا يدل على أن المتكلم على المرء فى حال غفلته، هو روح مفارقة. وعليه فإن الروح المفارقة تكون منفصلة عن الجسد.

٣- وهذه الروح: إما أن تكون جسمًا.

(أ) وهذا الجسم هو جسم المرء نفسه.

(ب) أو هو جسم مشابك لجسم المرء.

(ج) أو هو جسم منفصل وخارج عن جسم المرء.

### (ب) عند ابن قيم الجوزية:

فهم عبارة شيخ الإسلام على هذا النحو:

١- ما تشير إليه بأنا. إما (أ) أن يكون جسمًا (ب) أو عرضًا ساريًا فى الجسم (ج) أو لا جسمًا ولا عرضًا.

القسم الأول: وهو أن الروح جسم فإنه إما أن يكون:

١- هو هذا البدن المخصوص.

٢- هو جسم مشابك للبدن.

٣- هو جسم خارج عن جسد المرء.

**خطأ ابن القيم:**

وخطأ ابن القيم هو فى قوله: إن المذهب الحق الذى دل عليه القرآن والسنة وأقوال الصحابة: هو أن الإنسان -أى الروح المفارقة- جسم منفصل عن البدن والروح معًا، وفى قوله: إن رأيه هو المذهب الحق.

وقد بين شيخ الإسلام: أن «الروح المفارقة» هى روح. وليست جسما.

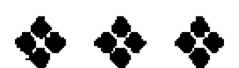
## دفاع شيخ الإسلام
## ضد منكرى الروح المفارقة

وقد ذكر شيخ الإسلام أن «جماعة من الذين قلت بضاعتهم فى العلوم الحقيقية، أخذوا يشنعون بأن القول بأن النفس غير البدن: قول مخالف للكتاب والسنة؛ فوجب الجزم بإبطاله» ثم رد عليهم بحجج. منها هذه الحجة:

قوله عليه السلام فى بعض خطبه: «إذا حمل الميت على نعشه، رفرفت روحه فوق النعش. وتقول: يا أهلى ويا ولدى. لا تلعبن بكم الدنيا، كما لعبت بى. جمعت المال من حله ومن غير حله، ثم خلفته لغيرى. فالمهنأة له والتبعة على. فاحذروا مثل ما حل بى» ووجه الاستدلال: أنه ﷺ حكم بأن جسد الميت المحمول على النعش، حال كونه كذلك، ترفرف روحه فوق النعش، وتقول: «يا أهلى ويا ولدى. لا تلعبن بكم الدنيا، كما لعبت بى» ومعلوم: أن الأهل والولد ما كانا إلا لذلك الإنسان. فلما قال الروح المترفرف هذا الكلام، ثبت: أن الإنسان ما كان إلا ذلك الروح. ولما كان ذلك الروح باقيًا، وجب كون ذلك الإنسان باقيًا، حال ما كان الجسد ميتًا، محمولا على النعش. وذلك من أظهر الدلائل. على أن الإنسان شىء مغاير لهذا الجسد، ومغاير لجميع أعضائه وأجزائه(١) أ هـ.

يقصد بكلمة الإنسان «الروح المفارقة».

هذا نص كلامه. الذى أثبت به أن الإنسان - أى الروح أو النفس - شىء منفصل عن بدن المرء، وأنه لا يفنى بفناء الجسد، وأنه يتنعم فى القبر أو يتعذب. فلماذا يعده ابن قيم الجوزية من أهل الضلال وهو يستدل بالسنة النبوية مثله؟



(١) المطالب العالية من العلم الإلهى - الجزء السابع.

ثم ذكر شيخ الإسلام حججًا كثيرة على أن النفس جوهر روحانى مجرد، لا يموت بموت الجسد. ومن هذه الحجج:

«إن بديهة العقل قاضية بأن الشىء الواحد بالنسبة إلى الشىء الواحد يمتنع أن يكون سببًا لكماله، وسببًا لنقصانه معًا.

إذا ثبت هذا فنقول: إنا نعلم بالضرورة أن المواظبة على الأفكار، الكثيرة فى العلوم الدقيقة توجب كمال حال النفس، فإن النفس بسبب هذه الأفكار تنتقل من القوة إلى الفعل فى الكمالات العقلية، وتصير نورانية مشرقة مضيئة مبتهجة. والمواظبة على الأفكار الكثيرة المذكورة توجب نقصان حال البدن وهلاكه، وذلك لأن عند حصول الاشتغال بتلك الأفكار والاستغراق فيها، يستولى الجفاف على الدماغ، ويضعف حال الهضم فيسوء حال البدن. فثبت: أن المواظبة على الأفكار المذكورة، توجب كمال حال النفس، ونقصان حال البدن. فلو كانت النفس عين البدن أو جزءًا من أجزائه لزم كون الشىء الواحد بالنسبة إلى الشىء الواحد، سببًا للكمال والنقصان معًا. وذلك محال.

فوجب الجزم بأن النفس هى شىء غير البدن، وغير كل واحد من أجزائه. وهو المطلوب.

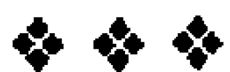
واعلم: أن الاعتبار المذكور يختص بالقوة النظرية، وهو أيضًا قائم فى رياضة الإنسان إذا كان مواظبا على الأكل والشرب والتفرج والتنزه بالجسمانيات، فإنه تختل قوته العقلية، وتفسد، ولا يبقى معه منها شىء يلتفت إليه، أو يعتبر به فإن من المشهور فى المثل: «البطنة تذهب بالفطنة» أما إذا راض الإنسان نفسه بالامتناع عن المأكولات، والانقطاع عن اللذات الجسمانية، وجلس فى بيت مظلم بحيث لا يبصر شيئًا ولا يسمع شيئًا، وتكلف إزالة الصور المحسوسة والمثل الجسمانية عن الفكر والخيال، وواظب على هذه الحالة مدة مديدة فإنه تصير نفسه فى غاية الكمال، وبدنه فى غاية الضعف والنحافة.

وهذا الاعتبار يدل على أن كل ما كان سببًا لسعادة النفس، فهو بعينه يصير سببًا لشقاوة البدن. وكل ما كان سببًا لشقاوة النفس، فهو بعينه سبب لسعادة البدن. وذلك يدل على أن النفس شىء غير البدن، وغير أجزاء هذا البدن وأعضائه.

وهاهنا وجه ثالث يناسب الوجهين الأولين: وهو أن النوم بالنسبة إلى الجسد كالموت. وبالنسبة إلى النفس كالحياة وكاليقظة. وذلك لأن الإنسان في حال اليقظة، تكون نفسه كالنائمة عن عالم الغيب، الغافلة عن أحوال ذلك العالم، المعرضة عنها، فإذا نام الإنسان بحسب جسده، فحينئذ تحصل اليقظة للنفس فتتصل بعالم الغيب، وتقف على

بعض أحوال ذلك العالم، وهو المنامات الصادقة، الدالة على أحوال المغيبات، فإذا استيقظت فقد حصلت اليقظة للبدن، وصارت النفس نائمة منقطعة عن عالم الغيب.

فثبت بهذه الوجوه الثلاثة: أن حياة النفس، وسعادتها، ويقظتها، توجب موت البدن وشقاوته وقوته. وأن حياة البدن وسعادته ويقظته، توجب موت النفس وشقاوتها ونومها. وذلك من أدل الدلائل على أن النفس شيء غير البدن، وغير كل واحد من أجزائه. وهو المطلوب».



وإذا سألنا شيخ الإسلام محمد بن عمر، وسألنا ابن قيم الجوزية، عن الدليل الذى بموجبه قال كل منهما بانفصال الروح عن الجسد. لأجابا بأدلة قرآنية، وأحاديث نبوية.

**أما الإحاديث النبوية الكتابية:** فإنها مروية بالآحاد. فقد قال الحافظ ابن الصلاح فى علوم الحديث: «وإن أردت حديثًا متواترا، أعياك تطلبه» والمروى بخبر الواحد - لاحتماله الصدق والكذب - لا يحتج به فى إثبات عقيدة أو نفى عقيدة. فقد قال شيخ الإسلام فى تأسيس التقديس: «أما التمسك بخبر الواحد فى معرفة الله تعالى فغير جائز» وقال: «إن خبر الواحد مظنون؛ فوجب أن لا يجوز التمسك به، لقوله تعالى: **﴿إن الظن لا يغنى من الحق شيئا﴾** ترك العمل به فى فروع الشريعة[1] -لأن المطلوب فيها الظن- فوجب أن يبقى فى مسائل الأصول على هذا الأصل».

**وأما الأدلة القرآنية:** ففيها المحكم والمتشابه. وهما معا قد احتجا على انفصال الروح بالمتشابه. ولا يصح الاحتجاج بالمتشابه إلا مع المحكم. والمحكم هو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥) والمراد بالنفس: ما يشاهده كل الناس حالة موت المرء. يشاهدون امرءًا له جسد، قد كونه الله على هيئة مخصوصة، قد أصبح جثة لا حراك فيها.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (الأنعام: ٦٢) والذى يرد إليه: هو المرء الذى كان فى الدنيا بجسمه وروح تنفسه. ويقوى المحكم: قول جمهور المسلمين وأهل الكتاب: إن الأرواح

(١) يقصد أنه يصح الاحتجاج بأحاديث الآحاد فى الفقه. ونحن نخالفه ونقول: إنه لا يصح الاحتجاج بأحاديث الآحاد فى العقائد، وفى الفقه. لوجود الظن فى الكل. والله تعالى لا يطالب المكلفين بأعمال، إلا بدليل قطعى.

مخلوقة، يخلقها الله فى منى الرجل ورحم المرأة. ومعلوم أن الحيوانات المنوية كثيرة جدًا فى المرة الواحدة. وهى تكون حية. وواحد منها هو الذى يلقح بويضة الأنثى. ويصير علقة ومضغة، وعظام. ثم يكسو الله العظام لحماً. فكيف تكون الروح قديمة قدم السموات؟ وكيف تكون منفصلة عن الجسد. وهى فى الأصل حيوان منوى يهيم بلا عقل ولا فكر، ويتكون حال اللذة؟

وهذا هو ابن القيم يحكى عن طائفة: أن الروح تموت، لأنها نفس. وكل نفس ذائقة الموت. ولدلالة القرآن على أنه لا يبقى إلا الله وحده. فقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن ٢٦-٢٧).

والذين قالوا إنها لا تموت مع الجسد. اختلفوا على أقوال كثيرة فى تعيين مكانها. واختلافهم هو دليل على أن لا مكان لها، وأنها تفنى بفناء الجسد. وكيف لا تفنى، والله يقول: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف ٢٩) وقد كان البدء بلا أرواح قديمة، وبلا أجسام قديمة. بل من ﴿مَنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة ٣٧-٤٠) بلى. هو قادر. والعود كالبدء. وكما كان البدء من لا شىء محسوس - فإن المنى لا يرى، وإذا رؤى، فإن الحيوانات فيه لا ترى - تكون الإعادة من لا شىء محسوس، لا عجب ذنب، -كما يقال- ولا عظام، ولا روح. بل بقوله تعالى: ﴿كن﴾ يكون كل شىء.

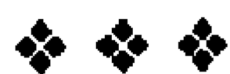
وإجماع أهل السنة هو على أن الروح مخلوقة. فابن القيم يقول: «أجمعت الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة» وليسأل كيف خلقت؟ والمشاهدة هى التى تجيب على هذا السؤال. ونحن نشاهد الحياة فى الحيوان المنوى. الذى لو كان ميتًا، ما لقح بويضة الأنثى. فهل الرجل فى ظهره أرواح كشعر الرأس، لا عدد لها من كثرتها. وإذا جامع المرأة ينزل من ظهره عدد. يموت منه آلاف، وتبقى واحدة؟ وهل باحتلام، يفرغ من ظهره ما شاء من الأرواح؟ من يصدق هذا؟ ومن يعقل هذا؟ فإن الرجل إذا لم يكن متغذيًا غذاء جيدًا، فإنه لا يقدر على الجماع، ولا يقدر على إنزال منى. فالمنى متكون من جسمه فى الحال من أغذية أكلها، وأشربة شربها. وعليه: فإنه ليس فى ظهره من أرواح. فلماذا المشاغبة فى أن الأرواح قديمة أم حادثة. وهذا هو حالها، الذى يعرفه الأمى والعالم.

❖ ❖ ❖

ودليل المشاهدة: يدل على أن الحيوان المنوى كان حيًا. أى مكونًا من جسد ضئيل – لا يرى بالعين المجردة – وروح على قدر الجسد. هذا فى نظر الأميين، وفى نظر العلماء.



والنفس فى القرآن تطلق على الذات بجملتها، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر ٣٨) وهذه الأقوال الكريمة نصوص محكمة على أن المرء بكل خصائصه. أى بجسده وما فيه. هو النفس. فإذا مات. هلك جسده بكل خصائصه. كما أن الحيوان المنوى إذا مات، يهلك بكل خصائصه. فلماذا التفرقة بين خصائص جسد، قد كونه الله هكذا؟ لماذا يقال جسد وروح. وهو بكل هيئته يسمى نفسًا؟



ويقول ابن القيم: إن كلمة النفس، قد تطلق على الروح وحدها، كما تطلق على الذات بجملتها. وعلى قوله هذا تكون كلمة النفس من المشترك اللفظى. الذى يدل لفظه على معان كثيرة. مثل البر والحنطة والقمح، ومثل الأسد والليث. وسياق الكلام هو الذى يعين ما هو المراد.

والمشترك اللفظى يخضع للمحكم والمتشابه. فالنفس تطلق على الروح وحدها فى قول ابن القيم، وآخرين. وتطلق على جسد المرء وروحه، فى قول كثيرين. والمحكم هو الذين يقضى بين المتنازعين، الطالبين للحق.

يقول ابن القيم: فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر ٢٧–٣٠) إن الرجوع هاهنا يراد به: الرجوع فى يوم القيامة للمرء ذاته، بجميع خصائص جسده. للدخول فى الجنة التى أعدها الله للمتقين، فى جملة عباد الله الصالحين.

ودخول الروح وحدها فى العباد وفى الجنة بدون الجسد – على رأى القائلين بالانفصال بينهما – لا يؤيده القرآن، لأن الروح لم تعمل ما عملت إلا بمساعدة الجسد لها. ولأن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص ٨٥) الآخرة. والرد لا يكون للروح وحدها. وقبل المعاد، لم تكن الروح وحدها، ولم يكن الجسد وحده. وإنما هما معًا من بعد الموت، كما كانا معًا من قبل الموت. وكيف تدخل الروح وحدها فى العباد، وفى

الجنة. من قبل أن تجادل عن نفسها فى يوم القيامة؟ أليس الله يقول: ﴿يوم تأتي كلُ نفسٍ تُجادلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ (النحل ١١١).

ويقول ابن القيم: فى قوله تعالى: ﴿أخرجوا أنفسكم﴾(الأنعام ٩٣) - ﴿ونهى النَفس عن الْهوىٰ﴾ (النازعات ٤٠) - ﴿إنَ النَفس لأمَارةٌ بالسُوء﴾ (يوسف ٥٣) بمثل ما قال به فى ﴿ارْجعِي إلىٰ ربِّك﴾ (الفجر ٢٨) والرد عليه: هو أن ﴿أخْرجوا أنفسكُمُ﴾ نص متشابه يحتمل: إخراج النفس من الجسد - فتكون النفس منفصلة - ويحتمل الكناية عن إخراج نفسه من هذه الشدة. كما تقول لمن وقع فى بئر ماء: أخرج نفسك. وأنت لا تريد منه إخراج نفسه، وترك جسده. والمتفق مع المحكم هو المعنى الثانى. فيكون هو المراد. وهكذا فى ﴿ومـا أُبرِّئُ نَفْسِي إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ فمعناها: وما أبرىء ذاتى. إن ذاتى من خصائصها أن تكون أمارة بالسوء. وهكذا فى ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ أى منع ذاته عن الشهوات.

وأخطأ ابن القيم فى قوله: «وأما الروح فلا تطلق على البدن. لا بانفراده ولا مع النفس» وذلك لقوله هو نفسه: إن الجمهور يقول: إن النفس والروح مسماهما واحد. وأن الجوهرى قال: النفس الروح. يقال: خرجت نفسه... إلخ».

وتحدث هو عن النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة. وقال: هم كلهم نفس واحدة، ولكن لها صفات. فتسمى باعتبار كل صفة باسم. فتسمى مطمئنة، باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته. وتسمى لوامة. وأشرف النفوس من لامت فى طاعة الله، واحتملت ملام اللائمين فى مرضاته. وتسمى أمارة. أى مذمومة، لأنها التى تأمر بكل سوء..

وهو يرد الثلاثة إلى نفس واحدة. هى منفصلة -عنده- عن الجسد، وتلف وتدرج فى الكفن، ويشاهدها الناس على أفنية القبور، بعد هلاك الجسد.



### رأى «ابن تيمية» فى الأرواح:

وقد أرجع «ابن تيمية» انفصال الروح عن الجسد، إلى فلاسفة اليونان، فى قوله: إن «أصل قولهم بالمجردات والمفارقات هو مأخوذ من مفارقة النفس الناطقة للبدن بالموت. وهذا حق، فإن الذى عليه الأنبياء وأتباعهم وجمهور العلماء العقلاء. أن الروح تفارق البدن.

وتبقى بعد فراق البدن. ومن قال من متكلمة أهل الملل: إنه لا يبقى بعد البدن، روح مفارقة، وإن الروح جزء من البدن، أو عرض من أعراض البدن. فقوله مع أنه خطأ فى العقل الصريح، هو أيضًا مخالف لكتب الله المنزلة، ولرسله، ولمن اتبعهم من جميع أهل الملل» أ.هـ.

ومن كلامه هذا يتبين: أنه يوافق «ابن قيم الجوزية» و «شيخ الإسلام» فى ما قالا به عن انفصال الأرواح عن الأجساد. وأنهم يثبتون نعيم القبر أو عذابه. وهم يعلمون: بأنهما لا يثبتان مع القول بفناء الأرواح.

ومعلوم: أن الأجساد تبلى ولا تبقى، ومعلوم أيضا: أن الجسد والروح مشتركان فى الفعل، ولا يصح تعذيب أحدهما أو إكرامه، وهو منفرد عن مساعده. وصرحت الأنبياء بفناء الأرواح، وعبرت عن الموت بالنوم.



والقضية الآن. ليست قضية جمهور، أو فرد. وإنما هى قضية دليل. ما هو؟ ما هو الدليل على مفارقة النفس الناطقة للبدن بالموت؟ إن دليل المشاهدة بالنطفة والعلقة، لا يدل على المفارقة. وهو دليل يعرفه العامى والعالم. والعلم الحديث أثبته وأكده. وليست فى القرآن أدلة على مفارقة النفس الناطقة للبدن بالموت - كما قد بينا - بل فى القرآن ما قرره العلم الحديث. وهو: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون ١٢-١٦) ولم يذكر بعثا فى القبر. وهو موافق فى المعنى لقول داود ﷺ: «تنزع أرواحها فتموت، وإلى ترابها تعود، ترسل روحك، فتخلق» (مزمور ١٠٤: ٢٩-٣٠).

**قدم الأرواح وحدوثها:**

واستدل من استدل من علماء المسلمين على أن خلق الأرواح متأخر عن خلق أبدانها: بخلق آدم أبى البشر. وأصلهم: أن الله -سبحانه- أرسل جبريل، فقبض قبضة من الأرض، ثم خمرها حتى صارت طينا، ثم صوره، ثم نفخ فيه الروح بعد أن صوره. فلما دخلت الروح فيه، صار لحما ودما، حيًا ناطقا. والقرآن والحديث والآثار تدل على أنه -سبحانه- نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده. فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح. ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته، لما عجبت الملائكة من خلقه. ولو كان للروح وجود قبل البدن -وهى حية عالمة ناطقة- لكانت ذاكرة لذلك فى هذا العالم، شاعرة

به، ولو بوجه ما. إذ من الممتنع أن تكون حية عالمة ناطقة عارفة بربها -وهى بين ملأ من الأرواح- ثم تنتقل إلى هذا البدن، ولا تشعر بحالها قبل ذلك بوجه ما.

وأيضًا: فإنها لو كانت موجودة قبل البدن، لكانت عالمة حية ناطقة عاقلة. وإذا تعلقت بالبدن، فيجب أن تكون فى البدن عالمة حية ناطقة عاقلة. والله قد نفى عنها ذلك فى قوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل ٧٨).

وكان يجب على هؤلاء المستدلين على أن الروح مخلوقة. أن يعبروا بتعبير عن خلقها، لا يدل على أنها منفصلة عن الجسد. إذ قولهم إن خلق الأرواح متأخر عن خلق أبدانها. يدل على اثنين منفصلين. والحال المشاهد لا يدل على اثنين. وذلك لأن الحيوان المنوى المتدفق فى رحم المرأة. هو كثير جدًا. وينزل دفعه واحدة. ولا ندرى أى حيوان خلق قبل الآخر. ولكننا ندرى أن جسده قد خلق قبل روحه، ومن حيوان منوى واحد يتكون الجنين فى بطن أمه.



**ويستدل «ابن حزم» الأندلسى** على أن الروح قديمة ومخلوقة، قبل جسدها. بأدلة. منها: قول الله تعالى: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ (الأعراف ١١) و ﴿ثم﴾ للترتيب والمهلة. وعليه يكون خلقها مقدم على أمر الله للملائكة بالسجود لآدم. والضمير «كم» يدل على بنى آدم، لا على آدم وحده. ومن المعلوم قطعًا: أن أبداننا حادثة بعد ذلك، فعلم أنها الأرواح. هذا هو الدليل الأول. والدليل الثانى هو: قوله -سبحانه-: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ (الأعراف ١٧٢) وهذا الاستنطاق والإشهاد إنما كان لأرواحنا. إذ لم تكن الأبدان حينئذ موجودة.

ففى الموطأ: أن عمر بن الخطاب ﵁ سئل عن هذه الآية. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال: «خلق الله آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذريته. فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون. وخلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون «فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا خلق الرجل للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل أهل النار، فيدخله به النار».

## مناقشة الدليلين:

١- أما الحديث: فهو ضعيف. فإن «ابن عبد البر» في «التمهيد» بعد أن ساق الحديث قال: «هذا حديث منقطع بهذا الإسناد. وهو أيضًا مع هذا الإسناد لا تقوم به حجة».

ولو كان قوى الإسناد: فإنه لا يحتج به أيضا: لأنه حديث آحاد.

٢- وأما ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ قال «مجاهد»: المراد خلقنا آدم ﴿ثم صورناكم﴾ أى صورناكم فى ظهر آدم. وإنما قال ﴿خلقناكم﴾ بلفظ الجمع. وهو يريد آدم، كما تقول: ضربناكم وإنما ضربت سيدهم. واختار «أبو عبيد» فى هذه الآية قول «مجاهد» لقوله تعالى بعد: ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ إذ كان قوله تعالى ﴿للملائكة اسجدوا﴾ قبل خلق ذرية آدم، وتصويرهم فى الأرحام.

وقال ابن قيم الجوزية: إن القرآن يفسر بعضه بعضا. ونظير هذه الآية: قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة﴾ (الحج ٥) فأوقع الخلق من تراب عليهم. وهو لأبيهم آدم. إذ هو أصلهم. والله سبحانه يخاطب الموجودين، والمراد: آباؤهم.

٣- وأما ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾ (الأعراف ١٧٢) فالمعنى: أن الله خلق الناس على فطرة، تدلهم وتشهدهم على أن الله ربهم. فلو فرض أنه جمعهم فى ذاك الزمان وأشهدهم؛ لشهدوا. وهذا المعنى مطابق لقول النبى ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» ولقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم ٣٠).

## أصل القول بانفصال الأرواح:

وأصل القول بانفصال الأرواح عن الأجساد هو من الديانات البدائية. أما الإسلام فيثبت جسدًا قد خلقه الله بخصائص معينة، يوجد بها كلها، ويفنى بها كلها. وفى يوم القيامة يحيا بها كلها.

ومن أسباب القول بانفصال الأرواح: هو أنه فى الأمم البدائية، كان يموت للمرأة المتنعمة ولد، فتحزن على فراقه، لأنه لم يتمتع بثروتها التى ادخرتها له. وتقول: لماذا مات؟

ولماذا كان قد خلق؟ وعندئذ يسليها أصحاب الحيل بأنه سوف يعود ويتمتع. فلا تحزنى. إنه سيعود فى شكل إنسان جميل. إن روحه ستحل فى هذا الإنسان الجميل، وسيتمتع بكل خير فى الحياة. ويقوى الشيطان حيل هؤلاء المحتالين بظهوره لهم فى أى شكل، هو جسم أو خيالات، فيقولون لها: انظرى ها إن روحه ترفرف. هذا سبب.

وسبب آخر: هو أن المرء يحلم: أن الميت قد كلمه بشىء، وقد يكون من كلامه: أنه سيعود. فيظن الحالم؛ لأنه جاهل بحقائق الأشياء: أن هذا سيحدث حقًا.

ومن الأسباب: ما تعارف الناس عليه فى لغة التخاطب من قولهم: حضرت بنفسى. يريد أنى جئت ولم يجئ غيرى نائبًا عنى. وعلى طول الأيام والسنين يظن الأميون: أن النفس غير البدن.



وهذه نماذج من المذاهب على القول بانفصال الأرواح:

**ففى الديانة الزرادشتية:**

إن الروح تحوم عقب الوفاة فوق الجسد ثلاثة أيام، تشقى فيها أو تنعم، وفقًا لسيرة صاحبها فى الحياة. إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. وفى اليوم الرابع تهب من الجنوب على الروح الصالحة ريح طيبة تتضوع بالمسك. وتلتقى روح الميت عند أول الصراط «بل جنوات» - أى جسر المفارقة المضروب فوق جهنم - بفتاة بيضاء الذراعين منقطعة النظير فى جمالها. فتسألها: من أنت؟ فتقول: أيها الشاب الطيب السريرة، الطيب القول، الطيب العمل. أنا وجدانك وضميرك. كنت محبوبة فزدت الناس محبة فى. وكنت جميلة فزدتنى جمالا، ورفعت من شأنى بفكرك الصالح، وقولك الطيب، وعملك المبرور.. الخ»(١).

**وفى الديانة البرهمية:**

تقرر العقيدة البرهمية: إن روح كل كائن تعود فى نهاية مطافها إلى مصدرها الأول، الذى نشأت منه - وهو الله - والإنسان أحد هذه الكائنات، فيعرض له ما يعرض لها، وروحه قطرة من نور الله، انفصلت عن الله إلى أجل محدود، واتصلت به ثم تتصل بعده بكائن آخر، وآخر. وهكذا على طريق التناسخ، وتجوال الأرواح، ثم تعود فى النهاية إلى الله متى جاء الأجل.. إلخ»(٢).

(١) ص ١٤٨ - ١٤٩ الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة على الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى طبعة ١٩٦٤ مكتبة نهضة مصر بالقاهرة.
(٢) المرجع السابق ص ٦٥- ١٦٦.

**وعند النصارى:**

أن المسيح عيسى بن مريم ﷺ صلب وقتل من بعد أن ضفر العسكر إكليلا من شوك، ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان. وكانوا يلطمونه. وكان ذلك فى يوم جمعة. وفى الأناجيل أيضًا: أنه أكل طعام الفصح فى يوم السبت. وهذا تناقض. ويزعمون: أنه وهو فى القبر، نزل إلى نار جهنم، وتعذب فى النار ثلاثة أيام، ثم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله. قيد هذا عنهم. ثم اسألهم: أنتم تزعمون أنه الإله، أو إله. والإله، أو إله لا يصح أن يهان، فكيف أهين المسيح؟ ولسوف يجيبون بأن المسيح مكون من (أ) جسد يسمى ناسوتا (ب) وروح تسمى لاهوتا. والإهانة لم تقع على الروح، وإنما وقعت على الجسد. أى أنهم يقولون بانفصال الأرواح. كما فى الزرادشتية والبرهمية.

وقد رد عليهم ابن تيمية بقوله: «من المعلوم: أن ما يصيب البدن من الآلام، تتألم به الروح. وما تتألم به الروح، يتألم به البدن. فيلزمهم: أن يكون الناسوت لما صلب وتألم وتوجع الوجع الشديد، كان اللاهوت أيضًا متألمًا متوجعًا. وقد خاطبت بهذا بعض النصارى. فقال لى: الروح بسيطة. أى لا يلحقها ألم. فقلت له: فما تقول فى أرواح الكفار بعد الموت. أمنعمة أم معذبة؟ فقال: هى فى العذاب[1]. فقلت: نعلم أن الروح المفارقة تنعم وتعذب، فإذا شبهتم اللاهوت فى الناسوت بالروح فى البدن؛ لزم أن تتألم إذا تألم الناسوت، كما تتألم الروح إذا تألم البدن. فاعترف هو وغيره بلزوم ذلك[2]» أ هـ.

**القول بانفصال الروح هو من فعل الشياطين:**

والقول بانفصال الروح عن جسد المرء. سببه القوى جدًا: فعل الشياطين بالناس. فالشيطان روح. ويتمثل بصور أجسام شتى. كصورة رجل أو فرس، وقد يظهر بصورة خيال أو شبح، أو ظل جسد. وقد يفعل أفعالا عجائبية على قبر ميت. فيظن الناس بسببها: أن روح الميت قد حضرت وفعلت. لعلمهم: أن الجسد قد أرم وبلى.

وفى هذا المعنى يقول الشيخ ابن تيمية -رحمه الله-:

«والشيطان كما قد يتمثل فى المنام بصورة شخص يراه كثير من الناس. يضل بذلك من لم يكن من أهل العلم والإيمان، كما يرى لكثير من مشركى الهند وغيرهم. إذا مات ميتهم يرونه قد جاء بعد ذلك وقضى ديونًا ورد ودائع وأخبرهم بأمور عن موتاهم. وإنما هو شيطان تصور فى صورته. وقد يأتيهم فى صورة من يعظمونه من الصالحين، ويقول:

---

(١) نصارى الكاثوليك يقولون بالمطهر بعد الموت مباشرة.

(٢) ص ١٧٢ ج٢ الجواب الصحيح.

أنا فلان. وإنما هو شيطان. وقد يقوم شيخ من الشيوخ ويخلف موضعه شخصًا فى صورته، يسمونه «روحانية الشيخ ورفيقه» وهو جنى تصور فى صورته.

وهذا يقع لكثير من الرهبان وغير الرهبان من المنتسبين إلى الإسلام. فقد يرى أحدهم فى اليقظة من يقول له: أنا الخليل، أو أنا موسى، أو أنا المسيح، أو محمد، أو أنا فلان. لبعض الصحابة. أو الحواريين ويراه طائرًا فى الهواء. وإنما يكون من الشياطين، ولا تكون تلك الصورة مثل صورة ذلك الشخص. وقد قال النبى ﷺ: «من رآنى فى المنام، فقد رآنى حقًا، فإن الشيطان لا يتمثل فى صورتى» فرؤيته فى المنام حق[1]. وأما فى اليقظة فلا يرى بالعين. لا هو ولا أحد من الموتى. مع أن كثيرًا من الناس قد يرى فى اليقظة من يظنه نبيًا من الأنبياء. إما عند قبره وإما عند غير قبره. وقد يرى القبر انشق، وخرج منه صورة إنسان، فيظن أن الميت نفسه، خرج من قبره، أو أن روحه تجسدت وخرجت من القبر. وإنما ذلك جنى تصور فى صورته، ليضل ذلك الرائى، فإن الروح ليست مما يكون تحت التراب، وينشق عنها التراب.. الخ»[2].

## اختلاف علماء الحديث
## فى
## بقاء الروح من بعد الموت

نبين: أن القائلين بحياة للميت فى القبر، لم يتفقوا على إثبات روح للميت فى القبر، هى تحل فى جسده، ليذوق النعيم أو العذاب. فنقول: كتاب الحديث النبوى اضطربوا فى بيان هذا الأمر، مع اتفاقهم على إثبات نعيم أو عذاب، ومع اتفاقهم أيضا على القول بالانفصال بين الروح والجسد.

فالشيخ «ابن كثير» المفسر، بين فى تفسيره لسورة غافر: أنه إذا كان يوم القيامة اجتمعت الأرواح والأجساد. وهذا منه تصريح بالانفصال بين الروح والجسد. ثم قال هذا الشيخ: إن أهل الحديث يستدلون بآية آل فرعون على إثبات حياة فى القبر للميت. وأن

(١) يقول ابن الباقلانى - من رؤساء الأشاعرة - كان محمد رسول الله، وهو الآن ليس برسول الله. يعنى أن قرآنه ينوب عن ذاته. وذاته ليس لها من بعد موته جسد، تحركه روح. فرؤيته فى المنام - على رأيه - هى رؤية صور وخيالات. كشأن كل الصور والخيالات التى تشاهد فى الأحلام. وجسده قد تحلل فى التراب، وتاهت معالمه. لأنه بشر. وهو مثل البشر فى الموت والحياة. هذا هو معنى قوله: «كان محمد رسول الله».

(٢) الجواب الصحيح ص ١٨٣ - ١٨٤ ج٢.

هذه الآية هى عمدتهم فى الاستدلال. ثم ذكر كلاما حسنا، شكك به فى فهمهم للآية، وقد اجتهد فى إخراجها من الأدلة على عذاب القبر. وإذا خرجت من الأدلة، فليبحث علماء الحديث عن دليل آخر من القرآن. ولن يتيسر لهم. وكيف يتيسر لهم. والله يقول: ﴿من بعثنا من مَّرْقدنا﴾ (يس ٥٢) فقد شبه طول مدة الموت، بطول مدة النائم. ويقول: ﴿لا يذُوقُون فيها الْموْت إلاَّ الْموْتة الأُولىٰ﴾ (الدخان ٥٦) وهى موتة القبر، ولو كان فيه حياة، لذاقوا موتة أخرى.

قال ابن كثير: إن آية آل فرعون؛ مكية. والنبى العربى الذى نزل القرآن بلغته، لم يفهم أنها تدل على عذاب فى القبر، وعائشة أم المؤمنين لم تفهم منها هذه الدلالة. وإذ بينت الأحاديث عدم فهمهما من الآية أنها تدل على عذاب فى القبر؛ فإن فهم القائلين بأنها تدل على عذاب فى القبر، يكون فهما خاطئا.

وأورد الشيخ ابن كثير رواية البخارى المعارضة لرواية مسلم وابن حنبل. فقال: إن البخارى قال: إن النبى فهم من الآية أنها تدل، وأن مسلم وابن حنبل قالا: إن النبى لم يفهم من الآية أنها تدل. وإذا تعارضت الأحاديث، ضعفت الثقة فى رواتها.

وقال ابن كثير: إن النبى بعد مدة من الزمان، صرح بالإثبات بعد النفى. ومعنى هذا: أن إثبات عذاب القبر ليس من آية آل فرعون. وإنما هو من أحاديث. والعلماء يصرحون بأن العقائد لا تثبت إلا بالقرآن وحده. ويتأسس على هذه القاعدة: أن واضع الإثبات بعد النفى يريد أن يلغى بمفرده، ما اتفق عليه العلماء الراسخون فى العلم.

وقال ابن كثير: إن فى إحدى الروايات أنه أثر عن النبى قوله: «أوحى إلى: أنكم تفتنون فى قبوركم» وإننا فى معرض البيان هاهنا نسأل علماء الحديث: أين هى آية الوحى؟ وذلك لأن الوحى فى الأحاديث لا يثبت عقيدة، ويلزم أحد أمرين: إما أن القرآن ناقص، لأن آية الوحى غير موجودة فيه، وإما أن الحديث كاذب. والقول بكذب الراوى أولى من القول بالنقص فى القرآن.

لكن ابن كثير مع هذا الذى شكك به، يصرح بأن الآية فيها الدلالة على عذاب البرزخ؟ ولم يبين لنا كيف دلت. ثم حاول التوفيق بين ما فهمه أهل السنة منها، وبين ما رواه علماء الحديث فى ضد معناها الذى فهموه. وقال في التوفيق كلاما بلا دليل.

ثم لما أعيته الحيل، فرق بين عذاب الكافر، وعذاب المؤمن فى القبر، واستدل على التفرقة بحديث.

وقال ابن كثير: إنه قد يقال إن العذاب للأرواح فقط وهى منفصلة عن أجسادها.



قال ابن كثير الدمشقى فى تفسيره للقرآن العظيم ما نصه:

﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (غافر ٤٥) وهو الغرق فى اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم. فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة. فإذا كان يوم القيامة، اجتمعت أرواحهم وأجسادهم فى النار. ولهذا قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ أى أشده ألما، وأعظمه نكالا.

وهذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور. وهى قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾.

ولكن هنا سؤال. وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية. وقد استدلوا بها على عذاب القبر، فى البرزخ.

وقد قال الإمام أحمد: ثنا هاشم. هو ابن القاسم أبو النضر، ثنا إسحق بن سعيد. هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص، ثنا سعيد، يعنى أباه، عن عائشة -رضى الله عنها- أن يهودية كانت تخدمها، فلا تصنع عائشة رضى الله عنها إليها شيئًا من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر. قالت عائشة -رضى الله عنها- فدخل رسول الله ﷺ على، فقلت: يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال ﷺ: «لا. من زعم ذلك؟» قالت: هذه اليهودية لا أصنع إليها شيئًا من المعروف إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر. قال -صلى الله عليه وسلم- «كذبت يهود، وهم على الله أكذب. لا عذاب دون يوم القيامة».

ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار، مشتملا بثوبه، محمرة عيناه، وهو ينادى بأعلى صوته: «القبر كقطع الليل المظلم. أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرا، وضحكتم قليلا. أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق».

وهذا إسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه.

وروى أحمد ومسلم: ثنا يزيد، ثنا سفيان، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: سألتها امرأة يهودية، فأعطتها. فقالت لها: وقاك الله من عذاب

القبر، فأنكرت عائشة -رضى الله عنها- ذلك. فلما رأت النبى صلى الله عليه وآله وسلم قالت له. فقال صلى الله عليه وسلم: «لا».

قالت عائشة -رضى الله عنها-: ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك: «وإنه أوحى إلى: أنكم تفتنون فى قبوركم» وهذا أيضا على شرطهما.

والجواب: أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوا وعشيا فى البرزخ. وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها فى القبور. إذ قد يكون ذلك مختصا بالروح. فأما حصول ذلك للجسد، فى البرزخ، وتألمه بسببه، فلم يدل عليه إلا السنة فى الأحاديث المرضية، الآتى ذكرها.

وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب للكفار فى البرزخ، ولا يلزم من ذلك: أن يعذب المؤمن فى قبره بذنب.

ومما يدل على ذلك:

ما رواه الإمام أحمد: ثنا عثمان بن عمر، ثنا يونس، عن الزهرى، عن عروة عن عائشة -رضى الله عنها-: أن رسول الله ﷺ دخل عليها، وعندها امرأة من اليهود، وهى تقول: أشعرت أنكم تفتنون فى قبوركم؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يفتن يهود» قالت عائشة -رضى الله عنها- فلبثنا ليالى، ثم قال رسول الله ﷺ: «ألا أنكم تفتنون فى القبور».

وقالت عائشة -رضى الله عنها-: فكان رسول الله ﷺ بعد، يستعيذ من عذاب القبر. وهكذا رواه مسلم عن هارون بن سعيد، وحرملة، كلاهما عن ابن وهب. عن يونس بن يزيد الأيلى، عن الزهرى، به.

وقد يقال: إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح فى البرزخ، ولا يلزم من ذلك: أن تتصل فى الأجساد، فى قبورها. فلما أوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك بخصوصه؛ استعاذ منه والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقد روى البخارى من حديث شعبة عن أشعث، عن ابن أبى الشعثاء، عن أبيه عن مسروق عن عائشة -رضى الله عنها-: أن يهودية دخلت عليها، فقالت: نعوذ بالله من عذاب القبر. فسألت عائشة -رضى الله عنها - رسول الله ﷺ عن عذاب القبر. فقال ﷺ: «نعم عذاب القبر حق» قالت عائشة -رضى الله عنها-: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة، إلا تعوذ من عذاب القبر.

فهذا يدل على أنه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية، فى هذا الخبر، وقرر عليه وفى

الأخبار المتقدمة؛ أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحى. فلعلهما قضيتان. والله سبحانه أعلم» اهـ بنصه.

وليس عند اليهود عذاب فى القبر. فقد جاء فى سفر الزبور: «تنزع أرواحها فتموت، وإلى ترابها تعود، ترسل روحك؛ فتخلق، وتجدد وجه الأرض» فقد ذكر ١- الموت ٢- والقبر ٣- وأن الله يرسل روحه يوم القيامة لإحياء الموتى من القبور. ويجعل أرضا غير الأرض. وجاء فى التوراة: أن الله يحيى المرء بوضع الهواء فى الجسم «ونفخ فى أنفه نسمة حياة» ويميته بحجب الهواء عنه، أو بإعطاب الجسم؛ لئلا يؤثر الهواء فيه. وليس فى القبر جسم صالح لاستقبال الهواء، المعبر عنه بـ «نسمة حياة».



والذى يزيل الاختلاف بين الجسد والروح، ويبين وجه الحقيقة فى أمر الروح: هو القول بنفى الروح المفارقة، نفيا باتا فى حال الحياة، وفى حال الممات. وبيان ذلك: هو أن مخلوقات الله كثيرة فى الطيور وفى الدواب. وكل مخلوق متميز عن غيره. فى الحجم، وفى الصوت وفى الصورة. فالعصافير مكونة من جسد وروح، وهى تغرد. أى تتكلم بلغاتها، كما يتكلم الآدميون بلغاتهم. والكلاب تنبح. ونباحها هو كلامها. ولغة التخاطب عند الحمير هى النهيق، وعند الخيول هى الصهيل. ووجه الشبه واضح بين الإنسان والعصفور والكلب والحمار والحصان فى أن كل واحد له جسد وروح ولغة. ثلاثة أشياء. فلماذا البحث فى روح الإنسان وحده وهو أمة من الأمم التى خلقها الله؟ أين روح العصفور من بعد موته؟ وأين هى روح الكلب وروح الحمار؟ وأين هى أرواح المخلوقات كلها؟ إنه حيث يوجد التشابه بين جميع المخلوقات. وليس من نصوص محكمة على بقاء أرواح لأى من المخلوقين من بعد الموت: فإنه يتحتم القول بأنه ليس من روح قائمة بذاتها، تلف وتدرج فى الكفن. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ (الأنعام ٣٨) وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر ٢٤).

ولئن قلت: إن الله لم يرسل النبيين إلا إلى الآدميين. لوجود العقل فيهم. وإرساله النبيين منهم يدل على تعظيم جنسهم بأرواح مفارقة. فإنه يقال: إن التعظيم متفق عليه. ولكن ليس من نص على أرواح مفارقة. وعند الموت تتساوى كل المخلوقات فى الفناء، كما قال الشاعر:

إذا ما نفقت، ومات الحمار     أبينك فرق، وبين الحمار؟

وعلى هذا فقول الإنسان وهو غافل: أنا فعلت وأنا تركت. لا يدل على روح فيه تتكلم بالنيابة عنه. وإنما جسمه قد خلقه الله هكذا. يتكلم ويشير ويغمز ويلحن ويحلم. كما أن القرد الذى يعقل قليلا، يتكلم بلغته ويشير بإصبعه. والجسم المخلوق هكذا، يميته الله هكذا كما يميت القرد، ثم يحييه فى الآخرة؛ ليعطيه جزاء أعماله.

وفى القرآن قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف ٢٩) وهو قول ينفى الروح المفارقة نفيا باتا. وذلك لأن البدء كان من ﴿مَنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ (القيامة ٣٧) وفيه حياة. هى متولدة فى الحيوان المنوى، فى حال اللذة، ثم إنه فى بويضة الأنثى ينمو رويدا رويدا، حتى يخرج جنينا من بطن أمه، ثم يصير شابا وكهلا، ثم يموت. وإذ ليس من روح مفارقة من قبل اللذة. وإذ الإعادة مثل البدء؛ فإن القول بوجود أرواح مفارقة من بعد الموت، أو فى حال الحياة؛ هو قول باطل.

## من القبر إلى يوم القيامة
## عند اليهود والنصارى

لا يعترف علماء بنى إسرائيل بأن فى القبر سؤال، ونعيم، أو عذاب. ولا يعترفون بحياة للأموات وهم فى القبور. وإنما يعترفون بحياة للأموات فى يوم القيامة. وفى هذا، اليوم يكون سؤال، ونعيم، أو عذاب.

وتصرح التوراة السامرية بيوم الانتقام. وهو يوم الحساب والجزاء على الأعمال. وتصرح التوراة العبرانية بيوم انتقام. قد يكون فى الدنيا، وقد يكون فى الآخرة. وكيف مع هذا، يقال عنهم: إنهم يصرحون بعذاب فى القبور؟

وما يقول به علماء بنى إسرائيل، هو الذى يجب أن يقول به علماء النصارى؛ وذلك لأنهم طائفة من اليهود. فإن عيسى ﷺ قرر لهم أن يسمعوا من علماء بنى إسرائيل، ولا يخالفوهم. فى قوله: «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه؛ فاحفظوه، وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون» (متى ٢٣:٢-٣) فقد أوصى بالحفظ وبالفعل. ولم يوص بالمخالفة. وهم يقولون بأنه لا عذاب فى القبر ولا نعيم. فيجب عليهم أن يستمعوا لقولهم.

والمسيح عيسى ﷺ قد نفى الحياة فى القبر، ونفى السؤال فيه، ونفى العذاب، أو النعيم فيه. وشبه الموت بالنعاس. بجامع عدم الإحساس فى كليهما؛ وصرح بالجنة وبالنار، فى يوم البعث. كما جاء فى القرآن الكريم. فإن فيه تشبيه الموت بالرقاد، وهو النعاس، فى

قوله تعالى حكاية عن الكافرين: «قالوا: يا ولينا. من بعثنا من مرقدنا؟ هذا ما وعد الرحمن، وصدق المرسلون».

ومن المأثور عن عيسى عليه السلام:

١- أن رئيسا من الرؤساء قال له: «إن ابنتى الآن ماتت. لكن تعال، وضع يدك عليها؛ فتحيا. فقام يسوع. وتبعه هو وتلاميذه... ولما جاء يسوع إلى بيت الرئيس، ونظر المزمرين، والجمع يضجون. قال لهم: تنحوا؛ فإن الصبية لم تمت، لكنها نائمة» (متى ٩:١٨-   ) فقد عبر عن الموت بالرقاد.

٢- قال عيسى عليه السلام عن رجل مات ودفن فى القبر. إنه «قد نام» وإنه سيذهب ليوقظه، أى ليحييه من الموت. ففى إنجيل يوحنا: «قال لهم: لعازر حبيبنا قد نام، لكنى أذهب لأوقظه. فقال تلاميذه: يا سيد إن كان قد نام؛ فهو يشفى. وكان يسوع يقول عن موته، وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم. فقال لهم يسوع حينئذ علانية: لعازر مات».

وقالت له أخته: «يا سيد لو كنت هاهنا، لم يمت أخى، لكنى الآن أيضا أعلم: أن كل ما تطلب من الله؛ يعطيك الله إياه. قال لها يسوع: سيقوم أخوك. قالت له مرثا: أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة، فى اليوم الأخير» (يو١١).

فأخت الميت - واسمه «لعازر» وهى اسمها «مرثا» - تعترف بالحياة فى القيامة، ولا تعترف بالحياة فى القبر. كما علمها علماء بنى إسرائيل؛ ولم ينكر المسيح عليها هذا الاعتراف، ولم يراجعها فيه، ولم يصححه. وهو نبى لا يقول خطأ، ولا يقر خطأ. وهذا يدل على أنه شبه الموت بالرقاد، وأن الميت يظل راقدا، لا يدرى ما يفعل به، ولا يعلم عن الأحياء شيئا. إلى أن يأتى اليوم الأخير، فيقوم مع الناس لرب العالمين.

وقد ذكر برنابا معجزة إحياء المسيح للعازر. كما ذكرها يوحنا. وقال: إن علماء من بنى إسرائيل كانوا ضد المسيح؛ قالوا فى أنفسهم عنه: «ليتك ترقد أنت هذا الرقاد» أى تتمنى أن تموت كما مات لعازر. وهذا تعبير منهم يدل على أن الميت كالراقد. لا يحس بشىء مما يدور من حوله. وقال برنابا: إن يسوع قال لأخته: إن أخاك ليس بميت، بل هو راقد؛ لذلك جئت لأوقظه. أجابت مريم باكية: يا سيد إنه يستيقظ من هذا الرقاد يوم الدينونة، متى نفخ ملاك الله ببوقه. أجاب يسوع صدقينى يا مريم. إنه سيقوم قبل ذلك؛ لأن الله قد أعطانى قوة على رقاده» (بر ١٩٢   ).

والمنسوب إلى بولس وشيعته فى حياة القبور، يشبه المنسوب إلى المسيح عيسى عليه السلام:

١- «وكثيرون يرقدون» (١ كو ١١:٣٠).

٢- «وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ، أكثرهم باق إلى الآن، ولكن بعضهم قد رقدوا» (١ كو ١٥: ٦).

٣- «إذا الذين رقدوا فى المسيح أيضا هلكوا» (١ كو ١٥:١٨).

٤- «وصار باكورة الراقدين» (١ كو ١٥: ٢٠).

٥- «لا نرقد كلنا» (١ كو ١٥: ٥١).

٦- «من جهة الراقدين» (١ تس ٤:١٣).

٧- «إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجىء الرب، لا نسبق الراقدين» (١ تس ٤:١٥).

٨- «أنه من حين رقد الآباء، كل شىء باق، من بدء الخليقة» (٢ بط ٣:٤).

٩- ولما رجم اليهود إستفانوس «جثا على ركبتيه، وصرخ بصوت عظيم: يا رب لا تقم لهم هذه الخطية. وإذ قال هذا؛ رقد» (أ ع ٨:٦٠) أى مات شهيدا.

المحكم والمتشابه فى لفظ اليوم الذى حدث فيه الموت توجد فى الأناجيل نصوص متشابهة تدل إما على عذاب فى القبر أو نعيم، وإما على أنه ليس فى القبر عذاب أو نعيم ففى إنجيل لوقا: يقول المسيح لواحد قد قتل وصلب «إنك اليوم تكون معى فى الفردوس» (لو ٢٣:٤٣) قوله «اليوم متشابه يحتمل معنيين اثنين أولهما: اليوم الذى حدث فيه الموت ـ أى فى القبر ـ . وثانيهما : اليوم الذى هو يوم القيامة . ولمعرفة المراد من لفظ «اليوم» نبحث عن النص المحكم . فما هو ؟

إن نصوص التوراة ـ وهى كتاب العقيدة والشريعة لليهود والنصارى ـ تصرح بالمجازاة فى «اليوم الأخير» المسمى بنهاية الأيام، أو «يوم الانتقام» ويعبر فيها عن الموت بالرقاد، وعن الحياة فى الآخرة بالاستيقاظ. ونقطة المقارنة هى: كما أن النائم ليس حيا بالنسبة لما يحيط به ، هكذا الميت لم يعد فى انسجام مع هذه الحياة الأرضية.

والمتفق مع المحكم : هو اليوم الذى هو يوم القيامة. وقد عبر بقوله «اليوم معى فى الفردوس»لأن المدة من حال الموت، إلى حال البعث. هى فى نظر الأحياء مدة، وهى فى نظر الأموات «يوما أو بعض يوم».

وقد قال المسيح عيسى عليه السلام: إن مكافأة الأبرار على برهم ليست فى القبر، وإنما هى فى يوم القيامة. وقوله يدل على أن النص المحكم وهو «يوم الانتقام» هو نص فى يوم القيامة. وليس نصا فى عذاب القبر. ذلك قوله: «إذاصنعت ضيافة. فادع المساكين؛

الجدع، العرج، العمى. فتكون لك الطوبى. إذ ليس لهم حتى يكافوك. لأنك تكافى، فى قيامة الأبرار» وقيامة الأبرار، هى فى يوم الدين. ولم يثبت مكافأة فى القبر.

وبين المسيح: أن النعيم فى الفردوس، أو العذاب فى جهنم. يكون فى يوم القيامة وليس فى القبر. ذلك قوله: «وإن أعثرتك يدك؛ فاقطعها. خير لك أن تدخل الحياة أعرج، من أن تكون لك رجلان، وتطرح فى جهنم، فى النار التى لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت، والنار لا تطفأ...» (مرقس ٩:٤٣ - ).

وعلى سبيل الأمثال. ضرب المسيح مثلا لبيان الفرق بين الفقير الصابر وبين الغنى البخيل. وهو مثل «الغنى ولعازر» فقال:

«كان إنسان غنى، وكان يلبس الأرجوان والبز، وهو يتنعم كل يوم مترفها. وكان مسكين اسمه لعازر، الذى طرح عند بابه مضروبا بالقروح، ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى. بل كانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه.

فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ومات الغنى أيضا ودفن. فرفع عينيه فى الهاوية، وهو فى العذاب، ورأى إبراهيم من بعيد، ولعازر فى حصنه. فناداه وقال:

يا أبى إبراهيم: ارحمنى، وأرسل لعازر، ليبل طرف إصبعه بماء، ويبرد لسانى؛ لأنى معذب فى هذا اللهيب.

فقال إبراهيم: يا ابنى اذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك، وكذلك لعازر البلايا، والآن هو يتعزى وأنت تتعذب. وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة. قد أثبتت، حتى إن الذين يريدون العبور من هاهنا إليكم لا يقدرون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا.

فقال: أسألك إذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبى؛ لأن لى خمسة أخوة. حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضا إلى موضع العذاب هذا.

قال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء؛ ليسمعوا منهم.

فقال: لا. يا أبى إبراهيم بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون.

فقال له إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون» (لو ١٦:١٩-٣١).



إن هذا الكلام الوارد مورد المثل من النصوص المتشابهة التى تحتمل معنيين اثنين. أولهما: أن العذاب أو النعيم فى القبر. وثانيهما: أن هذا الكلام مثل من الأمثال.

والمعنى الأول واضح من قوله: «فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم» أى بعد موته فى الحال؛ ذهب إلى الفردوس، وعاش مع النبى إبراهيم ﷺ. وواضح من قوله: «ومات الغنى...» أى بعد موته فى الحال؛ ذهب إلى الهاوية. وذاق العذاب، وسمع مع رفاقه: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (الأحقاف ٢٠).

والمعنى الثانى: ظاهر فى أنه مثل.

والمعنى الثانى: هو المراد؛ لأن النصوص المحكمة فى التوراة والإنجيل. ومنها: «فى يوم الانتقام» «نهاية الأيام» - «تكافى فى قيامة الأبرار» تدل على أنه لا شىء فى القبر.

## الفصل الثانى

# فى
# أرواح الأكفان

يقول كثيرون من العلماء: إن (أ) الروح[1] شىء (ب) والجسد شىء (ج)وروح الجسد التى يتنفس بها شىء، فالمرء فيه ثلاثة أشياء: جسده وروحه، وروح تنفسه - وحكى عن بعضهم نفس رابعة[2]- والنفس تسمى أيضًا: الروح. أو الإنسان.

ومن هؤلاء العلماء: فخر الدين الرازى، محمد بن عمر بن الحسين -رحمه الله- فإنه تارة يعبر بالإنسان، وتارة يعبر بالنفس التى هى غير روح البدن -روح التنفس- وتارة يعبر بالروح، ويعنى بالتعبير حقيقة واحدة، هى الروح المغايرة للجسد، ولروح الجسد -التى هى روح التنفس- ويسميها بالروح المفارقة، أو النفس العاقلة، أو الإنسان.

وهل النفس جسم مادى يسرى فى أعضاء بدن المرء! أو روح غير مادى ومنفصل عن بدن المرء ويسرى فيه؟

مرة قال: بأن النفس أجزاء مادية مخصوصة موجودة فى جسد المرء، ولكنها لا تفنى بفناء الجسد، يقول فى «معالم أصول الدين»: إن النفس «جوهر جسمانى شريف، حاصل فى داخل هذا البدن».

ومرة قال: بأن النفس جوهر روحى، مفارق للبدن، غير جسمانى.

وهذا القول قد قال به فى «المطالب العالية» وفى «التفسير الكبير».

ومن قبله اختلف الفلاسفة والمتكلمون وأهل الكتاب:

فـ «أرسطو» الفيلسوف قال: إن الجسم والنفس شىء واحد، الجسم مادة، والنفس صورة للجسم. و «أفلاطون» قال: إن النفس جوهر روحى، قائم بذاته، مستقل عن الجسم، والجسم آلة للنفس، و «ابن سينا» قال: إن النفس جوهر روحى قائم بذاته، كما قال «أفلاطون». و «الجبائى» قال: إن النفس جسم. و «النظام» قال: إن الروح هى جسم، وهى النفس. وإن «الروح» جسم لطيف مشابك للبدن، مداخل للقالب بأجزائه، مداخلة المائية فى الورد، والدهنية فى السمسم، والسمنية فى اللبن. و «ابن الباقلانى» قال: إن النفس عبارة

(١) المراد بالروح: الروح العاقلة المفارقة، التى تلف وتدرج فى الكفن، حسب قولهم.

(٢) شرح الصدور للسيوطى.

عن أجسام لطيفة مشتبكة بالأجسام الكثيفة، أجرى الله العادة بالحياة فى بقائها، و «إمام الحرمين» قال: الأظهر عندنا: أن الروح - ويقصد بها النفس - أجسام لطيفة مشابكة للأجسام المحسوسة(١).

وفى إنجيل برنابا: أن النفس شىء، والجسد شىء، والحس شىء. يقول عن المسيح ﷺ: «إن نفس الإنسان وجسده وحسه تخدم الله، فالنفس تنظر وتأمر بالخدمة فقط، لأن النفس لما كانت لا تأكل خبزًا، فهى لا تصوم ولا تمشى ولا تشعر بالبرد أو الحر ولا تمرض ولا تقتل لأنها خالدة، وهى لا تكابد شيئا من الآلام الجسدية التى يكابدها الجسد بفعل العناصر. فأقول: هل من العدل إذا أن تذهب النفس وحدها إلى الجنة دون الجسد، الذى أنهك نفسه بهذا المقدار فى خدمة الله؟ قال بطرس: يا معلم لما كان الجسد هو الذى حمل النفس على الخطيئة، فلا ينبغى أن يوضع فى الجنة. أجاب يسوع: كيف يخطئ الجسد بدون النفس؟ حقًا إن هذا محال، فإذا نزعت رحمة الله من الجسد، قضيت على النفس بالجحيم» (برنابا ١٧٣- ١٩-٢٦) ولسوف نذكر تفرقته بين الجسد والنفس والحس. فيما بعد.



وفى «الموسوعة الفلسفية» التى وضعتها لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين عن النفس ما يلى:

«تعتبر الشعوب البدائية النفس كشىء مادى (الظل، الدم، النفس.. إلخ» وتصور النفس فى الدين على أنها قوة، لا مادية، خالدة، غير متجسدة، قادرة على أن توجد فى انفصال، واستقلال عن الجسد، فى عالم آخر.

والنفس فى الفلسفة المثالية، تتوحد مع العناصر المختلفة للوعى. و «أفلاطون» يسميها بالفكرة الأبدية، ويعتبرها «هيجل» أدنى تجل حسى للروح فى علاقتها بالمادة (حساسة وفاعلة).

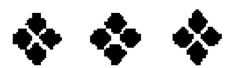
ويجرى النظر إلى النفس فى المذاهب الثينائية على أنها شىء له وجود مستقل، وأنها تعيش بجانب الجسد (ديكارت، وسبنسر، وقونت، وجميس).

وقد اعتبرت المادية السابقة على الماركسية (ديمقريطس، والمادية الميتافيزيقية). النفس شيئًا ثانويًا بالنسبة للجسد، وتتوقف عليه، على حين أنها ردت نشاطها إلى عمليات

(١) راجع كتاب فخر الدين الرازى للمرحوم الزركان وكتاب الروح لابن قيم الجوزية.

أولية آلية، وفيزيقية كيماوية، وغالبًا كان الفلاسفة الماديون مستعدين للإقرار بوجود نفس كلية.

وقد زودتنا المادية الجدلية بتفسير علمى أصيل عن النفس الإنسانية، فلم يجر دحض الأفكار غير العلمية عن النفس، إلا عندما جرت دراسة للظواهر العقلية بشكل تجريبى، وتم اكتشاف المناهج الموضوعية لفحصها» أ.هـ.



وقال الإمام ابن حزم الأندلسى فى الجزء الخامس من «الفصل فى الملل والآراء والنحل»: «اختلف الناس فى النفس».

(أ) فذكر عن «أبى بكر، عبد الرحمن بن كيسان الأصم»: إنكار النفس جملة، وقال: «لا أعرف إلا ما شاهدته بحواسى».

(ب) وقال «جالينوس» و «أبو الهذيل» - محمد بن الهذيل العلاف-: «النفس عرض من الأعراض» ثم اختلفا فقال «جالينوس»: «هى مزاج مجتمع متولد من تركيب أخلاط الجسد» وقال «أبو الهذيل»: «هى عرض كسائر أعراض الجسم».

(ت) وقالت طائفة: «النفس هى النسيم الداخل الخارج بالتنفس، وهى النفس» قالوا: «والروح عرض، وهو الحياة، فهو غير النفس» وهذا قول «ابن الباقلانى» ومن اتبعه من «الأشعرية».



ونقل «ابن حزم» عن «ابن الباقلانى» أنه قال: «كان محمد رسول الله، وليس هو الآن رسول الله» وغرضه من قوله« كان محمد رسول الله»: هو أن محمدًا صلى الله عليه وسلم بشر كسائر البشر، غير أنه مكرم ومعظم بالنبوة والرسالة، والبشر إذا ماتوا، تموت معهم أرواحهم؛ لأنها - أعراض تفنى ولا تبقى زمانين - ومحمد صلى الله عليه وسلم لما كان بشرًا وقد مات؛ فروحه تكون قد ماتت مع الجسد. وليس هو فى قبره بحى يرزق، حتى يقال: إنه من بعد موته - لحياته فى قبره-: رسول الله. وإنه كان رسول الله من قبل موته، أما الآن ولا روح له موجودة، ولا جسد له باق فى قبره. فليس برسول الله؛ لأنه لا يكلم الناس من فمه. وقرآنه هو الذى يكلم الناس نيابة عنه. وهو يتلى الآن ولسوف تستمر تلاوته - وهو كلام محمد - عن وحى الله - وهو رسالته، وطالما هو يتلى، فكأن صاحبه - الذى بلغه للناس - حى. فهو الآن رسول الله، بمعنى أن رسالته باقية. وقرآنه ينوب عنه فى مخاطبته للبشر، أما أن روحه باقية بعد فناء الجسد؛ فلا.

**ويقال لابن الباقلانى:** إذا نفيت عن الوجود راسًا روح محمد ﷺ من بعد موته، وهى الآن لا ترفرف على قبره فى «المدينة المنورة» ولا تبصر زائر القبر، ولا ترد سلام المسلم على رسول الله ﷺ على مذهبك فى الروح فلماذا أقررتم بالتصوف وأبحتم زيارة الأولياء؟ والتصوف لا تثبت له قدم إلا باعتقاد حياة روح الولى، وأنها ترى الزوار وتمشى فى مصالحهم. ولا تزل قدم التصوف إلا بالاعتقاد فى أن أرواح الأموات تعدم حال الموت. ولا توجد إلا فى يوم القيامة. لماذا أقررتم التصوف وأبحتم زيارة الموتى وصرحتم بتقديس سرهم مع أن الروح عرض والعرض يفنى ولا يبقى؟



(ث) وقالت طائفة: «النفس جوهر، ليست جسمًا ولا عرضًا، ولا لها طول ولا عرض ولا عمق، ولا هى فى مكان، ولا تتجزأ، وإنها هى الفعالة المدبرة، وهى الإنسان» وهو قول بعض الأوائل، وبه يقول «معمر بن عمرو العطار» أحد شيوخ المعتزلة.

(ج) وذهب سائر أهل الإسلام والملل المقرة بالميعاد إلى أن النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميزة، مصرفة للجسد.

قال أبو محمد بن حزم: «وبهذا نقول، والنفس والروح اسمان مترادفان لمسمى واحد، ومعناهما واحد».

❖ ❖ ❖

وفى تفسير القرطبى عن النفس: «والصحيح فيه: أنه جسم لطيف مشابك للأجسام المحسوسة يجذب ويخرج، وفى أكفانه يلف ويدرج. وبه إلى السماء يعرج، لا يموت ولا يفنى، وهو مما له أول، وليس له آخر: وهو بعينين ويدين».

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والإنسان مؤلف من بدن وروح، وهى عين قائمة بنفسها عند سلف المسلمين وأئمتهم وجماهير الأمم»(١).

ويقول شيخ الإسلام أبو حامد الغزالى: «وأما الفاجر فتؤخذ نفسه عنفًا فإذا وجهه كآكل الحنظل. والملك يقول: اخرجى أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث: فإذا له صراخ أعظم ما يكون، كصراخ الحمير. فإذا عزرائيل ناولها زبانية، قباح الوجوه، سود الثياب، منتنى الرياح، بأيديهم مسوح من شعر، فيلفونها فيه: فتستحيل شخصًا إنسانيًا، على قدر الجرادة»(٢).

(١) الجواب الصحيح ج٢ ص ١٤٢.

(٢) ص ١٠ الدرة الفاخرة.

«فإذا قبض الملك النفس السعيدة، تناولها ملكان حسان الوجوه، عليهما أثواب حسنة، ولهما روائح طيبة، فيلفونها فى حرير الجنة. وهى على قدر النحلة. شخصًا إنسانيًا»(٣).

ويقول الإمام القرطبى فى كتابه التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة: «إن الروح والنفس شىء واحد، وأنه جسم لطيف، مشابك للأجسام المحسوسة، يجذب ويخرج، وفى أكفانه يلف ويدرج، وبه إلى السماء يعرج، لا يموت ولا يفنى. وهو مما له أول وليس له آخر. وهو بعينين ويدين، وأنه ذو ريح طيب وخبيث. وهذه صفة الأجسام لا صفة الأعراض».

## رأى شيخ الإسلام فخر الدين الرازى فى الروح

وقد أورد الإمام رأيه فى النفس فى «التفسير الكبير» على هذا النحو:

أولا: قال فى تفسير الآية المائة والسبعين من سورة آل عمران:

إن الدليل على إثبات نفس هى غير البدن، وغير روح تتفس البدن:

١- أن أجزاء بدن الإنسان من أول العمر إلى آخره تأخذ فى التحلل والذوبان والتبدل، والإنسان المخصوص - أى النفس - شىء باق من أول العمر إلى آخره والباقى مغاير للمتبدل.

٢- أن الإنسان قد يكون عالمًا بنفسه حال ما يكون غافلا عن جميع أعضائه وأجزائه. والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم. وقال الإمام ما نصه: «فثبت بهذين الوجهين: أنه شىء مغاير لهذا البدن المحسوس: ثم بعد ذلك يحتمل أن يكون جسمًا مخصوصًا ساريا فى هذه الجثة، سريان النار فى الفحم، والدهن فى السمسم وماء الورد فى الورد، ويحتمل أن يكون جوهرًا قائمًا بنفسه ليس بجسم ولا حال فى الجسم» اهـ.

ثانيًا: قال فى تفسير الآية الثانية والأربعين من سورة الزمر:

«المقصود من الآية: أنه تعالى يتوفى الأنفس عند الموتى وعند النوم إلا أنه يمسك الأنفس التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى، وهى النائمة إلى أجل مسمى، أى إلى وقت ضربه لموتها فقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر٤٢) يعنى: أنه تعالى يتوفى الأنفس التى يتوفاها عند الموت، يمسكها ولا يردها إلى البدن، وقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ

(٣) ص ٧٠ الدرة الفاخرة.

أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعنى: أن النفس التى يتوفاها عند النوم، يردها إلى البدن عند اليقظة، وتبقى هذه الحالة إلى أجل مسمى، وذلك الأجل هو وقت الموت.

فهذا تفسير لفظ الآية، وهى مطابقة للحقيقة ولكن لا بد فيه من مزيد بيان. فنقول: النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحانى إذا تعلق بالبدن حصل ضوؤه فى جميع الأعضاء - وهو الحياة - فنقول: إنه فى وقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن، وعن باطنه وذلك هو الموت، وأما فى وقت النوم، فإنه ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه ولا ينقطع ضوؤه عن باطن البدن، فثبت: أن الموت والنوم من جنس واحد إلا أن الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه.

وإذا ثبت هذا ظهر أن القادر العالم الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يقع فى ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه. وذلك اليقظة.

وثانيها: أن يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه، وذلك هو النوم.

وثالثها: أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية، وهو الموت.

فثبت: أن الموت والنوم يشتركان فى كون كل واحد منهما توفيًا للنفس ثم يمتاز أحدهما عن الآخر بخواص معينة فى صفات معينة» أ.هـ

وآية سورة الزمر هذه، لأن فيها إمساك الأنفس، اختلف العلماء فى تفسيرها. فمن فهم أن الإمساك لا يكون إلا لجسم، قال بأن النفس جسم، ومن فهم أن التعبير مجاز عن أن ما فى الكون لا يخرج عن يد الله، قال بتأويل آخر، وهذا هو بعض ما جاء فى كتب التفاسير، ليتضح المعنى ويظهر. فى تفسير «لباب التأويل فى معانى التنزيل» لعلى بن محمد بن إبراهيم الخازن، رحمه الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ﴾ (الزمر٤٢) أى الأرواح ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾ أى فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجلها وهو موت الأجساد ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ والنفس التى يتوفاها عند النوم، وهى التى يكون بها العقل والتمييز، ولكل إنسان نفسان: نفس هى التى تكون بهاالحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة، والنفس الأخرى هى التى يكون بها التمييز، وهى التى تفارق عند النوم، ولا يزول بزوالها التنفس ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ أى فلا يردها إلى جسدها ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ﴾ أى

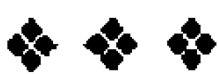
يرد النفس التى لم يقض عليها الموت إلى جسدها ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أى إلى أن يأتى وقت موتها، وقيل: إن للإنسان نفسا وروحًا. فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح».



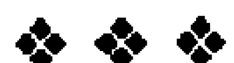
وفى تفسير ابن كثير: إن الله يتوفى الأنفس.

(أ) الوفاة الكبرى، بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان.

(ب) والوفاة الصغرى عند المنام، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام ٦٠-٦١) فذكر الوفاتين: الصغرى، ثم الكبرى، وفى هذه الآية، ذكر الكبرى ثم الصغرى.



وفى تفسير القرطبى: «وقال ابن عباس فى ابن آدم نفس وروح، بينهما مثل شعاع؛ فالنفس هى التى بها العقل والتمييز، والروح هى التى بها النفس والتحريك، فإذا نام قبض الله نفسه، ولم يقبض روحه، وهذا قول ابن الإنبارى والزجاج، قال القشيرى: وفى هذا بعد، إذ المفهوم من الآية: أن النفس المقبوضة فى الحالتين: شىء واحد».



وهذه هى أدلة الإمام فخر الدين، التى أوردها على أن النفس جوهر روحى، فى تفسير الآية التاسعة والستين بعد المائة من سورة آل عمران، وتأويله لها:

١- لقد عبر الإمام عن النفس بالذات المخصوصة، وقال إن الذات المخصوصة ترد إلى الله فى القبر مع الحياة، قال ما نصه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام ٦١) وهذا عبارة عن موت البدن، ثم قال: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ (الأنعام ٦٢) فقوله: ﴿رُدُّوا﴾ ضمير عنه، وإنما هو بحياته، وذاته المخصوصة، فدل على أن ذلك باق بعد موت البدن».

٢- قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي

عبادي * وادخلي جنتي﴾ (الفجر ٢٧-٣٠) ولا شك أن المراد من قوله: ﴿ارجعي إلى ربك﴾: الموت، ثم قال: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ وفاء التعقيب تدل على أن حصول هذه الحالة يكون عقيب الموت.

٣- قوله تعالى: ﴿فأمَّا إن كان من المُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وجَنَّةُ نَعيم﴾ (الواقعة ٨٨-٨٩) وفاء التعقيب تدل على أن هذا الروح والريحان والجنة: حاصل عقيب الموت.



وبعدما فرغنا من ذكر كلام أهل الحديث وأهل الكلام عن الروح، نذكر ما جاء فى العلم الحديث عن الروح ونبين أن أهل الحديث وأهل الكلام قالوا فى الروح بما ثبت خطؤه، بالعلم الذى يوافقه القرآن العلم الذى صح وثبت إلى هذا اليوم.

**الصواب فى مسألة النفس:**

إن كل امرئ مركب من (أ) جسد (ب) وروح تنفس. وليس غيرهما فى ذات الإنسان، والجسد مع روح التنفس هو «النفس» أى لا يصح - على الحقيقة - إطلاق النفس على الجسد بدون روح التنفس، وهى ليست شيئًا ثالثًا، لأن الحيوان المنوى كان حيا حال نزوله فى الرحم، وهو نفسه صار علقة.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ (النور٦١) ووجه الاستدلال. أن نطق الإنسان بكلمة السلام وسماعه، لا يتأتى إلا من جسد وروح. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ (النحل ١١١) ووجه الاستدلال: أن الإنسان لا يجادل يوم القيامة، إلا إذا لبست الأرواح الأجساد. وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر ٣٨) والمخاطب هو الإنسان بجسده وروحه.

وعلى ما قدمنا تكون «النفس» على الحقيقة: هى روح التنفس مع الجسد. وعلى المجاز قد تأتى كلمة «النفس».

(أ) قد تأتى بمعنى «الطينة» التى خلقت منها النفس. فقد روى عن أبى جعفر الباقر: أن الله تعالى خلق حواء من فضل الطينة التى خلق منها آدم، كما جاء فى تفسير مجمع البيان عند قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء١).

(ب) وقد تأتى كلمة النفس مجازًا على الجسد دون روح تنفسه، كما قيل فى

الأحاديث النبوية: «ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه» فالمراد بالنفس فى الحديث: الجسد.

(ث) وقد تأتى بمعنى السر، مثل: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ (المجادلة ٨)

وقد وردت كلمة «الإنسان» لمجموع روح التنفس والجسد، كما وردت كلمة «النفس» فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج ١٩-٢١) وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ (القيامة ٣٦-٣٨) فالإنسان قد خلقه الله على صفة الهلوع، والإنسان الذى خلقه الله لن يتركه سدى(١).

## النفس والروح فى التوراة

وفى التوراة(٢) وردت كلمة «النفس حقيقة ومجازا.

---

(١) راجع ج٥ ص ٦٥ الفصل لابن حزم.

(٢) وفى التكوين ٢:٧ وهى: «وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفسا حية» تدل «نسمة حياة» وهى «روح الحياة» فى تكوين ٦:١٧: على أن نفس المرء، ليس لها كيان ذاتى، منفصل عن الجسد؛ لأنها هبة هواء، كناية عن قدرة الله تعالى وعظمته. وتدل: على أن النفس التى هى هبة هواء. وظيفة من وظائف الجسد المادى، عندما أصبح حيا بالروح المجردة. وبناء على هذا الرأى: يصبح فناء النفس أمرا حتميا عند الموت، أى عند خروج الروح.

وهذا هو ما فى القرآن الكريم عن «النفس» فإنه يقول: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ (الأعراف ٢٩) ولم تكن روح آدم من قبل جسده، ومثله يكون الموتى. فإن الله يوجد أجسامهم، ثم يجعل الهواء يمر عليهم؛ فيحيون. وقد بين القرآن الكريم: أن الروح هى مركز الوظائف الروحية العليا فى الإنسان. ولكن هذا البيان هو لروح متلبسة بجسد؛ إذا فنى، لم تكن لروحه أى فائدة ما. وفى القرآن الكريم ما يشابه «نسمة حياة» وهو قوله تعالى: ﴿فإذا سويته، ونفخت فيه من روحى﴾ (الأعراف ٢٩) وأيضا: ﴿ثم سواه، ونفخ فيه من روحه﴾ (السجدة ٩) أى أوجدناه بقدرتنا، لا أننا فصلنا جزءًا من روحنا، ووضعناها فى جسده. إذ لو كان كذلك؛ لكان الله جسما، ولكانت روحه ناقصة. وهذا لا يقول به ذوو البصيرة. لأن الله منع الجسمية عن ذاته بقوله: ﴿ليس كمثله شىء﴾ (الشورى ١١) وقد جاء شبهه فى التوراة كثيرا. ومن ذلك «ليس مثل الله» فى سفر التثنية.

فعلى الحقيقة هى اسم لكل حيوان حساس فيه روح (تك ١: ٣٠) وعلى المجاز أتت بالمعان الآتية:

١- الدم: «لا تأكل النفس مع اللحم» (١٢: ٢٣).

٢- صورة الإنسان: «حتى الرب الذى صنع لنا هذه النفس» (إر٣٨: ١٦).

٣- الروح: «نفس سيدى محزومة فى حزمة الأحياء» (أمل ٢٥: ٢٩).

٤- الإرادة: «جعل عظماءه إلى حكمه» (مز١٠٥: ٢٢) أى إلى إرادته ومثل هذا النص قوله: «ولا يسلمه إلى نفوس أعدائه» (مز ٤٠: ٣) يعنى لا يسلمه إلى إرادتهم.

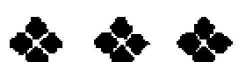
وفى التوراة وردت كلمة «الروح» حقيقة ومجازًا. فعلى الحقيقة هى اسم للهواء، لأن الهواء هو الذى يحيى الأجسام، وبانعدامه تنعدم الأجسام، ففى الآية الثانية من أول سفر التكوين: «وريح[1] الله يرف» وعلى المجاز أتت بالمعان الآتية:

١- روح كل ذى جسد: «روح يذهب ولا تعود» (مز ٧٨: ٣٩).

٢- روح الإنسان: «ويعود الروح إلى الله الذى وهبه» (جا ١٢: ٧).

٣- فيض إلهى: «روح الرب تكلم فى» (٢ مل ٢٣: ٢).

٤- الغرض والإرادة: «ويهراق روح مصر فى داخلها وأبيد مشورتها» (إش١٩: ٣) أى تتبدد إرادتها.



ونعتقد بأن الذين قالوا بأن النفس ليست شيئًا مغايرًا لجسد الإنسان وروح تنفسه، بل هى مجموع الجسد وروح تنفسه هم الذين أصابوا كبد الحقيقة، وذلك لأن الإنسان إذا جامع امرأته، يخرج منه «منى» فيه حيوانات منوية كثيرة، تدرك بالميكروسكوب، وتسعى وتتحرك مثل الدود الكثير. وحيوان واحد يدخل فى رحم المرأة، وبه تحبل المرأة فى الذى سيولد. وهذا الحيوان الذى دخل فى رحم المرأة، لو لم يكن حيًا، ما لقح البويضة. وهو جسم صغير جدًا وفيه روح صغيرة جدًا على قدر حجم الجسم. والجسم والروح معًا، منفصلان من الإنسان حال الجماع. من دمه الذى فى جسمه، فلماذا يقول أهل الحديث: إن الملك ينفخ الروح فى الشهر الرابع؟ وقال بعضهم: بعد أربعين يوما.

ثم إن الحيوان المنوى وهو فى رحم المرأة، ينمو ويكبر حتى يصير «علقة» وهى تنمو

(١) ترجمها النصارى «وروح الله» ليثبتوا ألوهية الروح القدس (انظر كتاب: أقانيم النصارى).

وتكبر حتى تصير «مضغة» وهى تنمو وتكبر حتى تكون «عظاما» ثم يكسو الله العظام لحمًا، وينشئه خلقًا آخر ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون ١٢ : ١٦).

١- من الطين. وهذا لآدم وحواء.

٢- من النطفة. وهذا لعموم نسل آدم وحواء.

٣- النطفة تتحول إلى علقة.

٤- العلقة تتحول إلى مضغة... إلخ.

٥- ثم الموت.

٦- ثم البعث فى الآخرة فى يوم القيامة.

وقوله: ﴿مِّن طِينٍ﴾ يدل على أن الروح لم تكن موجودة قبل خلق الجسد. ومثل ذلك مثل تولد الدود من الطين، وأى كائن من تراب الأرض. فإن عطونة الطين تولد الكائن بجسمه وروحه. ولا تدل على انفصال الروح عن الجسد. وقد بين الله اشتراك بنى آدم مع سائر ما يتولد من تراب الأرض فى أصل الخلقة. فى قوله تعالى ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ (الأنعام ٣٨) وما سمعنا عن أرواح لطيور أو لوحوش قبل خلق أجسادها. فكذلك الإنسان.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ يدل على عدم الجسد والروح معًا، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ يدل ظاهره على بعث الجسد والروح معًا فى يوم القيامة، ولا يدل ظاهره على بعث الجسد والروح معًا فى القبر.



وإن الله تعالى خلق الجسد بخصائص. وهذه «الخصائص» مستعدة لقبول «الهواء» وإذا قبلت الهواء كان «الجسد» حيًا بالهواء الذى دخل فيها، فالهواء هو المنعش للروح، إذا صادف الجسد حالة كون خصائصه سليمة من العطب والتلف، ولا ينتفع الجسد بالهواء إذا

فسدت خصائص الجسد، فالجسد حى ليس بحياة زائدة عليه، بل بالحياة التى كانت فى النطفة والعلقة والمضغة، وهى الحياة التى جعلته جسدًا والهواء ينعشها ويقويها.

وقد عبرت التوراة عن هذا المعنى. فقالت عن خلق آدم: «وجبل الرب الإله آدم، ترابا من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة» (تك ٢:٧) أى هبة هواء.

ومثل ذلك مثل «الفحم» فإن فيه خصائص ذاتية إذا مر عليها الهواء - بعد الإيقاد - صار الفحم نارًا. وإذا فسدت خصائص الفحم المستعدة لقبول الهواء، فإن الهواء لا يؤثر فى الفحم، لإظهار النار. وهكذا الجسد، إذا فسدت خصائصه المستعدة لقبول الهواء، لا يؤثر فيه الهواء، لانتعاش حياة. والعضو من الجسد إذا فسدت خصائصه، ولم تعد صالحة لقبول الهواء، لا يتحرك العضو لأنه قد مات.

وهل الروح مفرقة على الأعضاء؟ حتى يقال: إنه إذا هلك عضو من أعضاء الجسد، هلك ما يقابله من الروح.

والله تعالى قد خلق الجسد بخصائص تقبل الهواء. وفى الحياة الآخرة يعيد الله تعالى الجسد بخصائصه المتميزة التى كانت فيه فى الحياة الدنيا، وإذا أعاد الجسد بخصائصه، يمر الهواء عليه، فيكتسب الجسد بمرور الهواء حياة كحياة الدنيا.

وعلى ذلك، فليست الروح جسمًا ماديًا وليست جوهرًا روحيا مجردًا، بل هى «هواء» يمر على جسد، فيه خصائص متميزة، يحيا بها، إذا قبل الهواء.

والأجساد مختلفة، وخصائص الأجساد مختلفة كبصمات الأصابع.

وإذا مر الهواء على الجسد، المستعد لقبول الهواء بخصائصه الذاتية، وصارت الحياة فى الجسد، يوجد الإحساس ويوجد الشعور، وتتوارد الخواطر، وتتشأ الأفكار، فالهواء وخصائص الجسد، يكونان حياة، والحياة من لوازمها الإحساس والشعور وتوارد الخواطر والأفكار، وإذا انعدم الهواء، أو انعدمت خصائص الجسد، ينعدم بالتالى توارد الخواطر والأفكار، فلو كانت الخواطر والأفكار من «نفس» مستقلة عن الجسد والروح، لظهرت الخواطر بعد انعدام الهواء، أو بعد فساد خصائص الجسد.

والقرآن الكريم قد سجل على الكافرين قولهم يوم القيامة: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا من مَرْقَدِنَا﴾ (يس ٥٢) فتعجبهم فى هذا الوقت يدل على أنهم كانوا فاقدين للإحساس وللشعور فى القبر. وهم قد فقدوا الإحساس والشعور لأن الأجساد صارت معدومة.

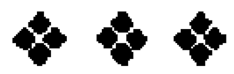
وهذا هو ما عبر عنه داود عليه السلام بقوله لله تعالى: «يا رب إلهى. أنر عينى؛

لئلا أنام نوم الموت» (مز ١٣:٣).

وهذا هو ما عبر عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى قوله: «كما وضع للناس أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة» (عب ٩:٢٧) أى لا حياة فى القبور ولا نعيم ولا عذاب.



والذين قالوا بأن الروح جسم مخالف بالماهية والحقيقة لهذا الجسم الذى هو جسد الإنسان، استدلوا على رأيهم بظواهر آيات قرآنية لم يردوها إلى محكمها وأحاديث هى آحاد، وحكايات خرافية وحكايات منامية. منها قول ابن القيم فى كتاب «الروح». «سماك ابن حرب قد ذهب بصره، فرأى إبراهيم الخليل فى المنام، فمسح على عينيه، وقال: اذهب إلى الفرات، فتنغمس فيه ثلاثا، ففعل: فأبصر». أ.هـ أما الحكايات فنترك الحديث فى ردها ونقدها، لأن الحكايات ليست بحجة معتبرة لا عند الموافق ولا عند المخالف، وأما الأحاديث فإنها قد خرجت من الأدلة - فى العقائد - لكونها آحادًا.



وأما الأدلة القرآنية، فإننا نذكرها، ونرد متشابهها إلى المحكم:



استدل ابن القيم فى روحه على إثبات الروح التى تلف وتدرج فى الكفن. التى هى جسم عنده بما يلى:

**الدليل الأول:** ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الزمر ٤٢) فإنه أخبر بتوفيها وإمساكها وإرسالها.

**الرد عليه:**

إن الله عبر عن «الموت» بـ «الوفاة» لأنه إذا مات الإنسان صار له أجر عند الله، على أعماله فى الدنيا. والأجر من بعد انتهاء العمل. ولا بد من أن يحصل عليه؛ لقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ (فاطر ٣٠) وإذا عبر بالوفاة عن الموت؛ فلأنه واقع عقيبه، ولازم عنه.

وعلى ذلك. يكون المعنى هو: أن الله يميت الناس حين يحين أجلهم الذى أقته لأجسادهم فى الدنيا. يميت الناس كلهم. الناس الذين حان أجلهم. والناس الذين لم يحن

أجلهم. يميتهم بالنوم. وهم كلهم يوفيهم جزاء أعمالهم. أى يحصيها عليهم فى كتاب الحفظة الكاتبين. ومن أحصى وعرف وحكم وعدل: فإنه يكون قادرا على الوفاء. فالوفاة فى ﴿يتوفَّى الأَنفُس﴾ بمعنى الموت. وعبر بالوفاة عن الموت؛ لأداء المعنى كاملا. فإن من يأخذ حقه يعلم بالضرورة أنه قد مات.

وهذا القول متشابه؛ لأنه يحتمل معنيين: المعنى الأول: التوفية حال الموت. والمعنى الثانى: التوفية فى يوم القيامة، ومعلوم: أنه من الموت إلى الجنة أو إلى النار: مدة لا يحس المرء بطولها. والمعنى الثانى هو المراد. وذلك لموافقته للمحكم وهو قوله تعالى: ﴿ووُفِّيتْ كُلُّ نفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ (الزمر ٧٠).

وأيًا ما كان المعنى، فإن آية ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُس حِين موْتِهَا﴾ لا تثبت انفصال روح زائدة عن الجسد، لأنه جاءت فى القرآن آيات تدل على أن النفس هى مجموع روح التنفس والجسد. منها: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ (آل عمران ٢٥) - ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ - ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ (النحل ١١١) - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ (البقرة ٤٨) - ﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة ٢٣٣) - ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ (آل عمران ٣٠) - ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ (الزمر ٥٦) - ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق ٢١) - ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ (البقرة ٧٢) - ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ (المائدة ٣٢) - ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ (الكهف ٧٤) - ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾ (القصص ١٩) - ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ (القصص ٣٣).

فأنت ترى مما تقدم: أن النفس المقتولة هى الجسد والروح، والنفس التى ستجد عملها هى الجسد والروح، والنفس التى تكلف هى الجسد والروح، والنفس التى سيأتى معها سائق وشهيد هى الجسد والروح. فإذا قال الله إنه يتوفى الأنفس فإنه لا يقصد نفسًا زائدة هى غير الجسد وروح تنفسه، بل يقصد الجسد وروح تنفسه معًا، لأنهما معًا مثلهما مثل المقعد والأعمى اللذان تعاونا معا على إفساد ثمر البستان.

**الدليل الثانى:** ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا

أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ (الأنعام ٩٣) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الأنعام ٩٤) وفيها أربعة أدلة:

١- بسط الملائكة أيديهم لتناولها.

٢- وصفها بالإخراج والخروج.

٣- الإخبار عن عذابها فى ذلك اليوم.

٤- الإخبار عن مجيئها إلى ربها.

**الرد عليه:** إن قوله ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ نص متشابه يحتمل معنيين: أولهما: إخراج الجسد والروح معا من هذه المشقة، ومثل ذلك مثل إنسان وقع فى بحر وأدركه الغرق، وصاح عليه إنسان وقال له: أخرج نفسك من الماء. وثانيهما: إخراج الروح وحدها من الجسد، وعلى المعنى الأول يكون بسط اليد كناية عن استعدادهم لإماتتهم بالجسد، وروح تنفسهم، وختم صحيفة أعمالهم. وعلى المعنى الثانى يكون بسط اليد لأخذ الروح المفارقة، والمعنى الأول هو المراد لقوله فيما بعد: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ والمجىء لروح التنفس والجسد معًا فى الآخرة، لا كما فهم «ابن القيم» من أن المجىء للروح المفارقة وحدها، لأنه جاء بعد المجىء ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ والمخاطب بترك الأشياء وراء الظهور، وتخليهم عن الشفعاء هو الجسد وروح تنفسه لأن الروح المفارقة لا ظهر لها. ولا يرى لها شفيع.

**الدليل الثالث:** قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم(١) بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ﴾ (الأنعام ٦٠-٦٢) فقد أخبر بتوفى الأنفس بالليل، وببعثها إلى أجسادها بالنهار، وبتوفى الملائكة لها عند الموت.

**الرد عليه:**

معنى الكلام: أ- الله حكم بالنوم على الناس، ثم إنه يوقظهم من نومهم، ويعلم

(١) لما صار النوم شبيها بالموت، والموت يلزمه توفية الأجر؛ عبر عن شبيهه بتوفية الأجر. فقوله ﴿**يتوفاكم بالليل**﴾ تعبير مجازى عن النوم.

أعمالهم. ب- ويستمر النوم وتستمر اليقظة إلى أن يأتى أجل الميت. ج- وإذا جاء أجل الموت، تقبض الملائكة أرواح بنى آدم، وتوضع الأجساد فى القبور. د- وفى يوم القيامة يحيى الله الناس، ويردهم إليه.

هذا هو معنى الكلام. فأين منه الدلالة على حياة فى القبور؟ وهو نفسه معنى ما فى الإنجيل. وهو: «كما وضع للناس أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة» أى يوم الدين والحساب.

**الدليل الرابع:** قوله تعالى: ﴿يا أَيَّتُها النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً * فادْخُلِي فِي عِبادِي * وادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر ٢٧-٣٠) فقد وصفها بالرجوع والدخول والرضا، واختلف السلف هل يقال لها ذلك عند الموت أو عند البعث أو فى الموضعين؟ على ثلاثة أقوال.

**الرد عليه:** النفس المطمئنة هى الإنسان المطمئن بما قدره الله تعالى وبما أجراه عليه فى الدنيا، أى المستسلم لأمره، المطمئن بعدله ورحمته، وليست النفس هى الروح المفارقة حالة كونها منفصلة عن الجسد، ألا ترى أن قوله تعالى ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ (النور ٦١) لا يدل على سلام على النفس وحدها وهى منفصلة عن الجسد، فكذلك النفس المطمئنة. ثم إن اختلاف السلف لا معنى له. فإنه إذا قيل لها عند الموت. كان القول لها وللجسد، لأنها لم تنفصل بعد عن الجسد، وإذا قيل لها عند البعث، فقد حبى الجسد وحلت فى الروح، ولو أن «ابن القيم» أصر على قوله بأن النفس المطمئنة هى المنفصلة عن الجسد، لكان دخولها فى الجنة فى يوم القيامة بدون جسدها؛ فيكون التعيم للروح وليس للجسد - وهذا لم يقل به إلا الفلاسفة المصرحون بالبعث الروحانى والنصارى -.

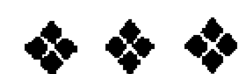
أى إن الله تعالى قال للنفس المطمئنة: ﴿ادْخُلِي جَنَّتِي﴾ فهل تدخل النفس وحدها أم تدخل النفس والجسد؟ إذا النفس المطمئنة هى الروح والجسد، والاطمئنان صفة لهما.

**الدليل الخامس:** قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (الأعراف ٤٠) يقول ابن القيم: وهذا دليل على أن أرواح المؤمنين تفتح لهم أبواب السماء، وهذا التفتيح هو تفتيحها لأرواحهم عند الموت.

**الرد عليه:** إن التعبير بقوله: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ هو كناية عن بعدهم عن

رحمة الله، كما يقال: افتح لى أبواب رحمتك وافتح لى أبواب الخير. وليس التعبير هذا نصًا فى أرواح مفارقة لأجسادها.

تلك هى الأدلة القرآنية عند «ابن قيم الجوزية» والرد عليها.



وأما آية الشهداء وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون فإن العندية ليست للقرب المكانى، لاستحالته، وإنما المعنى: سيصيرون فى الآخرة أحياء، وعبر بالآن دلالة على تحقيق الوقوع من جهة، ولأن المدة من الموت إلى البعث قليلة من جهة أخرى. وهى آية متشابهة، ومحكمها هـو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران ١٨٥) فقد أثبت التوفية فى القيامة، ومنعها فى القبر، للشهيد وغيره.



ومن أسباب القول بأن النفس شىء منفصل عن الجسم وروح التنفس:

١- الاعتقاد فى المساءلة فى القبر للنعيم أو للعذاب فيه، ذلك لأن الناس يشاهدون جسد الميت قد رم وبلى. وروحه قد فارقته حال الموت، كما يفارق الحيوان روحه وقت موته أو ذبحه، ولكى يقنعوا الناس بما فى القبر، قالوا: إن الروح شىء غير الجسد وروحه، وأنها هى التى تعاد فى القبر للمساءلة. هذا هو قولهم. والمشكلة باقية. لأن الروح المنفصل ليس من دليل قرآنى محكم على وجوده، ولأن الروح المنفصل إذا حضر للمساءلة فلا بد من جسد يليه، وإذا عذب بدون الجسد فإنه ما فعل شيئًا بمفرده يستحق عليه العذاب، لأن الجسد كان آلة له.

٢- أهل التصوف يقدسون الولى فى حياته، وإذا مات يعز فراقه على أتباعه، ويحدث قنوط ويأس عندهم من مفارقة الولى الذى كان سكينة لقلوبهم، ولكى يبعد رؤساؤهم القنوط واليأس من قلوب العامة، ادعوا أنه وإن مات، فإن روحه باقية حية مبصرة، وغلا بعضهم وشط بقوله: وجسده أيضًا لا يبلى فى التراب. وليس على بقاء روحه من دليل محكم ولا على بقاء جسده.

٣- إذا مات ميت محبوب فى أهله، يقول الناس فى التسلية عنه: إنه وإن غاب عنا بجسمه، فإن روحه معنا، وبمرور الأيام حسب العامة أن هذا التعبير على حقيقته. ولقد كان فى أصل وضعه تعبيرًا عن أن أعماله حسنة يقتدى بها، ونشأ جيل من صغار قراء القرآن، استغلوا عاطفة الابن الصغير نحو أبيه الشفوق الذى مات، وعاطفة الزوجة على

زوجها الحنون الذى تركها وهى فى ريعان الشباب وسائر العواطف، وأوهموهم بأن روح الميت تأتى إلى القبر من عصر الخميس إلى صبح السبت وأنها تسمع كلام زوار القبر وتراهم، وقد صدق الأميون هذا الوهم وذهبوا إلى المقابر بدراهم ودنانير وحبرا وحلوى وفاكهة، بل نام نساء ورجال معا. فى حجرات بنوها وزينوها. للمباهاة والفخر

وأنا نفسى كنت أعتقد كما يعتقدون. فإنه لما مات أبى وأنا صغير السن. كنت أجتهد فى قراءة القرآن لأهب ثوابه له، وكنت أزور قبره وأقرأ عند رأسه سورة يس. وتبارك الملك. والواقعة، وهلى أتى على الإنسان حين من الدهر.

إلى أن سمعت عالما يقول:

لو فرضنا «زيدا» من الناس يمشى على طريق بجانبه نهر عظيم. وخرج على «زيد» هذا «أسد» وأكله. وغرق الأسد فى «النهر» فأكلته الأسماك. وتصادف أن صيادا رمى شبكته فى النهر، فدخلت فيها «الأسماك». فحملها وباعها للناس فى سوق المدينة. فإن «زيد». الذى أكله الأسد، كيف يكون حيا فى قبره ولم يبق من جسده شىء؟ ولم يكن غرض العالم من قوله هذا التشكيك فى عذاب القبر أو نعيمه، وإنما كان غرضه إثبات أن «عجب الذنب» يفنى ولا يبقى.



**والراسخون فى العلم من المسلمين لما حاربوا التصوف، لأنه ليس من الإسلام، حاربوه من جهات؛ أهمها:**

(أ) مظهر الصوفى فى لبس الخرق والمرقعات والعمائم.

(ب) شغلهم الليل والنهار بعبادات غير مفروضة ولا مسنونة.

(ج) إهمالهم الأسباب الموصلة إلى النتائج.

(د) التوسل إلى الله بالأولياء وبالأنبياء.

(هـ) اعتقادهم أن الأموات يخرجون من قبورهم لقضاء الحاجات.

(و) تفسير القرآن وأحكام الشريعة بغير ما تدل عليه الأساليب فى اللغة العربية.

(ز) اعتقادهم بأن الأولياء يعرفون الغيب ويخبرون به.

(ح) تحريفهم العقائد الإسلامية خاصة فى ذات الله وصفاته، كقولهم بالحلول والاتحاد والفناء والجذب.

وهم على حق فى محاربتهم للتصوف. ولكنهم ما قدروا عليه. وإنهم إن ركزوا على «الروح» وقالوا فيها الذى قلناه فى حربهم معهم، لقضوا على التصوف، ولقضوا على حيل قراء القرآن على قبور الموتى. التى ابتدعوها، لسلب أموال الميت، بعمل عتاقة أو ختمة أو أربعين أو ذبيحة يمر عليها النعش، تكفيرًا عن خطاياه، وسائر أنواع الحيل التى عملوها وذلك لأن روح الميت كما زعموا تسمع وترى وتعتب على من يهمل فى حقها.



**ومن وسائل هدم ألوهية المسيح عند النصارى:** القول بفناء الأرواح من بعد الموت. وذلك لأن عيسى عليه السلام كان ينام ويجوع ويعطش وتصيبه الآلام.

وهذا كله وشبهه يدل على أنه إنسان لا إله. والنصارى يبررون نومه وجوعه وعطشه وآلامه؛ بأن ذلك كله كان واقعًا على جسده، لا على روحه.

فجسده وهو الناسوت أحسن بالآلام. وروحه وهو اللاهوت لم يتأثر بشىء. ولو أن المسلمين ردوا عليهم بأنه لا توجد نفس ناطقة مفارقة فى الإنسان، لا فى حياته ولا من بعد موته. وما الإنسان إلا جسد قد كونه الله على هذه الهيئة. لكان هذا الرد من وسائل هدم ألوهية المسيح. ففى إنجيل مرقس: «وقال لهم فى ذلك اليوم لما كان المساء: لنجتز إلى العبر. فصرفوا الجمع وأخذوه، كما كان فى السفينة. وكانت معه أيضًا سفن أخرى صغيرة؛ فحدث نوء ريح عظيم؛ فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة، حتى صارت تمتلىء. وكان هو فى المؤخر على وسادة نائمًا. فأيقظوه وقالوا له: يا معلم أما يهمك أننا نهلك؟ فقام وانتهر الريح، وقال للبحر اسكت. ابكم. فسكت الريح وصار هدوء عظيم» (مر ٤ : ٣٥ - ٣٩).

مع ما فى الإنجيل وهو: «من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده؟» (مرقس ٢ : ٧)



الفصل الثالث

# فى
# فناء الأرواح بعد الموت

ينبنى على الكلام فى أ- الجسد ب- وروح التنفس ت - وروح الجسد المنفصلة عن الجسد وروح التنفس: الكلام فى سؤال القبر ونعيمه أو عذابه، والبعث من الأموات فى يوم القيامة. وإذا انتفى القول بالروح المفارقة؛ ينتفى القول بالحياة فى القبور.

والإشكال الكبير بين المسلمين ليس فى إثبات القيامة، وليس فى رد الأرواح إلى أجسادها يوم القيامة[1]، وإنما هو فى إثبات سؤال القبر ونعيمه أو عذابه، والإشكال وارد من جهات أربع:

**أولا:** لا يوجد فى القرآن نص محكم على إثبات ما يحدث فى القبر.

**ثانيًا:** الأحاديث النبوية متعارضة فى هذا الشأن، وهى بروايات الآحاد.

**ثالثًا:** لم يتفقوا على معنى «النفس» - التى يسمونها بروح الجسد.

**رابعًا:** من أثبت العذاب فى القبر للجسد، قال: إن العذاب لمجموع الثلاثة فى القبر[2] ومن نفى عذاب الجسد فى القبر، كابن حزم، وابن مرة، قال: إن العذاب للروح الزائدة على الجسد وروح تنفسه.

ومن أجل ذلك اضطربت أقوال العلماء فى سؤال القبر ونعيمه أو عذابه، ولم يتفقوا.

١- فابن حزم رحمه الله ينفى أن يتأثر الجسد فى القبر بشىء، ويثبت أن المساءلة وما يترتب عليها هى لغير الجسد، يقول فى الجزء الرابع من «الفصل»:

«إن فتنة القبر وعذابه والمسئلة فيه؛ إنما هى للروح فقط بعد فراقه الجسد، إثر ذلك. قبر أو لم يقبر» وقال بعد ذلك بقليل: «وكل مكان استقرت فيه النفس إثر خروجها من الجسد، فهو قبر لها إلى يوم القيامة» أى أن ابن حزم يبين أن الروح هى النفس،

(١) هذا على القول بأرواح منفصلة مفارقة، حسب المشهور.

(٢) أى على هيئته التى كان عليها فى الدنيا.

وعذاب القبر ليس للجسد، لكن هل هو يقصد بالروح روح التنفس أو الروح الزائدة. إنه لا يقصد روح التنفس.

ويستبعد عذاب الجسد فى القبر بقوله: «وأما من ظن أن الميت يحيا فى قبره، فخطأ»(1).

وقال ابن حزم: «لم يأت قط عن رسول الله ﷺ فى خبر صحيح: أن أرواح الموتى ترد إلى أجسادهن عند المساءلة، ولو صح ذلك عنه؛ لقلنا به» وقال: «وإنما تفرد بهذه الزيادة، من رد الأرواح فى القبور إلى الأجساد: «منهال بن عمرو» وحده. وليس بالقوى. تركه «شعبة» وغيره، وقال فيه «المغيرة بن مقسم الضبى» وهو أحد الأئمة: «ما جازت للمنهال بن عمرو شهادة فى الإسلام».

ويستدل ابن حزم على أن الروح لا تعود إلى الجسد فى القبر بأدلة منها: قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الزمر ٤٢) يقول: «فصح بنص القرآن: أن أرواح سائر من ذكرنا لا ترجع إلى جسده، إلا إلى الأجل المسمى، وهو يوم القيامة».

أى أن «ابن حزم» لا يثبت عذاب القبر لجسد الميت، وإنما يثبت عذاب القبر إما للنفس التى يتنفس الجسد بها، وإما لروح الجسد، والمرجح عندنا: أنه لا يقصد روح الجسد التى بها يتنفس. وإنما هو يقصد الروح التى تلف وتدرج فى الكفن. وهى المسماة بالروح المفارقة.

ورد عليه ابن القيم بقوله: «إمساكه - سبحانه - التى قضى عليها الموت، لا ينافى ردها إلى جسدها الميت، فى وقت ما، ردًا عارضًا، لا يوجب له الحياة المعهودة فى الدنيا».

يريد أن يقول: من الممكن أن تكون فى القبر حياة خاصة، غير الحياة المعهودة فى الدنيا. ورده هو بدون دليل، فإن الله قادر على كل شىء، وفى هذا الموضع لا يحتاج المرء إلى دليل إمكان على قدرة الله، بل يحتاج إلى دليل محكم على إثبات حياة خاصة فى القبر، ولا يوجد هذا الدليل.

٢- وابن قيم الجوزية أثبت السؤال فى القبر لثلاثة هم: ١- الجسد ٢- وروح

---

(١) ص ٦٧ ج٤ الفصل.

التنفس ٣- والنفس، وقال بأن النفس هى الروح المفارقة العاقلة. والروح جسم. وصرح بمفارقة النفس لروح التنفس وللبدن، ثم قال بأن الثلاثة يحيون فى القبر حياة خاصة، ولم يذكر دليلا على الحياة الخاصة.

٣- وقال بعض العلماء: إن ما يحدث فى القبر هو للجسد، وليس للروح المفارقة.

٤- وأنكر بعض العلماء ما يحدث فى القبر، وصرحوا بأن السؤال والنعيم أو العذاب يكون فى يوم القيامة.

٥- ولقد سئل الإمام ابن تيمية رحمه الله: هل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ وأجاب بأن هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة، وأهل الكلام.

٦- ويفسر ابن القيم قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ.. إلخ﴾ (الفجر ٢٧) بقوله:

(أ) «هذا يقال لها عند المفارقة للجسد» فالنفس المطمئنة - عنده - هى الروح المفارقة.

(ب) «واختلف السلف، هل يقال لها ذلك عند الموت، أو عند البعث، أو فى الموضعين؟ على ثلاثة أقوال.. وقال أبو صالح: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر٢٨) هذا عند الموت ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر ٢٩-٣٠) قال: هذا يوم القيامة».



٧- **والشيعة الإمامية الجعفرية يقرون بعذاب القبر.** وقد حكى الإمام الطبرسى فى تفسيره «مجمع البيان» أن «البلخى» حمل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ (البقرة: ١٥٤) على حياة الحشر، لإنكاره عذاب القبر.

وأورد الطبرسى رحمه الله هذا الاعتراض: «فإن قيل، نحن نرى جثث الشهداء مطروحة على الأرض، لا تتصرف، ولا يرى فيها شيء من علامات الأحياء؟».

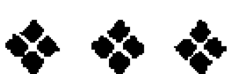
### وأجاب الإمام الطبرسى:

١- يقول البعض: إن الله يخلق فى القبر جثة غير جثة الميت، والنفس تحل فى الجثة المخلوقة فى القبر، ويقع العذاب أو النعيم على النفس والجثة الجديدة المخلوقة.

٢- ويقول البعض: إن جسد المرء وروح جسده، هما: النفس، والأجزاء الصغيرة الباقية لا تفنى إلى يوم القيامة، ويكون لكل جزء من الجسد، جزء من الروح، والله تعالى يوصل النعيم أو العذاب، إلى هذه الأجزاء الصغيرة، بدل الجسد كله، الذى قد فنى وزال.

٣- وربما قيل: إن جسد الميت يعذب فى القبر، وإن كنا نشاهده فاقد الإحساس.

**ويقول الإمام الطبرسى فى الجواب على هذا الاعتراض:** «إن على مذهب من يقول بالإنسان(١) من أصحابنا: إن الله تعالى يجعل لهم أجسامًا، كأجسامهم فى دار الدنيا، يتنعمون فيها دون أجسامهم التى فى القبور، فإن النعيم والعذاب إنما يحصل عنده على النفس، التى هى الإنسان المكلف عنده، دون الجثة.. وأما على مذهب من قال من أصحابنا: إن الإنسان هو هذه الجملة المشاهدة، وأن الروح هو النفس المتردد فى مخارق الحيوان، وهو أجزاء الجو فالقول: إنه يلطف أجزاء من الإنسان، لا يمكن أن يكون الحى حيًا، بأقل منها، يوصل بها النعيم، وإن لم يكن تلك الجملة بكمالها.. وربما قيل: بأن الجثة يجوز أن تكون مطروحة فى الصورة، ولا تكون ميتة، فتصل إليها اللذات» أ.هـ.



**٨- وجمهور المعتزلة كجمهور الشيعة الإمامية وجمهور أهل السنة، فى سؤال القبر ونعيمه أو عذابه، ومنهم من له رأى مستقل، وقد لخص «ابن قيم الجوزية» الآراء فى كتابه «الروح» على هذا النحو:**

(أ) إن «أبا الهذيل» و «المريسى» أثبتا عذابًا بين النفخة الأولى فى الصور، وبين النفخة الثانية، لمن خرج عن صفة الإيمان.

(ب) أثبت «الجبائى» عذاب القبر للفساق والكفار، ونفاه عن المؤمنين، الذين ارتكبوا سيئات خفيفة.

(ت) قال كثيرون من المعتزلة: لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير، وإنما المنكر: ما يبدو من تلجلجه إذا سئل، والنكير: تقريع الملكين له.

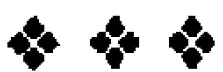
(ث) وقال «الصالحى»: إن عذاب القبر، يجرى على المؤمن، من غير رد الأرواح إلى الأجساد، والميت يجوز أن يتألم ويحس ويعلم، بلا روح.

---

(١) الإنسان – الروح الزائدة. التى تسمى أيضًا: الروح المفارقة.

(ج) وقال بعض المعتزلة: إن الله - سبحانه - يعذب الموتى فى قبورهم، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون، فإذا حشروا، وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها، قالوا: وسبيل المعذبين من الموتى، كسبيل السكران والمغشى عليه، فإنهم لو ضربوا، لم يجدوا الآلام، فإذا عاد عليهم العقل أحسوا بألم الضرب.

(ح) وأنكر جماعة من المعتزلة عذاب القبر - رأسًا - مثل: «ضرار بن عمرو» و «يحيى بن كامل».



**حياة الشهداء فى القبور:**

قال الله تعالى عن الشهداء:

(أ) ﴿أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٤).

(ب) ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

**ولقد اختلفوا فى حياة الشهداء فى القبور:**

هل هم أحياء بعد الموت مباشرة فى القبر؟

أم هل معنى «أحياء» هو أن ذكرهم باق بالثناء الحسن الجميل، وغيرهم منطقع ذكره؟ على حد قول الشاعر:

**والناس صنفان: موتى فى حياتهم وآخرون ببطن الأرض أحياء**

أم هل معنى «أحياء» هو أن من وقت الاستشهاد إلى وقت قيام القيامة: مدة قصيرة، لا يحس بها المرء؟ وعبر بأحياء الآن، دلالة على تحقق الوقوع.

إلى آخر مثل هذه الأقوال.

**١- يقول الإمام فخر الدين الرازى فى «التفسير الكبير»:**

اعلم: أن ظاهر الآية يدل على كون هؤلاء المقتولين أحياء، فإما أن يكون المراد منه حقيقة أو مجازًا، فإن كان المراد منه هو الحقيقة فإما أن يكون المراد أنهم سيصيرون فى الآخرة أحياء، أو المراد أنهم أحياء فى الحال، وبتقدير أن يكون هذا هو المراد فإما أن يكون

المراد إثبات الحياة الروحانية أو إثبات الحياة الجسمانية. فهذا ضبط الوجوه التى يمكن ذكرها فى هذه الآية.

**الاحتمال الأول:** إن تفسير الآية بأنهم سيصيرون فى الآخرة أحياء، قد ذهب إليه جماعة من متكلمى المعتزلة منهم أبو القاسم الكعبى، قال: وذلك لأن المنافقين الذين حكى الله عنهم ما حكى، كانوا يقولون: أصحاب محمد ﷺ يعرضون أنفسهم للقتل فيقتلون ويخسرون الحياة ولا يصلون إلى خير، وإنما كانوا يقولون ذلك لجحدهم البعث والميعاد، فكذبهم الله تعالى وبين بهذه الآية أنهم يبعثون ويرزقون ويوصل إليهم أنواع الفرح والسرور والبشارة.

**الاحتمال الثانى:** هو أن المراد أن الشهداء أحياء فى الحال. والقائلون بهذا القول منهم من أثبت هذا الحياة للروح، ومنهم من أثبتها للبدن.

**الاحتمال الثالث فى تفسير هذه الآية:** أن من يثبت هذه الحياة للأجساد: منهم من قال: إنه تعالى يصعد أجساد هؤلاء الشهداء إلى السموات، وإلى قناديل تحت العرش، ويوصل أنواع السعادات والكرامات إليها. ومنهم من يتركها فى الأرض ويحييها ويوصل هذه السعادات إليها.

ومن الناس من طعن فيه، وقال: إنا نرى أجساد هؤلاء الشهداء قد تأكلها السباع، فإما أن يقال: إن الله تعالى يحييها، حال كونها فى بطون هذه السباع ويوصل الثواب إليها، أو يقال إن تلك الأجزاء بعد انفصالها من بطون السباع يركبها الله تعالى ويؤلفها ويرد الحياة إليها ويوصل الثواب إليها. وكل ذلك مستبعد، لأنه قد يظل الميت المقتول باقيًا أيامًا إلى أن تتفسخ أعضاؤه، وينفصل القيح والصديد. فإن جوزنا كونها حية متنعمة عاقلة عارفة؛ لزم القول بالسفسطة.

**الاحتمال الرابع فى تفسير هذه الآية:** نقول: ليس المراد من كونهم أحياء حصول الحياة فيهم بل المراد بعض المجازات وبيانه من وجوه:

**الأول: قال الأصم البلخى:** إن الميت إذا كان عظيم المنزلة فى الدين، وكانت عاقبته يوم القيامة البهجة والسعادة والكرامة. صح أن يقال: إنه حى وليس بميت، كما يقال فى الجاهل الذى لا ينفع نفسه ولا ينتفع به أحد إنه ميت وليس بحى، وكما يقال للبليد: إنه حمار، وللمؤذى إنه سبع. يروى أن عبد الملك بن مروان، لما رأى الزهرى وعلم فقهه وتحقيقه، قال له: ما مات من خلف مثلك. فلا شك أن الإنسان إذا مات وخلف ثناء جميلا وذكرًا حسنًا، فإنه يقال على سبيل المجاز: إنه ما مات بل هو حى.

**الثـانـى:** قال بعضهم: مجاز هذه الحياة: أن أجسادهم باقية فى قبورهم، وأنها لا تبلى تحت الأرض. واحتج هؤلاء بما روى أنه لما أراد معاوية أن يجرى العين على قبور الشهداء، أمر بأن ينادى: من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع. قال جابر: فخرجنا إليهم، فأخرجناهم رطاب الأبدان، فأصابت المسحاة إصبع رجل منهم فقطرت دمًا.

**والثـــالث:** إن المراد بكونهم أحياء: أنهم لا يغسلون كما تغسل الأموات» أ.هـ.. والاحتمال الأول هو الصواب.

❖ ❖ ❖

**ويقول الإمام الطبرسى المتوفى سنة ٥٦١ هـ فى تفسيره:**

مجمع البيان فى الآية ١٥٤ من سورة البقرة وهى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٤).

**أحدها:** - وهو الصحيح - أنهم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة، وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد، وإليه ذهب الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، واختاره الجبائى والرمانى وجميع المفسرين.

**والثانى:** إن المشركين كانوا يقولون: إن أصحاب محمد يقتلون نفوسهم فى الحروب بغير سبب، ثم يموتون، فيذهبون، فأعلمهم الله: أنه ليس الأمر على ما قالوه، وأنهم سيحيون يوم القيامة ويثابون - عن «البلخى» ولم يذكر ذلك غيره -.

**والثالث:** معناه لا تقولوا هم أموات فى الدين، بل هم أحياء بالطاعة والهدى. ومثله قوله سبحانه: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام: ١٢٢) فجعل الضلال موتًا، والهداية حياة - عن «الأصم» -.

**والرابـع:** إن المراد أنهم أحياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء، كما روى عن أمير المؤمنين -رضى الله عنه- من قوله: «هلك خزان الأموال، والعلماء باقون ما بقى الدهر. أعيانهم مفقودة، وآثارهم فى القلوب موجودة» أ.هـ.

والاحتمال الثانى هو الصواب.



٣- وقال القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن: «قد اختلف العلماء فى هذا المعنى، فالذى عليه المعظم هو ما ذكرناه، وأن حياة الشهداء محققة. منهم من يقول: ترد إليهم الأرواح فى قبورهم، فينعمون، كما يحيا الكفار فى قبورهم فيعذبون. قال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة، أى يجدون ريحها وليسوا فيها.

وصار قوم إلى أن هذا مجاز، والمعنى: أنهم فى حكم الله مستحقون للتنعيم فى الجنة. كما يقال: ما مات فلان، أى ذكره حى، كما قيل:

**موت التقى حياة لا فناء لها قد مات قوم وهم فى الناس أحياء**

فالمعنى: أنهم يرزقون الثناء الجميل، وقال آخرون: أرواحهم فى أجواف طير خضر وأنهم يرزقون فى الجنة ويأكلون ويتنعمون، وهذا هو الصحيح من الأقوال».



ومن أجل هذا الإشكال الكبير بين المسلمين فى كيفية سؤال القبر ونعيمة أو عذابه حكم فقهاء المسلمين بأن من ينكر البعث من الأموات فى يوم القيامة يكون كافرًا وحكم بعضهم بأن من لا ينكر البعث من الأموات من المسلمين فى يوم القيامة، وإنما ينكر سؤال القبر ونعيمه أو عذابه، لا يكون كافرًا ولا عاصيًا ولا فاسقًا. وبنوا حكمهم على الاختلافات التى أوردنا طرفًا منها وهى التى حدث بالإمام «ابن تيمية» رحمه الله، أن لا يتشدد مع المسلم المنكر لعذاب القبر، وأن يتشدد مع المنكر للبعث من الأموات فى اليوم الأخير، يقول رحمه الله - حسب رواية ابن القيم عنه فى كتاب الروح - عن منكرى عذاب القبر ونعيمه: إنهم «خير من الفلاسفة، فإنهم مقرون بالقيامة الكبرى»(١).

ومجمل ما مر ذكره: أن علماء المسلمين قد اختلفوا فى سؤال القبر ونعيمه أو العذاب فيه على قولين:

**القول الأول:** بأن السوال والنعيم أو العذاب حق.

**والقول الثانى:** بأن الإنسان إذا مات، يظل على حالته التى مات عليها إلى أن تقوم القيامة، فيسأل وينعم أو يعذب. والذين قالوا بالقول الأول استندوا إلى أدلة قرآنية، والذين قالوا بالقول الثانى استندوا أيضًا إلى أدلة قرآنية، وأولوا أدلة القول الأول ليستقيم لهم رأيهم.

❖ ❖ ❖

(١) الروح ص ٨٠.

وسنناقش الآن «ابن حزم» كما ناقشه «ابن قيم الجوزية» فى قوله: إن المسـاءلة إنما هى للروح فقط، بعد فراقه للجسد. إثر ذلك. قبر، أو لم يقبر. ثم نناقش ابن القيم فى رده عليه. قال ابن حزم: إن الجسد لا يتأثر فى القبر بشىء. هذا هو قوله. وكان يجب عليه أن ينفى التأثير عن الروح أيضًا لأن الجزاء على الأعمال سواء أكان بعد الموت مباشرة، أو يوم القيامة. هو لهذا الجسد الفاعل للأعمال بمعاونة الروح، وهما شركاء فى إتيان الفعل. فالقول بمجازاة أحدهما دون الآخر: هو قول ضد العدل، ومثلهما كمثل المقعد والأعمى[1]، فإنهما قد تعاونا معًا على إفساد ثمر البستان. الأعمى لأنه حمل المقعد على كتفيه، والمقعد لأنه أبصر بعينيه.

وقال ابن حزم: ذهب ضرار بن عمرو الغطفانى، أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب

---

(١) مثل الأعمى والمقعد.

قال شماس فأخبرنى عن الجسد والروح أسواء فى الثواب والعقاب أو إنما يختص بالعقاب صاحب الشهوات وفاعل الخطيئات؟ قال الغلام: قد يكون الميل إلى الشهوات والخطيئات موجبات للثواب يحبس النفس عنها والتوبة منها والأمر بيد من يفعل ما يشاء. وبضدها تتميز الأشياء. على أن المعاش لا بد منه للجسد ولا جسد إلا بالروح وطهارة الروح بإخلاص النية فى الدنيا والالتفات إلى ما ينفع فى الآخرة فهما فرسا رهان. ورضيعا لبان ومشتركان فى الأعمال وباعتبار النية تفصيل الإجمال وكذلك الجسد والروح مشتركان فى الأعمال وفى الثواب والعقاب وذلك مثل الأعمى والمقعد اللذين أخذهما رجل صاحب بستان وأدخلهما بستانه وأمرهما أن لا يفسدا فيه ولا يصنعا فيه أمرًا يضر به.

فلما طابت أثمار البستان قال المقعد للأعمى ويحك إلى أرى أثمارًا طيبة وقد اشتهينا لها مسافة لست أقدر على القيام للأكل منها فقم لأنك صحيح الرجلين وائتنا منها بما نأكل فقال الأعمى ويحك قد ذكرتها لى، وقد كنت عنها غافلا ولست أقدر على ذلك لأنى لست أبصره، فما الحيلة فى تحصيل ذلك؟ فبينما هما كذلك إذ أتاهما الناظر على البستان وكان رجلا عالمًا فقال له المقعد ويحك يا ناظر إنا قد اشتهينا شيئًا من هذه الثمار ونحن كما ترى أنا مقعد وصاحبى هذا أعمى لا يبصر شيئًا فما حيلتنا؟ فقال لهما الناظر ويحكما ألستما تعلمان ما عاهدكما عليه صاحب البستان من أنكما لا تتعرضان لشىء مما يؤثر فيه من الفساد؟ فانتهيا ولا تفعلا.

فقالا له: لا بد لنا من أن نصيب من هذه الثمار ما نأكله فأخبرنا بما عندك من الحيلة فلما لم ينتهيا عن رأيهما، قال لهما الحيلة فى ذلك أن يقوم الأعمى ويحملك أيها المقعد على ظهره ويدنيك من الشجرة التى تعجبك ثمارها حتى إذا أدناك منها تجنى أنت ما أصبت من الثمار فقام الأعمى وحمل المقعد وجعل يهديه إلى السبيل حتى أدناه إلى شجرة فصار المقعد يأخذ منها ما =

القبر، وهو قول من لقينا من الخوارج.. وقد احتج من أنكره بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ (غافر ١١) وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة ٢٨) ووجه الدليل من الآية الأولى: أن الموتة الأولى هى قبل ولادة الإنسان، والثانية بعد الولادة، وحياة الإنسان فى الدنيا هى الحياة الأولى، وحياته يوم القيامة هى الحياة الثانية. فلو كان فى القبر عذاب، لكان تعالى قد أماتنا ثلاثًا وأحيانا ثلاثًا. ووجه الدليل من الآية الثانية: أن الموت قبل الولادة، والموت بعدها، والحياة الأولى الدنيا، ثم يحيينا بالنفخة الثانية فى الصور، ونرجع إليه.

وهذا الحكم فى سائر البشر، إلا ما جاء عن قوم مخصوصين للدلالة على البعث مثل الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه.

وقد عقب ابن حزم على هذا بقوله: «هذا حق» -وتعقيبه حق- على المعنى الذى ثبتناه بمثل المقعد والأعمى.

**وقال ابن حزم: إنى أثبت عذاب القبر للروح فقط، وذكر أدلة من القرآن على عذاب للروح فى القبر هى:**

(أ) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ (الأنعام ٩٣) ووجه الدليل عنده: أن «اليوم» هو

---

=

أحب ولم يزل ذلك دأبهما حتى أفسدا ما فى البستان من الشجر وإذا بصاحب البستان قد جاء وقال لهما ويحكما ما هذه الفعال ألم أعاهدكما على أن لاتفسدا فى هذا البستان؟ فقالا له قد علمت أننا لا نقدر أن نصل إلى شىء من الأشياء لأن أحدنا مقعد لا يقوم والآخر أعمى لا يبصر ما بين يديه ما ذنبنا؟

فقال لهما صاحب البستان لعلكما تظنان أنى لست أدرى كيف صنعتما وكيف أفسدتما فى بستانى كأنى بك أيها الأعمى قد قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى أوصلته إلى الشجر. ثم أنه أخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة وخرجهما من البستان. فالأعمى مثال للجسد لأنه لا يبصر إلا بالنفس والمقعد مثال للنفس التى لا حركة لها إلا بالجسد وأما البستان فأنه مثال للعمل الذى لا يجازى به العبد والناظر مثال للعقل الذى يأمر بالخير وينهى عن الشر فالجسد والروح مشتركان فى الثواب».

اليوم الذى مات الظالمون فيه فى الدنيا. وقد أخطأ ابن حزم فإن «اليوم» هنا متشابه يحتمل ١- يوم الموت ٢- ويوم القيامة، ولا بد من تعيين «المحكم» لمعرفة أى المعنيين هو مراد الله تعالى، والمحكم هو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ (النحل ١١١) فإن الجدال يكون قبل المجازاة، وقبل توفية النفس حقها وحيث أثبت الجدال والسؤال فى يوم القيامة، فإذا يكون المراد من «اليوم» هو يوم القيامة، وعليه لا يكون جدال وسؤال فى القبر.

(ب) قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران ١٨٥) ولا أدرى لماذا ذكره ابن حزم، فإن ظاهره حجة عليه. وهو نص «محكم» ينفى توفية الأجور فى القبور.

(ت) قوله تعالى فى آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر ٤٦) يقول ابن حزم: «فهذا العرض المذكور هو عذاب القبر» وقد أخطأ ابن حزم فإن كلمة ﴿النَّارُ﴾ مثل كلمة «الجنة» وردت فى القرآن على الحقيقة وعلى المجاز، فالجنة على الحقيقة مثل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣) والجنة على المجاز مثل: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾ (نوح ١٠-١٢) أى حدائق وبساتين، فيها زروع وثمار، و ﴿النَّارُ﴾ على الحقيقة نص فى نار الآخرة مثل. ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ (الأحقاف ٢٠) والنار على المجاز هى نار الدنيا مثل: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ (البروج ٥) أى نار حدثت فى الأخدود الذى كان فى «نجران» باليمن. ومثل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (النمل ٨) والنار على المجاز، مثل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (النساء١٠) وهم لم يأكلوا نارًا حقيقية، بل أكلوا طعامًا وشربًا، اشتروهما من مال اليتيم ولبسوا أحذية وأثوابًا اشتروهما من مال

اليتيم، فالنار هنا ليست التى لها دخان ولهب. وإنما ظلمهم سيؤدى بهم، إلى النار فى الآخرة.

وجاء كلمة النار مجازا فى لغة العرب، بمعنى الألم. مثل:

جئت تطلب نارا، أم جئت تشعل البيت نارا؟

أى توقد نار الفتنة. والفتنة ليس لها نار ذات دخان ولهيب.

وعلى ذلك فكلمة ﴿النَّارُ﴾ فى قوله: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ كلمة متشابهة، تحتمل:

١- إما نار القبر.

٢- وإما أن النار: كناية عن الفتن والمصائب، فقد أخذهم الله ﴿بالسنين، ونقص من الثمرات﴾ (الأعراف: ١٣) وهذا عذاب شديد شبيه بعذاب النار، ولا بد من تعيين المحكم لمعرفة أى المعنيين هو مراد الله تعالى. والمحكم هو الآية السابقة: آية ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ وما يشبهها مثل قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ (الأنبياء ٤٧) ومثل قوله تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة ٦-٨) ويؤيد أن هذا هو المحكم: أن الذى مات مائة عام، لم يحس بطول المدة، وأهل الكهف لم يحسوا بطول المدة، والكفار أيضًا لم يحسوا بطول المدة من الموت إلى البعث، فقد حكى الله عنهم: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (المؤمنون ١١٣) والمفهوم من هذه الآيات: هو أن المدة قصيرة من الموت إلى البعث، حتى أن الميت من آلاف السنين، يخيل إليه حال قيام القيامة أنه مات توا، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بقوله: «من مات فقد قامت قيامته» وما عبر عنه الكفار بقولهم: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ (يس: ٥٢) ولو كان فى القبر عذاب لما تعجبوا.

وعبر بـ ﴿يُعْرَضُونَ﴾ التى تفيد الدوام والاستمرار؛ لأنه يوجد فى البنين، ما شابه الاباء على طول الزمان. كما فى التوراة: «الآباء أكلوا الحصرم، وأسنان الآباء ضرست» (حز ١٨:٢) «هل يغير الكوشى جلده، أو النمر رقطه؟ فأنتم أيضا لا تقدرون أن تصنعوا خيرا أيها المتعلمون الشر» (إر ٢٣:١٣).

وفى آية: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا .. إلخ﴾ تأويل آخر، ذكره الإمام الفراء النحوى، لينفى به عذاب القبر، وهو: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، أى نار الآخرة، والقول بالمحكم والمتشابه أولى بالقول، من تأويله هذا.

**قال الإمام القرطبى فى تفسيره سورة غافر:**

«واحتج بعض أهل العلم فى تثبيت عذاب القبر بقوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (غافر: ٤٦) ما دامت الدنيا كذلك. قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب، كلهم قالوا: هذه الآية تدل على عذاب القبر فى الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦).. وجعل الفراء فى الآية تقديمًا وتأخيرًا، مجازه: ﴿ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (غافر: ٤٦) فجعل العرض فى الآخرة» أ هـ.



**وذكر الإمام فخر الدين الرازى تأويلا لآية آل فرعون، فقال:** «فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا وعشيًا: عرض النصائح فى الدنيا، لأن أهل الدين إذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوفهم بعذاب الله، فقد عرضوا عليهم النار؟ ثم نقول: فى الآية ما يمنع من حمله على عذاب القبر، وبيانه من وجهين: الأول: إن ذلك العذاب يجب أن يكون دائمًا غير منقطع، وقوله: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ يقتضى أن لا يحصل ذلك العذاب إلا فى هذين الوقتين فثبت: أن هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر. والثانى: إن الغدوة والعشية إنما يحصلان فى الدنيا، أما فى القبر فلا وجود لهما، فثبت بهذين الوجهين: أنه لا يمكن حمل هذه الآية على عذاب القبر» ثم إن الإمام فخر الدين أورد مساءلات على الوجهين، كان يغنى عنها تصريحه بالمحكم والمتشابه.



والإمام ابن كثير فى تفسيره لم يذكر تأويلا لآية آل فرعون يبعدها به عن أن تدل على عذاب القبر، وإنما ذكر أحاديث تدل على أن النبى ﷺ لم يفهم منها أنه تدل على عذاب القبر، فقد ذكر أن الآية مكية، وعائشة -رضى الله عنها- تزوجت النبى ﷺ فى المدينة، ولما سألته عائشة أم المؤمنين، -رضى الله عنها-، ذات يوم، وهو فى المدينة، عن

عذاب القبر، قال لها: «لا عذاب دون يوم القيامة» فلو كانت آية آل فرعون نصا محكمًا فى عذاب القبر وهى قد نزلت فى مكة، لأجاب بإثبات عذاب فى القبر.

وإن قول ابن قيم الجوزية بإثبات نفس هى جسم مادى، تنعم أو تعذب مع جسد المرء وروح تنفسه، هو قول يحتاج إلى دليل، وسأذكر رده على ابن حزم وأرده عليه، ثم أتبعه بدليل يدل على قوله بالتأويل.

قال «ابن قيم الجوزية»: عبارة ابن حزم وهى: «من ظن أن الميت يحيا فى قبره، فخطأ» إن أراد بها.

(أ) حياة مثل حياة الإنسان، فابن حزم على حق لأن المشاهد فى القبر أنه لا حياة للميت فيه، كحياته فى الدنيا.

(ب) وإن أراد به حياة مخصوصة؛ فتنفيها: خطأ. وابن حزم استدل بأن الحديث المروى فى رد الأرواح إلى الأجساد بعد الموت مباشرة هو من زيادة «المنهال بن عمرو» وحده، ومع أنه من زيادته هو مشكل أيضًا بما روى عن «ابن مسعود» و «أسماء بنت أبى بكر» و «ابن عمر» رضى الله عنهم من أن الأرواح باقية عند الله، وأن الجثث ليست بشىء. ورد عليه ابن قيم الجوزية بأن زيادة «المنهال بن عمرو» صحيحة.

ورد ابن القيم على ابن حزم فى استدلاله بآية ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ (غافر: ١١) بقوله: إن قتيل بنى إسرائيل، أحياه الله، لما ضرب ببعض البقرة ولما أنبأ عن قاتله أماته، فحياته للإنباء حياة عارضة، مثل الحياة فى القبر، والحياة العارضة لا تدل على زيادة الموت على الاثنتين، ورد ابن قيم الجوزية لا يعول عليه، فإن الحياة العارضة، حياة كاملة، لإثبات معجزة بدليل النطق والحركة من الجسد نفسه، والجسد نفسه لا ينطق ولا يتحرك فى القبر، وحياة قتيل بنى إسرائيل، هى حياة كاملة، لبراءة متهم - على أحد التفسيرين[١] -.

واستدل ابن حزم بأن النبى ﷺ رأى موسى عليه السلام ليلة الإسراء قائمًا يصلى فى قبره وأخبر أنه رآه فى السماء السادسة أو السابعة «وبلا شك إنما رأى روحه، وأما جسده فموارى بالتراب بلا شك» ورد ابن القيم على ابن حزم بقوله: قد زعم بعض أهل الحديث أن الذى رآه، هو شبح موسى لا روحه، وقال آخرون: إنما الرؤية للروح دون الجسد، ويقول

(١) التفسير الثانى فى قصص الأنبياء للنجار رحمه الله.

ابن قيم الجوزية: «فالروح كانت هناك، ولها اتصال بالبدن فى القبر، وإشراف عليه، وتعلق به، بحيث يصلى فى قبره، ويرد سلام من سلم عليه، وهى فى الرفيق الأعلى» ورد ابن قيم الجوزية لا يعول عليه، فإن أحاديث الإسراء بعضها مصدر بقوله ﷺ: «رأيت فيما يرى النائم» وقال بعض الصحابة: إن الإسراء كان رؤيا منام، وعلى القول بأنه بالروح والجسد، نقول: إذا كانت أجساد الأنبياء باقية فى القبور، والأرواح ترسل أشعتها عليها، فماذا يقول ابن قيم الجوزية فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (الكهف ١١٠) وفى قوله تعالى: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ (الأنبياء: ٣٤).

وقال ابن قيم الجوزية فى الآية الكريمة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ (فاطر ٢٢) الذى يدل ظاهره على نفى العذاب فى القبر: إن المراد منها: أن الكافر الميت القلب، لا تقدر على إسماعه إسماعًا ينتفع به، كما أن من فى القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعًا ينتفعون به. وقوله: «ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئًا البتة» قوله هذا ينقصه الدليل من القرآن على أن الله لم يرد ذلك، لأن تأويل الآية نص فى عدم انتفاع الكافر المعاند بالإيمان، ولا صلة لها بإثبات عذاب فى القبر أو نفى عذاب.

**والصواب فى مسألة «سؤال القبر ونعيمه أو عذابه»:**

أنه لا سؤال فى القبر ولا نعيم ولا عذاب، وإنما سؤال المرء عما قدم وأخر يكون فى يوم القيامة، ونعيمه أو عذابه يكون بعد سؤاله فى يوم القيامة، وليس فى القبر سؤال ولا نعيم ولا عذاب.

**والدليل على ذلك:**

**أولا:** النصوص الواردة من السنة النبوية، هى واردة بطريق الآحاد. وأحاديث الآحاد لا تثبت عقائد، وقد ذكرنا أثناء مناقشتنا لابن حزم ولابن القيم -رحمة الله عليهما- ما يدل على ذلك.

**ثانيًا:** إن أئمة المسلمين اختلفوا فى سؤال القبر، ولو كان النص عليه واضحًا محكمًا كالنص على وحدانية الله تعالى، وعلى أن يوم القيامة حق، لما اختلفوا.

**ثالثًا:** إن النصوص المحكمة فى القرآن الكريم - وهى التى لا تقبل إلا تفسيرًا واحدًا - نفت سؤال القبر، ومن هذه النصوص: قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ (الأنبياء ٤٧) فقد بين النص الكريم: أن وضع الموازين ليس فى القبر،

وقوله تعالى ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ (غافر ١١) أى موت قبل الولادة، وموت بعد الولادة، وحياة فى الدنيا، وحياة فى الآخرة، فلو كان فى القبر حياة، لأعقبه موت، فيصير للمرء ثلاث موتات، وثلاث حياتات، وهذا مخالف لمفهوم القول الكريم. وإنكار عذاب القبر، أهون من تكذيب الآية، لأن العذاب واقع لا محالة إن عاجلا، وإن آجلا.

رابعًا: إن آيات القرآن التى يدل ظاهرها على سؤال القبر، هى آيات متشابهة والآيات المتشابهة يردها العلماء الراسخون فى العلم إلى الآيات المحكمة، لبيان مراد الله منها.



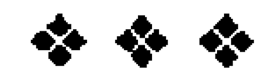
## وهذا بيان المتشابه، وكيفية رده إلى المحكم:

### النص المحكم:

أولا: (أ) قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢٨١) هذا القول محكم، ويثبت: أن الرجوع إلى الله تعالى فى يوم محدد، وهو يوم القيامة، وتوفية كل نفس جزاء عملها فى يوم محدد، وهو يوم القيامة.

### النص المتشابه:

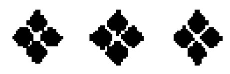
(ب) قول الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر ٢٧-٣٠) هذا القول متشابه، لأنه يحتمل الرجوع إلى الله (أ) بعد الموت مباشرة فى القبر. (ب) أو الرجوع إلى الله فى يوم القيامة. ولو سلم إنسان بصحة المعنى الأول لزمه القول بموهم التعارض فى القرآن، وذلك لأن المعنى الأول يثبت الرجوع فى القبر. والآية المحكمة تثبت الرجوع فى يوم القيامة. هذا هو موهم التعارض. وحله هو: لأن القول متشابه بين القبر وبين القيامة، يتعين الرجوع إلى المحكم. فأى المعنيين من معنى المتشابه هو موافق للمحكم؟ إنه هو المعنى الثانى، فيكون هو مراده تعالى، ويكون الدخول فى عباده معناه: دخول الإنسان فى جملة عباد الله الصالحين فى يوم القيامة، وعباد الله الصالحون كلهم سيدخلون الجنة.



**ثانيـــا:** (أ) قـول الله تعـالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون ١٥-١٦) هذا القول محكم، ويثبت البعث بعد الموت في يوم القيامة، وينفيه في القبر.

(ب) قـول الله تعـالى: ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران ١٦٩) هذا القول متشابه، لأنه يحتمل معنيين:

المعنى الأولى: الحياة فى القبر. والمعنى الثانى: أنهم سيحيون فى يوم القيامة، وهو المتفق مع المحكم، فيكون هو مراد الله تعالى، وقد عبر الله عن المستقبل بصيغة الحال، للدلالة على تحقق الوقوع، والعندية هنا على التأويل أيضًا، أى فى محل الكرامة.



**ثالثًا:** (أ) قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (الأحقاف ٢٠) هذا القول محكم، ويثبت أن عرض الكافرين على النار يوم القيامة وليس فى القبر.

(ب) قول الله تعالى عن آل فرعون: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر ٤٥-٤٦) هذا القول متشابه، يحتمل معنيين المعنى الأول: أن النار التى يعرضون عليها، هى نار جهنم، وعليه يكون العرض فى القبر. والمعنى الثانى: أن النار كناية عن الشدائد التى أصاب الله بها آل فرعون، وهى: الأخذ بالسنين ونقص من الثمرات، وعبر بالنار وهو يريد الشدائد، للمشابهة بين النار وبين الشدة فى الألم. والمعنى الثانى هو مراد الله تعالى، لاتفاقه مع الحكم، الذى يثبت أن العرض لجميع الكافرين على النار فى يوم القيامة.



رابعا: (أ) فى سورة الزمر، يقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الزمر ٦٨-٧٠) هذا القول محكم. وهو يحل الإشكال، الوارد على قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر ٤٢) ووجه إحكامه:

(أ) أن النفخ فى الصور مرتين. مرة لإماتة الأحياء - إلا من شاء الله - قرب انتهاء الدنيا، ومرة للقيام من الأموات.

(ب) بعد القيام من الأموات، يسمح الله بوضع الكتاب، ويحضر النبيين والشهداء، ويقضى بين الناس بالحق.

(ت) وبعد القضاء يوفى الله كل نفس ما عملت.

وهذا القول محكم، لأن كل مريد للفهم، يفهم الأحداث منه مرتبة على ذاك النحو ولا يفهم أن توفية النفس لأعمالها فى القبر، ولأنه محكم وواضح الدلالة على المراد منه، يتعين رد المتشابه إليه، لئلا يظن العوام، والذين فى قلوبهم زيغ، أن فى القرآن آيات ينقض بعضها بعضا.

(ث) وقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الزمر ٤٢).

هذا القول معناه: هو أن الله يميت الناس، حين يحين أجلهم الذى أقته لأجسادهم فى الدنيا. يميت الناس كلهم. الناس الذين حان أجلهم، ويوفيهم جزاء أعمالهم. والناس الذين لم يحن أجلهم هو فى حال النوم يوفيهم جزاء أعمالهم. أى يحصيها عليهم فى كتاب الحفظة الكاتبين. ومن أحصى وعرف، وحكم وعدل: فإنه يكون قادرا على الوفاء. فالوفاة فى ﴿يَتَوَفَّى الأَنفُسَ﴾ بمعنى الموت وعبر بالوفاة عن الموت، لأداء المعنى كاملا. فإن من يأخذ حقه، يعلم بالضرورة أنه قد مات.

ثم إن الأنفس التى تموت، يمسكها الله، والأنفس التى لم تمت فى منامها، يردها الله إلى الجسد، وليس الإمساك على الحقيقة بمعنى أن الله يضعها فى يده، ويشدد يده عليها. فالله ليس كمثله شىء، وإنما الإمساك كناية عن تصوير المعنوى وهو الروح بصورة الحسى. لتقريب المعنى إلى عقول السامعين.

والله يعبر عن ذاته، بصفات البشر. وذلك ليقدر البشر على تصور ذاته. أما هو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

وهذا القول متشابه، لأنه يحتمل معنيين، المعنى الأول: التوفية حال الموت، والمعنى الثانى: التوفية فى يوم القيامة. ومعلوم: أنه من الموت إلى الجنة أو إلى النار: مدة لا يحس المرء بطولها، كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات ٤٦) والمعنى الثانى هو مراد الله تعالى. وذلك لموافقته للمحكم، وهو قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ (الزمر٧٠) وهى توفى فى الآخرة.

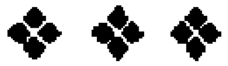
والذى يؤكد الإحكام للمعنى الثانى:

(أ) أن أهل الكهف - وهم كانوا مؤمنين - لم يحسوا بطول المدة، وأن الذى مر على قرية، وهى خاوية على عروشها، وأماته الله مائة عام، ثم بعثه، لم يحس بطول المدة، وأن قتيل بنى إسرائيل - على أحد التفسيرين - لم ينطق بما جرى له فى القبر.

(ب) وجاء فى التوراة وفى القرآن: أن الله أحيا أمواتًا من بنى إسرائيل من بعد موسى عليه السلام، ولم يخبر أحد من الموتى بأن فى القبر شيئًا(١).

(ج) وفى الإنجيل: مات رجل اسمه «لعازر» وظل فى القبر أربعة أيام، ونادى عليه عيسى «بصوت عظيم: لعازر هلم خارجا، فخرج الميت، ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة، ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع: حلوه، ودعوه يذهب» (يوحنا ١١:٤٣-٤٤).

(د) وفى الإنجيل: «كما وضع للناس: أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة» (عب٩: ٢٧).



خامسًا: (أ) قول الله تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ (البقرة ٨٥) هذا القول محكم؛ لأنه يثبت عذابًا فى الحياة الدنيا، ويثبت عذابًا فى الحياة الآخرة، وينفى عذاب القبر.

---

(١) سفر حزقيال - الإصحاح السابع والثلاثون.

(ب) قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إلى الله مولاهم الْحقِّ﴾ (الأنعام ٦٢) وقول الله تعالى: ﴿ورُدُّوا إلى الله مَوْلاهُمُ الْحق﴾ (يونس ٣٠) القولان معناهما واحد، وهما من الآيات المتشابهة، فالرد يحتمل معنيين، المعنى الأول: الرد فى القبر للجزاء، والمعنى الثانى: الرد فى يوم القيامة للجزاء، والمعنى الثانى هو المتفق مع المحكم، فيكون هو مراد الله تعالى.



وإذ قد فرغنا من بيان المحكم والمتشابه عن إثبات يوم القيامة، ونفى المساءلة فى القبر والنعيم أو العذاب فيه؛ **نشرع الآن فى بيان أن «الروح» معدومة من حال الموت إلى حال القيامة:**

(أ) فى القرآن الكريم أن الله تحدث عن خلق آدم فقال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (ص ٧١-٧٥).

وهذا يدل على أن الله تعالى خلق آدم أولا. ثم أعطاه الروح. فالجسد كان قبل الروح. والروح كانت معدومة قبل خلق الجسد.

(ب) وفى القرآن الكريم: أن خلق بنى آدم كخلق آدم. أى أن أرواحهم كانت معدومة قبل خلقهم من بطون أمهاتهم. فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الأعراف ١١) والثابت من العلم فى خلق الإنسان هو: أن السائل المنوى فيه حيوانات كثيرة حية. ومن الحيوانات واحد يلقح الأنثى. والنطفة تكون حية وتتدرج فى الخلق إلى علقة ومضغة وهكذا. فليست الروح تحل بعد الأربعين - أو الأربعة - بل هى حالة من الحيوان الذى لقح الأنثى. إذ لو كان ميتًا ما لقحها. ولا نقول: إن روح المولود كانت فى عالم البرزخ، ونزلت فى الحيوان الملقح للبويضة. ففضلا عن عدم الدليل القرآنى على ذلك، لا يتصور العقل أن الحيوان المنوى - وهو صغير - يحمل الروح العاقلة التى هى فى الإنسان الكبير.

(ج) وفى القرآن الكريم: أن عودة آدم إلى الله فى الدار الآخرة وعودة بنى آدم كلهم، تكون كخلقهم جميعًا فى البدء من العدم. وحيث أن أرواحهم كانت معدومة قبل خلق

أجسادهم فى الخلق الأول، فإن أرواحهم تكون معدومة قبل خلق أجسادهم فى الإعادة. إذ لا فرق بين البدء والإعادة. فقد قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف ٢٩) وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ (الأنبياء ١٠٤) فإعادة الإنسان فى الدار الآخرة، هى كبدء وجوده فى الدار الدنيا. وحيث أن الروح كانت معدومة قبل الولادة من البطن. والمنى تكون من الجسد، من الأغذية التى يتناولها الأب، والأغذية مخلوقة من زرع الناس فى الأرض. وحيث أن الإعادة كالبدء؛ فإن الميت إذا مات يعدم جسده وروحه معًا. ولا يعدم جسده وتبقى روحه.



هذا هو دليل القرآن على فناء الأرواح بالموت. أما الأحاديث النبوية. فإنها مروية بطريق الآحاد. ولا يستدل بها الناس كلهم فى إثبات عقائد أو نفى عقائد. ولذلك لا نحتج بها ولا نعول عليها. إلا أن تكون مفسرة للقرآن وشارحة له، أو موافقة له فى المعنى.

وفيها عن إثبات عذاب القبر ونفيه ما يلى:

### أولا: أحاديث نفى عذاب القبر:

قال الإمام أحمد: ثنا هاشم. هو ابن القاسم أبو النضر، ثنا إسحق بن سعيد. هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص، ثنا سعيد، يعنى أباه، عن عائشة -رضى الله عنها- أن يهودية كانت تخدمها، فلا تصنع عائشة رضى الله عنها شيئًا من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر. قالت عائشة -رضى الله عنها- فدخل رسول الله ﷺ على، فقلت: يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال ﷺ: «لا. من زعم ذلك؟» قالت: هذه اليهودية لا أصنع إليها شيئًا من المعروف إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر. قال -صلى الله عليه وسلم- «كذبت يهود، وهم على الله أكذب. لا عذاب دون يوم القيامة».

وروى أحمد ومسلم: ثنا يزيد ثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها: وقاك الله من عذاب القبر. فأنكرت عائشة -رضى الله عنها- ذلك، فلما رأت النبى ﷺ قالت له. فقال ﷺ: «لا».

### ثانيًا- أحاديث إثبات عذاب القبر:

فى صحيح البخارى حدثنا عبدان أخبرنى أبى عن شعبة: سمعت الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة -رضى الله عنها- أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر.

فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ فى عذاب القبر. فقال: عذاب القبر؟ قالت عائشة -رضى الله عنها-: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر» زاد غندر: «عذاب القبر حق».

يقول ابن حجر فى شرحه لهذا الحديث: وقع فى رواية أبى وائل عن مسروق عن المصنف فى الدعوات: «دخلت عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا: إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم» وزاد فى رواية أبى وائل: فكذبتهما. ووقع عند مسلم من طريق ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت: «دخلت على امرأة من اليهود وهى تقول: هل شعرت أنكم تفتتون فى القبور؟ قالت فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يفتن يهود» قالت عائشة: فلبثنا ليالى. ثم قال رسول الله ﷺ: «هل شعرت أنه أوحى إلى أنكم تفتتون فى القبور؟» قالت عائشة فسمعت رسول الله ﷺ يستعيذ من عذاب القبر. وبين هاتين الروايتين مخالفة. لأن فى هذه أنه ﷺ أنكر على اليهودية وفى الأولى أنه أقرها.. إلخ».

وقد بينا: أن الراسخين فى العلم من أهل الكتاب لا يصرحون بعذاب فى القبر. وذلك لأن النصوص المحكمة فى كتبهم تنفيه نفيا باتا. ومنها: «وكما وضع للناس: أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة؛ ومنها «نسمة حياة» ومنها: «تنزع أرواحها؛ فتموت، وإلى ترابها؛ تعود، ترسل روحك؛ فتخلق. وتجدد وجه الأرض» (مزمور ١٠٤: ٢٩-٣٠).



الفصل الرابع

## فى

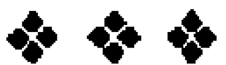
## الصلة بين

## البعث الروحانى وملكوت السموات

ما كان ينبغى أن نفرد للنصارى فصلا عن البعث. وذلك لما يعرفه الأمى والعالم من أن عيسى ﷺ لم ينسخ شريعة موسى ولا أسفار الأنبياء. وفى شريعة موسى ﷺ وفى أسفار الأنبياء نصوص عن البعث. والمسيح عيسى ﷺ قد صرح بأنه على شريعة موسى والنبيين من بعده. فكيف مع هذا ينبغى إفراد الكلام فى البعث عند النصارى. وهم يجب عليهم أن يلتزموا بما التزم به بنو إسرائيل؟

يقول عيسى ﷺ: «أتظنون أنى جئت لأبطل الشريعة والأنبياء؟ الحق أقول لكم: لعمر الله إنى لم آت لأبطلها، ولكن لأحفظها؛ لأن كل نبى حفظ شريعة الله، وكل ما تكلم الله به على لسان الأنبياء الآخرين. لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته، لا يمكن أن يكون مرضيًا لله، من يخالف أقل وصاياه. ولكنه يكون الأصغر فى ملكوت الله، بل لا يكون له نصيب هناك. وأقول لكم أيضًا: إنه لا يمكن مخالفة حرف واحد من شريعة الله، إلا باجتراح أكبر الآثام»(١).

وفى توراة موسى ﷺ نصوص عن البعث، وفى أسفار الأنبياء نصوص. وفى التلمود نصوص. وفى كتب علماء بنى إسرائيل نصوص. والنصوص توضح أن الله سيبعث المرء فى الحياة الآخرة بجسده وبروحه. وعيسى ﷺ وضح بأن الله سيبعث المرء فى الحياة الآخرة بجسده وبروحه. مع تصريحه بأنه لم ينسخ التوراة وأسفار الأنبياء، وعلى ذلك فالبعث عند النصارى ينبغى أن يكون هو البعث عند اليهود. فلماذا نفرد فصلا عن البعث عند النصارى؟



وأول دليل فى أسفار موسى الخمسة على إحياء الموتى: هو فى العهد المبرم بين الله تعالى وبين إبراهيم ﷺ فى السير أمامه، للدعاء إلى دينه، والقتال فى سبيله لمحو عبادة الأوثان ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين: «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين

(١) متى ٥ برنابا ٣٧.

سنة. ظهر الرب لأبرام وقال له: أنا الله القدير. سر أمامى وكن كاملا. فاجعل عهدى بينى وبينك، وأكثرك كثيرًا جدًا» ومقابل السير، هو الجزاء. والجزاء لا يكون فى الدنيا فقط، لمن يقتل فى سبيل الله. لأنه لو قتل. فما هى الفائدة التى يكون قد حصل عليها؟ وعليه. فإنه تكون الحياة الآخرة هى حياة المجازاة. وقد صرح الله بالمجازاة فى قوله: «لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك، أجرك كثير جدًا» (تك ١٥:١) وهذا المعنى مستفاد أيضًا من مثل عش الطائر. فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التثنية. فإنه إذا أطلق الأم، وأخذ الأولاد، يكون له خير. فهب أنه أخذ الأولاد وأطلق الأم ومات لتوه. فمتى يحصل على الخير الموعود به؟ ولا بد أن يحصل عليه. وإذ هو قد مات فلا بد أن يحصل عليه فى الآخرة، لقوله: «أطلق الأم وخذ لنفسك الأولاد، لكى يكون لك خير» (تث ٢٢:٦-٧).

ويقول علماء بنى إسرائيل: إن مقابل سير إبراهيم أمام الله، هو إرث بنيه من إسحق وحده، أرض كنعان، وقولهم باطل. وذلك لأنه على قولهم لا يكون جزاء لمن قاتلوا وقتلوا من زمان إبراهيم إلى زمان طالوت وداود، فهما اللذان دخلا أرض كنعان. وعلى قولهم لا يكون جزاء لكل نسل إبراهيم، من إبراهيم إلى مجىء موسى ﷺ.

وفى سبى بابل أعاد بنو إسرائيل كتابة توراة موسى، ووضعوا فيها نصوصا على يوم القيامة. وبعد العودة إلى فلسطين، غير العبرانيون نصا إلى صيغة تحتمل الجزاء فى الدنيا أو تحتمل الجزاء فى الآخرة. وقد شهد عليهم السامريون بذلك. والنص هو: «أليس ذلك مكنوزًا عندى، مختومًا عليه فى خزائنى؟ لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم» (تث ٣٢:٣٤) والنص السامرى هو «إلى يوم الانتقام».

**أما فى أسفار الأنبياء:** فهذه طائفة ننقلها من كتاب «ملكوت الله فى إنجيل برنابا».

١- لما أبصر داود ﷺ مجد الجنة بعين البصيرة، وقارن بين نعيمها الحسى والمعنوى، ونعيم الدنيا، وجد أن نعيم الدنيا فى جنب نعيم الجنة قليل، وقال: «لا تنظرى فيما بعد إلى هذا العالم يا عينى، لأن كل شىء فيه باطل، وليس فيه شىء جيد».

٢- وقال إشعياء النبى فى مجد الجنة: «لم تر عينا إنسان، ولم تسمع أذناه ولم يدرك قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه».

٣- وقال أيوب ﷺ: «أعلم: أن إلهى حى، وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى وروحى»[1].

---

(١) ترجمة البروتستانت تنفى بعث الجسد. ونصها: «أما أنا فقد علمت أن وليى حى. ولآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدى هذا، وبدون جسدى أرى الله. الذى أراه لنفسى وعيناى تنظران وليس آخر. إلى ذلك تتوق كليتاى فى جوفى» (أى ١٩:٢٥-٢٧).

ونص ترجمة الآباء اليسوعيين هو: «إنى لعالم بأن فادى حى. وسيقوم آخرًا على التراب. وبعد ذلك تلبس هذه الأعضاء بجلدى. ومن جسدى أعاين الله. الذى أنا أعاينه بنفسى. وعيناى تريانه. لا غيرى. وقد فنيت كليتاى شوقًا فى داخلى» (أى ١٩:٢٥-٢٧).

ويعلق الآباء اليسوعيون على هذا النص بقولهم: «هذا الموضع مشهور جدًا لتصريحه بعقيدة القيامة على غير إشكال، ولا احتمال للتأويل. وإن حاول قوم جهد استطاعتهم أن يحولوا معنى هذه الآيات، مع ما فيها من الوضوح فى بيان المراد. إذ أى عبارة تكون أجلى وأصرح من قوله: «من جسدى أعاين الله» وقوله: «أنا أعاينه بنفسى، وعيناى تريانه. لا غيرى»؟(١).

---

(١) كلمة «شئول» فى العبرانية، معناها «الهاوية» وهى مصير الأشرار. تدل على الحياة الآخرة. وفيها يعاقب الأشرار. و «شئول» تضارع «أمنتى» عند المصريين القدماء الذين كانوا يدينون بعقيدة «أوزوريس» ومعاونيه، فى قاعة المحاكمة بعد الموت. وتضارع «أرالو البابلية» ومعناها: أرض الموت التى لا عودة منها. وتضارع: «الهادز» اليونانية. ومعناها: المسكن الغامض لأشباح الراحلين.

وهذا التشابه بين الأمم فى المعنى، يدل على أن دين موسى ﷺ قد أثر فى الأمم تأثيرا قويا. وأكد لهم ما ورثوه عن هذه العقيدة من آدم والنبيين من بعده. أليس نبى الله يوسف ﷺ قد قال: ﴿**وهم بالآخرة هم كافرون**﴾ (يوسف: ٣٧) وابتدأ يشرح لهم أمر الآخرة. ولما قال فرعون لموسى: «ما بال القرون الأولى؟ قال: علمها عندى ربى فى كتاب. لا يضل ربى ولا ينسى» وهو عنده فى كتاب للمجازاة فى اليوم الأخير. وإبراهيم فى بلاد الكفار يصرح باليوم الأخير فيقول: ﴿**الذى خلقنى فهو يهدينى**﴾ (الشعراء: ٧٨) إلى أن قال: ﴿**واجعلنى من ورثة جنة النعيم**﴾ (الشعراء: ٨٥).

ونبى الله أيوب ﷺ الذى يصرح فى سفره بعقيدة البعث من الأموات، منهم من يقول: إنه كان قبل موسى بزمان طويل، وإنه كان فى فلسطين. ويرى آخرون - بناء على ما جاء فى رسائل «تل العمارنة» وغيرها من النصوص المصرية الحثية القديمة - أنه كان اسما شائعا. وأن الصيغة الأصلية للاسم هى «أباب» التى قد تعنى «أين أبى؟» أى أنه يتيم.

وجاء فى الآثار السومرية شىء عن «أيوب» وأيضا فى الأدب البابلى جاءت مناجاة شعرية عنه بعنوان «أشكر رب الحكمة» وفى الأدب الفرعونى فيما بين المملكة القديمة والوسطى ظهرت وثيقة عنوانها «حوار حول الانتحار» فيها بعض ملامح سفر أيوب. وفيها: «أن الموت خير من الحياة، لأن الناس يصبحون كالآلهة فى العالم السفلى».

وتوجد وثيقة ترجع إلى ألف عام قبل الميلاد. تعالج موضوع «عدالة الله» وعنوانها: «حوار حول البؤس الإنسانى» وهى الأقرب إلى سفر أيوب.

وقد جاء فى القرآن الكريم عن أيوب ﷺ: «اركض برجلك. هذا مغتسل بارد وشراب» ويقول العلماء: إن «المصدر الثانى للمياه فى «أورشليم» هو البئر العميقة المسماة «بئر أيوب» والتى تقع أدنى قليلا من النقطة التى يتقابل عندها «وادى قدرون» مع «ابن هنوم» وترجع تسميتها بهذا الاسم إلى أسطورة تقول: إن الله أمر أيوب أن يقف على قدميه، فينفجر بع بعمل معجزى. وكانت البئر قد اختفت عن الأنظار. ولكن أعيد اكتشافها بواسطة الصليبيين فى سنة ١١٨٤م وقاموا بتطهيرها، ويبلغ عمقها نحو ١٢٥ قدما. والماء الذى يغذى هذه البئر لا ينضب» أ هـ.

=

٤- وقال إشعياء عن نعيم الجنة فى الآخرة، على لسان الله تعالى: «يجلس خدمى على مائدتى فى بيتى، ويتلذذون بابتهاج مع حبور، ومع صوت الأعواد والأراغن، ولا أدعهم يحتاجون شيئًا ما، أما أنتم أعدائى فتطرحون خارجًا عنى. حيث تموتون فى الشقاء، وكل خادم لى يمتهنكم».

٥- وقال أيوب ﷺ عن عذاب الجحيم فى الآخرة: «أرض ظلام، مثل دجى الموت، وبلا ترتيب، وإشراقها كالدجى».

وفى ترجمة اليسوعيين: «أرض دجيه حالكة، كالديجور، وظلال موت. لا نظام فيها، ونهارها كالديجور».

وقبل هذه الآية يقول أيوب لله تعالى: «لم أخرجتنى من الجوف؟ إذن لكانت تفيض روحى. ولا ترانى عين. وكنت كأن لم أكن قط، فأقاد من البطن إلى القبر، أليست أيامى إلى حين؟ فاكفف وخفف عنى؛ فأرتاح قليلا. قبل أن أنصرف انصراف من لا يئوب إلى أرض ظلمة، وظلال موت. أرض دجية حالكة كالديجور، وظلال موت، لا نظام فيها. ونهارها كالديجور».

وترجمة البروتستانت هى: «فلماذا أخرجتنى من الرحم؟ كنت قد أسلمت الروح ولم ترنى عين. فكنت كأنى لم أكن. فأقاد من الرحم إلى القبر. أليست أيامى قليلة؟ اترك. كف عنى. فأتبلج قليلا. قبل أن أذهب ولا أعود. إلى أرض ظلمة وظل الموت. أرض ظلام مثل دجى ظل الموت وبلا ترتيب. وإشراقها كالدجى».

٦- وقال إشعياء النبى عن عذاب الجحيم فى الآخرة: «إن لهيبهم لا ينطفئ، ودودهم لا يموت».

٧- وقال داود ﷺ عن عذاب الجحيم فى الآخرة: «يمطر على الأشرار فخاخًا، نارًا وكبريتًا. وريح السموم نصيب كأسهم».

---

=

وكلمة «شئول» تدل على مكان إقامة الموتى، ويظنونها فى أعماق الأرض (مزمور ٦٣: ٩و ٨٦: ١٣ وحزقيال ٢٦: ٢٠و ٣١: ١٤ و ٣٢: ١٨ و ٢٤ وعدد ١٦: ٣٠ وتثنية ٣٢: ٢٢ حتى يجمع الموتى فى مجموعات. ومن هنا جاء التعبير «انضم إلى قومه» (تك ٢٥:١٨ و ٣٥: ٢٩و ٤٩: ٣٣ وعدد ٢٠:٢٤ وهذا التعبير يدل - كما توضحه القرينة - على شىء يختلف تماما عن الدفن. فيعقوب -مثلا- «انضم إلى قومه» وبعد ذلك حنطوا جسده، وبعد أيام كثيرة «دفن» (تك ٥: ٢).

٨- وفى الإصحاح الثانى عشر من سفر المكابيين الثانى: أن يهوذا المكابى: «جمع من كل واحد تقدمة، فبلغ المجموع ألفى درهم من الفضة؛ فأرسلها إلى أورشليم، ليقدم بها ذبيحة عن الخطيئة، وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه؛ لاعتقاده قيامة الموتى؛ لأنه لو لم يكن مترجيًا قيامة الذين سقطوا؛ لكانت صلاته من أجل الموتى باطلا وعبثًا، وهو رأى مقدس تقوى، ولهذا قدم الكفارة عن الموتى، ليحلوا من الخطيئة».

٩- وفى الأسفار الخمسة: أن يعقوب ﷺ أبى أن يتعزى على فقد يوسف «وقال: إنى أنزل إلى ابنى نائحًا إلى الهاوية» ويقول الآباء اليسوعيون فى التعليق على قوله: «وفى هذه الآية برهان قاطع يثبت بقاء النفس عقب الوفاة».

١٠- وفى سفر العدد: «يضم هرون إلى قومه» يقول اليسوعيون: «أى إلى رهطه. وفى هذه الآية بينة واضحة تثبت إيمان العبرانيين ببقاء النفس بعد موت الجسد».

١١- وفى زبور داود ﷺ: «تقبض أرواحهم فيموتون، وإلى ترابهم يعودون، ترسل روحك فيخلقون، وتجدد وجه الأرض». فقد ذكر ثلاثة مراحل: هم: الموت والعودة إلى التراب فى القبر. ثم إن الله فى القيامة يرسل روحه. فيحييهم إلى يوم الجمع. ولم يذكر أن فى القبر حياة. ونص الزبور هذا؛ يهد عقائد النصارى فى «المطهر» وفى «حالة الانتظار».

١٢- ويتحدث داود عليه السلام عن فرار المرء فى يوم القيامة من أخيه وأمه وأبيه، وعن أن المجرم لا يقدر على فداء نفسه فيقول: «لا يفتدى أحد أخاه أصلا، ولا يعطى لله كفارة عنه. إذ فداء نفوسهم ثمين، حتى لا يحصل عليه إلى الأبد. أفيحيا أيضا على الدوام ولا يعاين الفساد، بل يعاينه. والحكماء يموتون، وكذلك الجاهل والغبى. يهلكون ويخلفون غناهم لآخرين. قبورهم منازلهم مدى الدهر، ومساكنهم إلى جيل فجيل. وقد دعوا البلاد بأسمائهم. كان الإنسان فى كرامة فلم يفهم. فماثل البهائم وتشبه بها. هذا هو طريقهم وجهلهم. وأعقابهم يرتضون بهم. سلاه. جعلوا فى الجحيم كالغنم.. إلخ».

١٣- وفى المزمور التاسع والأربعين: «مثل الغنى إلى الهاوية يساقون - أى الأشرار - ويسودهم المستقيمون غداة... إنما الله يفدى نفسى من يد الهاوية؛ لأنه يأخذنى» ففى هذا النص: نجد أن الأشرار يذهبون إلى الهاوية بعد الموت. وأن الأخيار سيسودونهم بعد ذلك. ومكان السيادة ليس هو فى الدنيا التى خرجوا منها، وليس هو فى الهاوية؛ لأن الأخيار لن يتساووا بالأشرار فى مكان واحد. وهذا هو ما يعبر عنه فى القرآن الكريم: ﴿**فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون**﴾ والعبارة الأخيرة وهى: «لأنه يأخذنى» تدل على انتقال الجسد

من بعد الموت إلى مكان آخر، فإن أخنوخ قد أخذه الله، وإيليا قد أخذه الله كما هو ثابت فى التوراة. والمزمور الثالث والسبعين «برأيك تهدينى، وبعد إلى مجد تأخذنى» (مز ٢٤:٧٣) مع المزمور ٤٩ يوضحان: أن الله يأخذ الأبرار إليه بعد انتهاء مدة إقامتهم فى الحياة الدنيا. وهذا يدل على البعث من الأموات.

١٤- وفى سفر دانيئال هذه العبارة: «وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية. وهؤلاء إلى العار، للازدراء الأبدى» (دا ١٢:٢) وهى تدل على أن الموتى يبعثهم الله، وتدل على الخلود المؤبد فى جهنم، وعلى الخلود المؤبد فى الجنة وتكذب اليهود فى قولهم: إن النار لنا ليست أبدية. وقد جاء ذلك فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ٢٤) وفى قوله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨٠-٨١).

١٥- ويشبه قول دانيئال فى التأبيد: ما جاء عن الأرض الجديدة والسماء الجديدة فى سفر إشعياء، وفى القرآن الكريم ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم: ٤٨) ففى هذا النص القرآنى أ- تبديل ب- وبروز للمجازاة على الأعمال. وفى نص إشعياء: أ- تبديل ب- وبروز ج- وتأبيد.

ففى الإصحاح السادس والستين: «ويخرجون. ويرون جثث الناس الذين عصوا على؛ لأن دودهم لا يموت، ونارهم لا تطفأ، ويكونون رذالة لكل ذى جسد» وهو يشير بالخروج إلى السماء الجديدة والأرض الجديدة فى الآية.

ويقول الدكتور تشارلز، فى كتابه «التاريخ النقدى لعقيدة الحياة الأبدية فى إسرائيل، فى اليهودية وفى المسيحية»: إن كلمة «رذالة» هى نفسها كلمة «ازدراء» فى دانيئال ٢:١٢ وأنهما يشيران إلى «جهنم» والعقاب الذى يتحمله الأشرار هو عقاب أبدى. أ.هـ.

والدكتور «تشارلز» يصرح بأن نص إشعياء هذا هو تصريح بجهنم. وهو لا يعلم أن المسيح ﷺ قد استدل به على جهنم، كما روى القديس برنابا.

١٦- وفى سفر الحكمة: «أما نفوس الصديقين فهى بيد الله، فلا يمسها العذاب».

وفى ظن الجهال أنهم ماتوا . وقد حسب خروجهم شقاء، وذهابهم عنا عطبًا.

أما هو ففى السلام. ومع أنهم قد عوقبوا فى عيون الناس؛ فرجاؤهم مملوء خلودًا ..».

١٧- وفى سفر أيوب: «أما الرجل فيموت ويبلى. الإنسان يسلم الروح. فأين هو؟ قد تنفد المياه من البحرة، والنهر ينشف ويجف. والإنسان يضطجع ولا يقوم. لا يستيقظون حتى لا تبقى السموات، ولا ينتبهون من نومهم» (أى١٤:١٠-١٢).

فقد شبه الموت بالنوم، وقال: إنهم لا يستيقظون إلا بعد فناء الأرض والسماء. وهذا تصريح منه بنفى الحياة فى القبور للنعيم، أو للعذاب. وقال الله تعالى لأيوب عليه السلام: إن الفرق بين نفس الإنسان ونفس الحيوان: هو فى نسيان الماضى وعدم تذكره «جناح النعامة يرفرف» إلى قوله: «لأن الله قد أنساها الحكمة، ولم يقسم لها الفهم» (أى ٣٩: ١٣- ).

تلك نصوص من الكتب المقدسة عندهم تدل على يوم القيامة، وعلى أن البعث سيكون بالجسد وبالروح معًا.

**وعلماء بنى إسرائيل يصرحون بذلك..**

١- يقول موسى بن ميمون: «إن أنفس الفضلاء - على رأينا - مخلوقة، ولا تعدم أبدًا، وعلى بعض آراء من يتبع ظواهر «المدرشوت» فإن جثثهم أيضًا تكون منعمة دائمًا، أبد الآبدين، كاعتقاد من شهر اعتقادهم فى أهل الجنة»(١).

٢- ويقول سعديا الفيومى: «مدة مقامها متفرقة. تكون إلى أن تجمع جميع النفوس، التى أوجبت الحكمة من البارئ خلقها. وذلك يكون إلى آخر مقام الدنيا، فإذا تم عددها، واجتمعت؛ جمع بين النفوس وأجسامها»(٢).



وصرح عيسى عليه السلام بالبعث الروحى والجسدى: فى قوله: «وإن أعثرتك يدك فاقطعها، خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان، وتمضى إلى جهنم، إلى

(١) ٣٥٦ دلالة الحائرين.

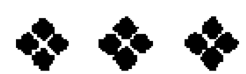
(٢) الأمانات والاعتقادات ص ٢٦٤.

النار التى لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ...» وفى قوله: «خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم» (متى ٥: ٣٠).

وفى إنجيل برنابا: أن بطرس قال للمسيح: أيذهب جسدنا الذى لنا الآن إلى الجنة؟

«أجاب يسوع: احذر يا بطرس من أن تصير صدوقيا. فإن الصدوقيين يقولون: إن الجسد لا يقوم أيضًا، وإنه لا توجد ملائكة، لذلك حرم على جسدهم وروحهم الدخول فى الجنة. وهم محرومون من كل خدمة الملائكة فى هذا العالم. أنسيتم أيوب النبى وخليل الله، كيف يقول: «أعلم أن إلهى حى، وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى، وسأرى بعينى الله مخلصى؟».

وفى إنجيل متى: أن الصدوقيين سألوا المسيح عن امرأة كان لها سبعة أزواج. ففى القيامة لمن من السبعة تكون؟ وأجاب: بأن الجنة الحياة الآخرة ليس فيها تناسل ولا حسد ولا غل ولا حقد، ولذلك سيكون الجميع كملائكة الله مشغولون بتسبيحه عن الملذات الجسدية.



**ولماذا نفرد فصلا للبعث عند النصارى. ونبيهم قد قال فيه بما قال موسى والنبيون من بعده والربيون والأحبار؟**

والإجابة على هذا السؤال: هو أن بولس قال: إن البعث فى القيامة بالروح لا بالجسد. وتبعه النصارى فى قوله ولم يتبعوا عيسى عليه السلام. **ولماذا قال بولس بضد ما قال عيسى عليه السلام؟ والإجابة على هذا السؤال: هو أن التوراة نبهت على مجيء محمد** رسول الله ﷺ وعيسى عليه السلام بشر به. واستدل على مجيئه من بعده بدلائل من التوراة وأسفار الأنبياء منها: أن النبى المعظم دانيئال أخبر عن قيام أربعة ممالك على الأرض، وهى: بابل وفارس واليونان والرومان. وسيزيل مملكة الرومان من أرض فلسطين محمد عليه السلام وسيؤسس مملكة إلهية لا تنقرض أبدًا. وعبر دانيئال عن مملكته بـ «ملكوت الله» أو «ملكوت السموات».

وقد استشهد عيسى عليه السلام بكلام دانيئال فى تبشيره بمحمد عليه السلام وقال لبنى إسرائيل: «توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى٥: ١٧).

ولما رفع المسيح فى المجد؛ زعم بولس أن ملكوت السموات هو ملكوت عيسى نفسه فى مجيئه الثانى قرب يوم القيامة. وزعم: أن الملكوت لن يقوم كما قام ملك بابل وفارس

واليونان والرومان بالحرب والقتال. وإنما سيقوم على قلوب المؤمنين بعيسى عليه السلام بمعنى: أن إيمانهم سيشتد ويقوى، قرب يوم القيامة، وزعم: أن جميع الموتى من لدن آدم عليه السلام إلى حين المجيء الثانى للمسيح. ستظهر أرواحهم بدون أجسادهم، وستنضم إليهم أرواح الذين اشتد إيمانهم. ويصير الجميع إلى الحياة الآخرة بلا أجساد. فهو قد قال بالبعث الروحى، ليلحق الذين ماتوا من زمان آدم بالذين اشتد إيمانهم بمجيء المسيح من جهة الروح. وغرضه من ذلك كله: أن لا يطبق نبوءة دانيال على زمان محمد ﷺ. وذلك واضح من قوله: «إن لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله. ولا يرث الفساد عدم الفساد» وإن لم يكن هذا هو غرضه السيىء، فما هو وجه الربط بين كلامه عن البعث الروحى، وبين إرث ملكوت الله؟

يقول فى رسالته إلى أهل كورنثوس:

«لكن يقول قائل: كيف يقام الأموات؟ وبأى جسم يأتون؟ يا غبى. الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت، والذى تزرعه. لست تزرع الجسم الذى سوف يصير، بل حبة مجردة، وربما من حنطة أو أحد البواقى، ولكن الله يعطيها جسمًا، كما أراد. ولكل واحد من البزور جسمه. ليس كل جسد جسدًا واحدًا، بل للناس جسد، وللبهائم جسد آخر، وللسمك آخر وللطير آخر. وأجسام سماوية، وأجسام أرضية. لكن مجد السماويات شىء ومجد الأرضيات آخر. مجد الشمس شىء ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر؛ لأن نجمًا يمتاز عن نجم فى المجد. هكذا أيضًا قيامة الأموات. يزرع فى فساد ويقام على عدم فساد. يزرع فى هوان ويقام فى مجد، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة، يزرع جسمًا حيوانيًا، ويقام جسما روحانيا. يوجد جسم حيوانى، ويوجد جسم روحانى. هكذا مكتوب أيضًا: صار آدم الإنسان الأول نفسًا حية، وآدم الأخير روحًا محييًا، لكن ليس الروحانى أولا، بل الحيوانى، وبعد ذلك الروحانى. الإنسان الأول من الأرض: ترابى، الإنسان الثانى: الرب من السماء. كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضًا، وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضًا، وكما لبسنا صورة الترابى، سنلبس أيضًا صورة السماوى.

**فأقول هذا أيها الأخوة: إن لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد»** (١ كور ١٥:٣٥-٥٠).



لاحظ قوله: «إن لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله» وراجع قول المسيح نفسه فى رواية متى: «تعالوا يا مباركى أبى، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم» فالمسيح

جعل وراثة الملكوت للذين سيزيلون دولة الرومان، وضرب الأمثلة الكثيرة لاقتراب ملكوت السموات، ومنها مثل الأمة الإسلامية وهو: «بماذا نشبه ملكوت الله؟ أو بأى مثل نمثله؟ مثل حبة خردل. متى زرعت فى الأرض، فهى أصغر جميع البزور التى على الأرض، ولكن متى زرعت، تطلع وتصير أكبر جميع البقول، وتصنع أغصانًا كبيرة، حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها» (مرقس ٤: ٣٠-٣٢).

وقد أشار الله تعالى إليه فى القرآن بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ (الفتح: ٢٩).

## أصل ملكوت السموات

وأصل ملكوت السموات: نبوءة عن محمد ﷺ فى سفر دانيال. وقبل ذكرها، نذكر نبوءات من أسفار موسى الخمسة والأناجيل. ليعلم بيقين أن غرض بولس من البعث الروحانى هو التشكيك فى زمان مجىء محمد ﷺ.

## النبى الأمى
## فى
## التوراة والإنجيل

بين الله تعالى فى التوراة وفى الإنجيل لعلماء بنى إسرائيل ولسائر الأمم: أن سيظهر محمد من آل إسماعيل بن إبراهيم ليكون للعالمين نذيرًا، وأنه سينسخ شريعة موسى وسيغير عوائده وشعائره. ووصف صحابته بالطهر والعفاف، وأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، وأنهم فى بدء الإسلام سيكونون جماعة صغيرة، ثم تنمو رويدا رويدا، حتى يكونوا كبارًا، يعمل الناس لهم ألف حساب وحساب.

ففى الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين: أن الله تعالى قال لإبراهيم: «سر أمامى. وكن كاملا. فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرًا جدًا» والمعنى: امش فى الناس بالدعوة إلى دينى وعرفهم بى لينبذوا عبادة الأوثان. وكن كاملا أى أمة وقدوة فى عمل الخير. ولئن التزمت بالدعوة والقدوة، أجعل عهدى معك بالنبوة والرسالة والملك على الأمم، وقد التزم إبراهيم ﷺ ومن أجل ذلك قال الله له: سأجعل عهدى بالنبوة والرسالة والملك على الأمم فى نسل إسحق ﷺ إذا مشوا بالدعوة إلى وكانوا قدوة فى عمل الخير. فقال إبراهيم لله: وإسماعيل ولدى البكر. أتمنى أن تجعل العهد فى نسله أيضًا. فيكون العهد بالنبوة والرسالة والملك مشتركًا بين إسماعيل وإسحق. ويكون لهذا مدة، ولهذا مدة.

هذا ما قاله إبراهيم لله، ورد الله عليه -حسبما تنص التوراة- فإن فيها: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك... فقال الله. وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره. وأكثره كثيرًا جدًا. اثنى عشر رئيسًا يلد وأجعله أمة كبيرة».

وقد حمل بركة إسحق بالتوراة موسى ﷺ. وحمل بركة إسماعيل بالقرآن محمد ﷺ. وبيان ذلك:

١- أن إسماعيل ﷺ سكن مع أمه فى برية فاران. وهى أرض مكة المكرمة ففى الإصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين: «ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر. لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام وشدى يدك به. لأنى سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية. وكان ينمو رامى قوس. وسكن فى برية فاران. وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر».

هذا هو مكان سكنى إسماعيل المبارك فيه بالملك والنبوة.

٢- وقد قسم موسى عليه السلام بركة الله بالملك والنبوة على ثلاثة أماكن:

(أ) سيناء: مكان نزول التوراة.

(ب) وساعير: مكان تفسير التوراة من علماء وأنبياء بنى إسرائيل.

(ج) وفاران: مكان نزول القرآن.

فقال فى الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وأتى من ربوات القدس. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك».

وفى هذا النص بيان كثرة أصحاب محمد ﷺ فقد قال: «وأتى من ربوات القدس» وفى بعض التراجم: وأتى مع آلاف من جيش المقدسين الطاهرين الذين اختارتهم العناية الإلهية لهذا الغرض المقدس. وفى هذا النص مدح لأصحاب رسول الله ﷺ فقد قال: «جميع قديسيه فى يدك. وهم جالسون عند قدمك. يتقبلون من أقوالك» أى أن الصحابة الأجلاء فى يد رسول الله ﷺ لا يخرجون عن طاعته، وهم جالسون عند قدمه. كناية عن التواضع بين يديه، ويتقبلون من أقواله. أى لا يشرعون لهم من تلقاء أنفسهم.

٣- وقد نبه يعقوب الذى هو إسرائيل بنيه حال موته على مجىء نبى السلام الذى متى جاء فإنه سيأخذ منهم الملك والنبوة. بقوله: «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شعوب» (تكوين ٤٩: ١٠) والمعنى: لا يزول الملك من بنى إسرائيل. وعبر بيهوذا عن بنى إسرائيل بأسرهم. وستظل التوراة شريعة تحت نفوذ الملوك من بنى إسرائيل، حتى يأتى «شيلون» نبى الإسلام، فيتسلم منهم النبوة والملك وتخضع له أمم الأرض.

وليس شيلون إلا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه من إسماعيل المبارك فيه.

٤- ولما كان موسى عليه السلام هو والمشايخ السبعون على جبل طور سيناء لتلقى شريعة التوراة من الله، خاف بنو إسرائيل من الدخان والنار اللذين أحاطا بهما وهما فوق الجبل، وقالوا لموسى عليه السلام: إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ويسمعنا صوته. فليكن عن طريق بشر، ليكن عن طريقك يا موسى. ونحن نسمع ونطيع. فرد موسى كلامهم إلى الله. فقال الله: أحسنوا فى ما قالوا. ولسوف أرسل لهم نبيًا مثلك، وأجعل كلامى فى فمه. أى سيكون نبيًا أميا لا يقرأ ولا يكتب.

وهذا النبى الذى سيأتى مماثلا لموسى هو محمد عليه السلام. لأن الله قد بارك فى إسماعيل -عليه السلام- وجعل له ملكًا ونبوة، كملك بنى إسحق ونبوتهم فإن لإسحق بركة كبركة إسماعيل. وحملها من بنى إسحق كلهم: بنو إسرائيل. وبدأت من بنى إسرائيل من موسى عليه السلام فإنه صاحب الشريعة. وكان رئيسًا مطاعًا، وجاهد فى سبيل الله وأمر أتباعه بدخول الأرض المقدسة. وورثوا بلاد الكفار، من بعد هلاكهم، وأقاموا فيها، وعلموا المؤمنين أحكام التوراة. وضبطوا أمور البلاد بالملك عليهم.

**ففى الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:**

«يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك. مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا لئلا أموت، قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا. أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى، أنا أطالبه، وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلامًا لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى. فيموت(١) ذلك النبى.

(١) فى ترجمة اليسوعيين ودار المشرق: «فليقتل».

وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى. فلا تخف منه» (تث١٨ :١٥-٢٢).

## كيفية انطباق النبوءة على محمد صلى الله عليه وسلم:

أولا: إن من أوصاف هذا النبى المنتظر: أن يكون نبيًا، لا إلهًا. وقد زعم النصارى: أن أوصاف النبى الذى تتحدث عنه هذه النبوءة: تنطبق على عيسى عليه السلام. وزعمهم باطل؛ لأن بعضهم يقول: إن عيسى إله. وبعضهم يقول: هو الإله الخالق للعالم. فالكاثوليك والبروتستانت يقولون: إن عيسى هو الإله الثانى. والله هو الإله الأول. والروح القدس هو الإله الثالث. والأرثوذكس يقولون: إن عيسى هو الله رب العالمين وقد ظهر للناس فى صورة بشر، وعن مذهب الكاثوليك والبروتستانت يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ (المائدة: ٧٣) وعن مذهب الأرثوذكس يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ٧٢) وعن المذهبين: ﴿وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ﴾ (النساء: ١٧١) أى ثلاثة آلهة، أو ثلاث مراحل لواحد.

وهذا مع ما فى التوراة وما فى الإنجيل من أن الله تعالى هو الخالق للعالم وحده وأنه ليس كمثله شىء. ففى الإصحاح السادس من سفر التثنية: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» وفى الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «ليس مثل الله» وفى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا. فسر يوحنا أبناء الله بمعنى المؤمنين بالله فى قوله: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله. أى المؤمنون باسمه» وقال: إن الله لم يره أحد. وحيث أن عيسى قد رآه الناس، فإنه بحكم الإنجيل لا يكون هو الله، لقوله: «الله لم يره أحد قط».

وفى نفس الإصحاح يورد يوحنا كاتب الإنجيل: شهادة يحيى عليه السلام -الذى هو يوحنا المعمدان- بأنه ليس هو النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى فى سفر التثنية لينسخ شريعته. وقد كان يوحنا معاصرًا لعيسى ﷺ. وكان وهو يدعوان اليهود معا؛ لاقتراب ملكوت السموات. مما يدل على أن النبى المنتظر لم يكن قد أتى قبل يحيى وعيسى. وليس هو عيسى ولا يحيى -عليهما السلام- يقول يوحنا: «وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر. وأقر: أنى لست أنا

المسيح(١). فسألوه: إذا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. النبى أنت؟ فأجاب: لا» فقد اعترف المعمدان بأنه ليس هو النبى المشار إليه فى سفر التثنية. وحيث أنهما معًا دعوا إلى اقتراب ملكوت السموات -أى أن دعوتهما واحدة- فإن النبى المنتظر يكون آتيًا من بعدهما. فقد حكى متى ما نصه:

(أ) «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٤: ١٧).

(ب) «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٣:١-٢).

ثانيًا: ومن أوصاف النبى المنتظر: أن يكون من إخوة بنى إسرائيل.

ولو كان هذا النبى من بنى إسرائيل ما كان يقول: «من إخوتهم» وكان يقول: منكم. وحيث أن:

(أ) لإسماعيل بركة.

(ب) وأنه أخ لإسحق الذى هو جدهم.

فإن المراد من إخوتهم: أنه سيأتى من آل إسماعيل؛ لأن لإسماعيل بركة. ففى الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين: «وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنسانًا وحشيًا. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن».

ثالثًا: ومن أوصافه: المماثلة لموسى فى الحروب والانتصار على الأعداء. وقد نصت التوراة على أنه لن يظهر فى بنى إسرائيل مثل موسى. وعليه فإن الآتى يكون من غير جنسهم. وحيث لإسماعيل بركة، فإنه يكون من جنسه. ففى الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية:

«ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهًا لوجه. فى جميع الآيات والعجائب التى أرسله الرب ليعلمها فى أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل

(١) يقصد المسيح المنتظر الذى هو المسيا، والذى هو النبى الأمى المماثل لموسى والذى هو إيليا - حسب تعبير ملاخى - ثلاثة ألقاب لواحد. وذلك لأن هذا الواحد كان مشهورا فى كل مدينة بلقب. والعلماء يعرفون الألقاب. وأرادوا حسم الخلاف فيه.

أرضه. وفى كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل».

رابعًا: ومن أوصافه: أن يسمع له بنو إسرائيل ويطيعون حتى ولو نسخ شريعة موسى. ولم ينسخ شريعة موسى إلا محمد عليه السلام. أما الأنبياء من موسى إلى محمد -عليهما السلام- فقد كانوا على شريعة موسى. حتى يسوع المسيح فإنهم كتبوا أنه كان على دين موسى لقوله: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» (متى ٥:١٧) وقد صرح القرآن بذلك فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦) فقد بين أنه موافق على التوراة التى هى أمامه. وكان العلماء قد ابتدعوا من عندهم تشريعات لم يأذن بها الله. مثل تحريم الأكل بأيد غير مغسولة فألغى المسيح ما ابتدعوه. وكان عيسى عليه السلام مفسرًا لها ولم يكن محرمًا ومحللا من تلقاء نفسه كما كان يفعل الربانيون والأحبار. وقد ألغى تشديداتهم وأباح محرماتهم من تلقاء أنفسهم. كما قال تعالى عنه: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (آل عمران: ٥٠) من الربانيين والأحبار.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ (المائدة: ٤٧) فإن معناه: وليحكموا بما فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة. فإن فى الإنجيل: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» وفيه فى الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى قول عيسى عليه السلام: «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون».

خامسا: ومن أوصافه: أن يكون نبيًا أميًا غير قارئ ولا كاتب. وهذا معنى قوله: «وأجعل كلامى فى فمه».

سادسًا: ومن أوصافه: أن يكون أمينًا على الوحى الإلهى. وهذا مستفاد من قوله: «فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

سابعًا: ومن أوصافه: أن الله ينصره على مخالفيه. وهذا مستفاد من قوله: «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى. أنا أطالبه» أى الله يقول أنا أنتقم من مخالفيه.

ثامنًا: ومن أوصافه: أن لا يقتل. وأن من يكذب ويدعى النبوة ويزعم أنه هو المراد من هذه النبوءة المذكورة فى سفر التثنية، أو يدعو إلى غير الله، فإنه يقتل. وهذا مستفاد من قوله: «وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلامًا لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى» أى فيكون جزاؤه القتل.

تاسعًا: وإن قال متبع شريعة موسى: كيف نميز الصادق من الكاذب؟ أى إذا ظهر من يقول إنى أنا هو ذلك النبى. فكيف نعرف أنه صادق؟

فإنه أعطى علامة للناس، ليعرفوا الصادق من الكاذب. وهى أنه إذا ظهر وأخبر عن غيب، ووقع الغيب كما قال. فإنه يكون صادقًا فى دعوى النبوة.

وهذا مستفاد من قوله: «وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟» وهذا هو السؤال. والإجابة هى: «فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى، فلا تخف منه».

**الوصف العاشر: أن يكون ملكا على بنى إسماعيل والأمم، كما كان موسى ﷺ ملكا على بنى إسرائيل والأمم.**

وهذا الوصف مستفاد من قوله: «له تسمعون» ومن قوله: «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى، الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» وقد جاء هذا المعنى فى القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)، وفى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

ولما قام محمد ﷺ بأمر النبوة، ودعا إلى الله بالقرآن الكريم، وحمى بسيفه من آمن به من أذى المتكبرين الملاعين، أسس مملكة قوية، فى كل ديار بنى إسماعيل، ودانوا لحكمه، وانتخب منهم رجالا معدودين ذوى بأس لقتال الأمم، الذين يصدون الناس عن الدخول فى ملكوته. ووضع فى كل مدينة، افتتحها؛ رجالا من أصحابه، نوابا عنه فى الحكم، وفى تعليم الدين. وأتت إليه وفود من قبائل العرب والعجم؛ لتظهر له السمع والطاعة. وحكم وعدل، وأخذ الجزية من أهل الكتاب. وأسس بيوتا للعبادة ودورا للقضاء فى البلاد المفتوحة. وهابته أمم الكفر، وقدموا له الهدايا، واعترف أهل العلم من الأمم بنبوته، وبسعة ملكه الذى سيمتد إلى أقصى الأرض.

وفى عهد أصحابه من بعده؛ دخل فى ملكوته أهل فارس، والروم، وأهل سبأ ومصر والسودان. وإلى هذا اليوم يدخل الناس فى دين الله أفواجًا.

وقد وضح هذه الصفة بأجلى بيان نبى الله داود عليه السلام فى سفر الزبور. فقد قال: إن أصحاب النبى الأمى الآتى على مثال موسى هم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩) وذلك فى المزمور المائة والتاسع والأربعين. وقال إن هذا النبى سيملك الدنيا بأسرها، وأن الله وملائكته يصلون عليه. أى أن الله راض عنه، وراحم أتباعه. وأن ذكره على كل لسان، فى كل وقت.

وهذا هو نص المزمور الثانى والسبعين، الذى يبين كل ذلك، والذى يعده أهل الكتاب نبوءة النبى الآتى على مثال موسى.

**النص:**

«اللهم أعط أحكامك للملك: وبرك لابن الملك(١). يدين شعبك بالعدل، ومساكينك بالحق. تحمل الجبال سلاما للشعب، والآكام بالبر. يقضى لمساكين الشعب، يخلص بنى البائسين ويسحق الظالمين. يخشونك ما دامت الشمس، وقدام القمر، إلى دور فدور. ينزل مثل المطر على الجزاز، ومثل الغيوث الذارفة على الأرض، يشرق فى أيامه الصديق، وكثرة السلام، إلى أن يضمحل القمر. ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض.

أمامه تجثو أهل البرية. وأعداؤه يلحسون التراب. ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة. ملوك شبا وسبا يقدمون هدية، ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له؛ لأنه منجى الفقير المستغيث والمسكين. إذ لا معين له. يشفق على المسكين والبائس، ويخلص أنفس الفقراء. من الظلم والخطف يفدى أنفسهم، ويكرم دمهم فى عينيه. ويعيش ويعطيه من ذهب شبا. ويصلى لأجله دائما. اليوم كله يباركه.

تكون حفنة بر فى الأرض، فى رءوس الجبال. تتمايل مثل لبنان ثمرتها، ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض. يكون اسمه إلى الدهر. قدام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به. كل أمم الأرض يطوبونه. تبارك الرب إله إسرائيل، الصانع العجائب وحده. ومبارك اسم مجده إلى الدهر، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين ثم آمين» (مزمور ٧٢:١-١٩).



(١) يقصد بالملك: النبى الآتى، ويقصد بابن الملك: أنصاره وأتباعه من بعده.

وينتظر اليهود هذا النبى إلى هذا اليوم، ويستفتحون به على الذين كفروا . وقد أرسل الله المسيح عيسى بن مريم ليبشر به، فقال عنه مثل ما قال موسى وداود، ووصفه بأنه سينتصر على أعدائه فى الحرب، وسيملك على ديارهم.

ومن كلامه فى أمثلة ملكوت السموات: «ويطرحونهم فى أتون النار، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (متى ١٣:٥٠) ومن كلام يوحنا المعمدان عنه: «ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذى رفشه فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» (متى ٣:١١-١٢).

ولما صرف النصارى نبوءات التوراة عن النبى الأمى الآتى إلى العالم، لتصدق زورا على المسيح عيسى ﷺ: كتبوا أن المسيح كان ملكا وحارب أعداءه وانتصر عليهم. والتاريخ يشهد أنه لم يملك ولم يحارب ولم ينتصر، وفى الإنجيل أنه بعدما أراهم معجزة المائدة، أرادوا أن يجعلوه ملكا . فلم يرض. يقول يوحنا : «وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا؛ انصرف إلى الجبل وحده» (يو ٦:١٥).

وقد ظهر مما تقدم: أن محمدًا صلى الله عليه وسلم مكتوب عنه فى التوراة فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية مع المقارنة بالنصوص الأخرى الدالة على بركة إسماعيل عليه السلام ومكتوب عنه فى الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا، وغيره.

وظهر أن التوراة قد وصفت أصحابه بأنهم قديسون طاهرون، وأنهم لا يعصون رسول الله ولا يستكبرون عن طاعته. ففى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك. وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» (تث ٣٣: ٢-٣).



وقد جاء فى القرآن الكريم عن صفات أصحاب رسول الله ﷺ :

١- أنهم يرثون الأرض. ليحكموا أهلها بالحق والعدل والمنصوص عليهما فى القرآن الكريم. فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)

٢- وأنهم أشداء على الكفار، ورحماء بينهم. فقد قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

والَّذين معَهُ أَشدَّاءُ علَى الْكُفَّار رُحمَاءُ بيْنهُمْ تراهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يبْتغُون فضْلاً مّن اللَّه ورضْوانًا سيماهُمْ في وُجُوههم مّنْ أثر السُّجُود ذلك مثلُهُمْ في التَّوْراة﴾ (الفتح: ٢٩).

٣- وأنهم يكونون فى بدء الإسلام جماعة صغيرة، ثم يكبرون. فقد قال تعالى: ﴿ومثلُهُمْ في الإنجيل كزرْعٍ أخْرج شطْأهُ فآزرهُ فاسْتغْلظ فاسْتوىٰ علىٰ سُوقه﴾ (الفتح: ٢٩).

وهذه الصفات مذكورة إلى اليوم فى التوراة وفى الإنجيل، مع صفات أخرى لرسول الله ﷺ تدل على أنه رحمة للعالمين.



١- فعن أن المسلمين يرثون الأرض إلى الأبد:

نذكر هذا النص من الزبور - وهو قد نزل بعد الذكر - أى التوراة -بخمسمائة عام تقريبًا-:

«لا تغر من الأشرار، ولا تحسد عمال الإثم، فإنهم مثل الحشيش، سريعًا يقطعون، ومثل العشب الأخضر يدبلون. اتكل على الرب، وافعل الخير. اسكن الأرض وارع الأمانة، وتلذذ بالرب فيعطيك سؤال قلبك. سلم للرب طريقك واتكل عليه، وهو يجرى ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة. انتظر الرب واصبر له ولا تغر من الذى ينجح فى طريقه من الرجل المجرى مكائد. كف عن الغضب وترك السخط، ولا تغر لفعل الشر، لأن عاملى الشر يقطعون، والذين ينتظرون الرب، هم يرثون الأرض. بعد قليل لا يكون الشرير، تطلع فى مكانه فلا يكون. إما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون فى كثرة السلامة.

الشرير يتفكر ضد الصديق، ويحرق عليه أسنانه. الرب يضحك به، لأنه رأى أن يومه آت. الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقير. لقتل المستقيم طريقهم. سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر. القليل الذى للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين لأن سواعد الأشرار تنكسر وعاضد الصديق الرب. الرب عارف أيام الكملة، وميراثهم إلى الأبد يكون. لا يخزون فى زمن السوء وفى أيام الجوع يشبعون، لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب كبهاء المراعى. فنوا. كالدخان فنوا. الشرير يستقرض ولا يفى. أما الصديق فيترأف ويعطى، لأن المباركين منه يرثون الأرض، والملعونين منه يقطعون.

من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان وفى طريقه يسر. إذا سقط لا ينطرح، لأن

الرب مسند يده. أيضًا كنت فتى وقد شخت، ولم أر صديقًا تخلى عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزًا. اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة.

حد عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد، لأن الرب يحب الحق ولا يتخلى عن أتقيائه. إلى الأبد يحفظون. أما نسل الأشرار فينقطع. الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد. فم الصديق يلهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه فى قلبه، لا تتقلقل خطواته. الشرير يراقب الصديق محاولا أن يميته. الرب لا يتركه فى يده ولا يحكم عليه عند محاكمته. انتظر الرب واحفظ طريقه، فيرفعك، لترث الأرض. إلى انقراض الأشرار تنظر.

قد رأيت الشرير عاتيًا وارفًا، مثل شجرة شارقة ناضرة. تميز فإذا هو ليس بموجود والتمسته فلم يوجد. لاحظ الكامل وانظر المستقيم، فإن العقب لإنسان السلامة. أما الأشرار فيبادون جميعًا. عقب الأشرار تنقطع أما خلاص الصديقين، فمن قبل الرب حصنهم فى زمان الضيق، ويعينهم الرب وينجيهم. ينقذهم من الأشرار ويخلصهم، لأنهم احتموا به» (مزمور ٣٧).

**٢- وعن أنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم:**

فى سفر المزامير - وهو من أسفار التوراة العبرانية-:

«لأن الرب راض عن شعبه. يجمل الودعاء بالخلاص. ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله فى أفواههم، وسيف ذو حدين فى يدهم ليصنعوا نقمة فى الأمم وتأديبات فى الشعوب، لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه» (المزمور ١٤٩).

**٣- وعن أنهم يكونون فى بدء الإسلام جماعة صغيرة ثم يكبرون:**

ففى إنجيل متى ومرقس ولوقا: ذكر عيسى عليه السلام أمثلة كثيرة لملكوت السموات ومنها هذا المثل المشار إليه فى سورة الفتح فى القرآن الكريم.

(أ) النص عند متى: «يشبه ملكوت السموات حبة خردل، أخذها إنسان وزرعها فى حقله. وهى أصغر جميع البزور. ولكن متى نمت، فهى أكبر البقول وتصير شجرة، حتى أن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها» (متى ١٣: ٣١-٣٢).

(ب) النص عند مرقس: «وقال: بماذا نشبه ملكوت الله؟ أو بأى مثل نمثله؟ مثل حبة

حردل متى زرعت فى الأرض، ولكن متى زرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول، وتصنع أغصانًا كبيرة، حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها» (مرقس ٤: ٣٠-٣٢).

(ج) النص عند لوقا: «فقال: ماذا يشبه ملكوت الله؟ وبماذا أشبهه؟ يشبه حبة خردل أخذها إنسان، وألقاها فى بستانه، فنمت وصارت شجرة كبيرة وتآوت طيور السماء فى أغصانها» (لوقا ٣: ١٨-١٩).

**وملكوت السموات:**

هو سيادة شريعة الله على الأرض على يد محمد ﷺ. وذلك لأن النبى المعظم دانيال أنبأ فى سفره عن قيام أربعة ممالك على الأرض. وعقب زوال المملكة الرابعة يتأسس ملكوت السموات. ولم يزل المملكة الرابعة إلا محمد ﷺ والمملكة الأولى هى مملكة بابل، والثانية هى مملكة فارس، والثالثة هى مملكة اليونان، والرابعة هى مملكة الرومان. وقد زالت دولة الرومان من أرض فلسطين فى عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة خمس عشرة من الهجرة. يقول دانيال عقب ذكره المملكة الرابعة: «كنت أرى فى رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطانًا ومجدًا وملكوتًا، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» (دانيال ٧:١٣-١٤) ويقول دانيال: «وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدًا وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك. وهى تثبت إلى الأبد» (دانيال ٢:٤٤) ويؤكد دانيال على أن هذا الأمر بقضاء أزلى فيقول: «ليكن اسم الله مباركًا من الأزل وإلى الأبد. لأن له الحكمة والجبروت. وهو يغير الأوقات والأزمنة، يعزل ملوكًا وينصب ملوكًا. يعطى الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهمًا. هو يكشف العمائق والأسرار. يعلم ما هو فى الظلمة وعنده يسكن النور» (دانيال ٢:-٢-٢٢).

وهذا هو النص بتمامه فى سفر دانيال:

«وفى السنة الأولى لبليشاصر ملك بابل، رأى دانيال حلمًا، ورؤى رأسه على فراشه. حينئذ كتب الحلم وأخبر برأس الكلام. أجاب دانيال وقال: كنت أرى فى رؤياى ليلا، وإذا بأريع رياح السماء هجمت على البحر الكبير، وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة. هذا مخالف ذاك.

الأول كالأسد، وله جناحا نسر. وكنت أنظر، حتى انتتف جناحاه. وانتصب على الأرض، ووقف على رجلين كإنسان، وأعطى قلب إنسان.

وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب، فارتفع على جنب واحد، وفى فمه ثلاث أضلع بين أسنانه. فقالوا له هكذا: قم كل لحمًا كثيرًا.

وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النمر، وله على ظهره أربعة أجنحة طائرة. وكان للحيوان أربعة رءوس وأعطى سلطانا.

بعد هذا كنت أرى فى رؤى الليل وإذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جدًا وله أسنان من حديد كبيرة. أكل وسحق وداس الباقى برجليه. وكان مخالفًا لكل الحيوانات الذين قبله. وله عشرة قرون. كنت متأملا بالقرون. وإذا بقرن آخر صغير، طلع بينها. وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه، وإذا بعيون كعيون الإنسان فى هذا القرن، وفم متكلم بعظائم.

كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة، نهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدين وفتحت الأسفار. كنت أنظر من أجل صوت الكلمات العظيمة التى تكلم بها القرن. كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه، ودفع لو قيد النار. أما باقى الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت.

كنت أرى فى رؤى الليل، إذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان. أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه؛ فأعطى سلطانًا ومجدًا وملكوتًا، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى. ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض» (دا ٧:١-١٤).

انظر فى كلام دانيآل هذا، إلى الحيوان الرابع. الذى يرمز إلى مملكة الروم. وانظر إلى «ابن الإنسان» الذى سيعطيه الله عز وجل ملكوتًا، لتخضع كل الشعوب والأمم والألسنة لشريعته، والذى سلطانه وملكوته لن ينقرض أبدًا.

ثم أسأل نفسك: من هو هذا الذى أزال الروم من أرض فلسطين؟ أليس هو محمد صلى الله عليه وسلم؟

ولذلك قال يوحنا المعمدان لبنى إسرائيل: «توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٣:٢) وقال المسيح عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل: «توبوا: لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٥ :١٧).

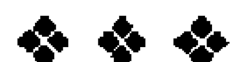
وعلم عيسى تلاميذه أن يصلوا لله هكذا: «أبانا الذى فى السموات. ليتقدس

اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك، كما فى السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا فى تجربة. لكن نجنا من الشرير؛ لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين» (متى ٦:٩-١٣).

انظر إلى قوله عليه السلام: «ليأت ملكوتك» الذى أنبأ عن مجيئه النبى دانيآل. واسأل نفسك: هل هو ملكوت المسيح فى مجيئه الثانى، ملكوتًا روحيًا على القلوب. كما يزعم النصارى تبعا لكلام بولس وشيعته؟ كيف يكون هذا؟ وقد قال المسيح نفسه: «ولست أنا بعد فى العالم» (يو ١١:١٧).

وهذا الملكوت هو ملكوت محمد ﷺ. وذلك لأن الله تعالى صنع عهدًا بينه وبين إبراهيم عليه السلام. وهو أن يسير هو وبنوه أمامه فى دعوة الناس إلى دينه ونبذ عبادة الأوثان. وفى مقابل هذا السير، يعطيهم الله البلاد التى مكنوا فيها لعبادة الله ملكا. ومن قتل فى سبيل الله، فله الجنة، ومن لم يقتل. فإنه إذا يأتى إلى الله فى الدار الآخرة، فإنه ينال أجره بحسب ميزان أعماله. وقد استجاب الله تعالى لطلب إبراهيم منه، أن يجعل فى نسل إسماعيل ملكًا ونبوة. وقال له: «وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيها ها أنا أباركه. وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا. اثنى عشر رئيسًا يلد، وأجعله أمة كبيرة» (تك١٧ :٢٠).

وقد ضرب عيسى عليه السلام أمثلة كثيرة لملكوت السموات لتبيين حقائقه، وتوضيح مقاصد الله منه. وفسر الأسابيع السنين فى الأصحاح التاسع من سفر دانيال بما ينطبق على زمان محمد ﷺ فقال: إن السبعين أسبوعًا × ٧ سنين = ٤٩٠ سنة. فمحمد سيأتى من بعده بأربعمائة وتسعين سنة. وإذ تسحب المدة من حين خراب أورشليم على يد أدريانوس الرومانى سنة ١٣٢م فإن سنة مجيئه تكون ٤٩٠ + ١٤٢ = ٦٢٢ وعمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح أورشليم فى ذاك الزمان(١).



**فكيف مع هذا يدعى بولس أن ملكوت السموات هو مجىء المسيح مرة ثانية بالملك الروحى؟ ويقول: «إن لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله».**



(١) انظر الجزء الثانى من كتاب البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل - وأيضًا: فتح الملك العلام فى البشائر. بدين الإسلام.

**والفلاسفة الذين كفرهم أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ لقولهم بأن البعث من الأموات بالروح لا بالجسد.** هم قالوا بما قالوا تبعًا لبولس. وساقوا على رأيهم حجج بولس. ولكننى لا أدرى أكانوا يفهمون أنه يشاغب فى ملكوت السموات الذى أصله من سفر دانيال أم لا؟ فابن سينا يقول: إن الأرض قد ابتلعت جثث موتى. وإن الأرض التى ابتلعت جثثهم؛ قد حرثها الحراثون وزرعها الزارعون. وحصدوا الزرع فى أوانه، وزرعوا غيره، سنة إثر سنة. إلى سنين لا يعلم عددها إلا الله. فأنى يمكن بعث مادة، كانت حاملة لصورتى إنسانين[1]؟

---

(١) الرسالة الأضحوية لابن سينا ص ٥٦ - ٥٧ وأيضًا: تهافت الفلاسفة تحقيق الدكتور سليمان دينا.

## الفصل الخامس

## فى

## المعاد الجسمانى والروحانى

قليلون هم القائلون بأن البعث من الأموات بالروح دون الجسد، وليس لأنهم قليلون تحتقر كلامهم، بل لأن كلامهم خالى من الدليل «المحكم» وإنهم يقولون: بأن الإنسان إذا نام، تأتيه الأحلام فيسعد ببعضها ويلتذ، ويتألم ببعضها ويشقى ويحس بالسعادة، كما يحس بها، وهو يقظان، ويحس بالألم، كما يحس به، وهو يقظان ويلتذ بالشجاعة ويتألم من الهزيمة.

وفى يوم القيامة لا يحيى الله الجسد، ولا يحيى العظام، وهى رميم، وإنما يبعث الأرواح ويحاسبها، ويعذبها بالنار، أو ينعمها بالجنة.

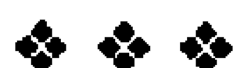
ويقول النصارى ببعث الأرواح، ويقول اليهود ببعث الأرواح والأجساد و «بولس» النصرانى يشبه البعث من الأموات بالحبة، يضعها الزارع فى الأرض فتموت. وبعد الموت تخرج نباتًا. سيقانًا وورقًا ولونًا، وكذلك الإنسان - كما يزعم - يموت وبعد الموت يخرج إلى الحياة الآخرة بروح جديدة، وجسد جديد، يختلف عما كان عليه فى الدنيا كما اختلف النبات عن الحبة -التى هى البذرة[1].

وتشبيه «بولس» غير تام، فإن هدف الزارع من «الحبة» فى الأرض، هو أن تأتى الحبة بحبوب كثيرة، ويثمر كثير، والحبة فى النهاية تعود حبة، فإنه يضعها فى الأرض: فتموت، ثم تصير نباتا، ثم تظهر الحبوب وتنضج، فيقطفها الزارع، فالحبة فى النهاية عادت حبة، مثل الحبة الأولى، وكذلك الإنسان يموت ويحيا كما كان أولا.

يقول «بولس فى الإصحاح الخامس عشر من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، ما نصه: «لكن يقول قائل: كيف يقام الأموات؟ وبأى جسم يأتون؟ يا غبى، الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت، والذى تزرعه، لست تزرع الجسم الذى سوف يصير، بل حبة مجردة، ربما من حنطة، أو أحد البواقى، ولكن الله يعطيها جسمًا كما أراد، ولكل واحد من البزور جسمه، ليس كل جسد جسدًا واحدًا، بل للناس جسد واحد، وللبهائم جسد آخر، وللسمك آخر، وللطير آخر وأجسام سماوية، وأجسام أرضية، لكن مجد السماويات شىء ومجد

(١) قد وضحنا هذا فى تقديمنا لكتاب نفخ الروح والتسوية للإمام الغزالى.

الأرضيات آخر. مجد الشمس شيء، ومجد القمر آخر، ومجد النجوم آخر، لأن نجمًا يمتاز عن نجم في المجد، هكذا أيضًا، قيامة الأموات. يزرع في فساد، ويقام في عدم فساد يزرع في هوان، ويقام في مجد يزرع في ضعف، ويقام في قوة يزرع جسمًا حيوانيًا، ويقام جسمًا روحانيًا، يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني» (١ كو ١٥:٢-٤٤).



ومن القول ببعث الأرواح دون الأجساد، يكذبه العقل السليم، ويكذبه النص المحكم الواضح الدلالة على المعنى المراد.

أما من جهة العقل، فإن الجسد بدون الروح، لا يتأثر بشيء، والروح بدون الجسد، لا تتأثر بشيء. ولا بد من بعث الجسد، من القادر عليه، بخصائصه التي كانت فيه حال الحياة، ليقبل الهواء، ويحيا. ومثل ذلك مثل جهاز «الراديو» فإنه جسم مركب ذو خصائص معينة، لقبول الأصوات من الجو. والأصوات في الجو لا مكان لها، ولكن الهواء يحملها، ولا أحد يراها، وإذا مرت على أي جسم غير «الراديو» لا يحس بها أحد، وإنما يحس بها الناس إذا مرت على الجسم المهيأ لقبولها بخصائصه الذاتية وهو الراديو. والقادر الحكيم جل شأنه كما قدر على الخلق أولا، يقدر على الإعادة ثانيًا، والبراهين على ذلك لا تعد ولا تحصى.

**وأما من جهة النص المحكم:** ففي القرآن الكريم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس٧٨-٨٢).

ودليل الأحلام ليس دليلا عقليًا كاملا، فإن الإنسان يلتذ في اليقظة على طول الدوام، والتذاذه في الأحلام شيء عارض، ولا يقاس نعيم الجنة الدائم على شيء عارض، وكذلك لا يقاس الشقاء.



والفيلسوف «ابن رشد» فيلسوف قرطبة، الذي اشتهر عنه أنه يقول ببعث الأرواح، قال بأن هذه العقيدة يجب أن لا يبوح بها العلماء للعوام من المسلمين. وقوله هذا يدل على أنها عقيدة لا تثبتها الأدلة.

وهذا هو رأيه:

(أ) إن بقاء النفس هو مما اتفقت على وجوده الشرائع(١)، وقامت عليه البراهين عند العلماء.

(ب) إذا كان بين الشريعة والفلسفة اختلاف فى هذا الباب، فهو يتصف:

(أ) بصفة المعاد، لا بوجوده. أى أهو جسمانى أم روحانى؟

(ب) وبالشواهد التى مثل بها الشرع على صفة المعاد تلك، حتى إننا لنجد من الشرائع ما لم يمثل على هذه الصفة بأمثلة حسية، بل اعتبر حال المعاد بمثابة أحوال روحانية ولذة ملكية، ومنها ما اعتمد التمثيل بالمحسوسات، لأنه أشد تفهيمًا للجمهور، فالتمثيل الروحانى «يشبه أن يكون أقل تحريكًا لنفوس الجمهور إلى ما هنالك، والجمهور أقل رغبة فيه».

(ت) إن فى النفس جزءًا واحدًا، قابلا للمفارقة أو الخلود، هو العقل(٢). وأما سائر أجزاء النفس، وهى الغاذية والحاسية والنزوعية والمخيلة، فهذه الأجزاء، تفنى بعد الموت.



**وللفلاسفة القائلين ببعث الأرواح دليلان من العقل. هما:**

الأول: أن المرء إذا مات، يفنى جسده فى التراب، والتراب يخرج نباتًا وحبًا. يأكله الناس، فالإنسان الميت قد صار غذاء لآخر، وقد يأكل إنسان لحم إنسان آخر - كما كان فى الشعوب البدائية - فكيف تعود المادة الواحدة بدنا للآكل وللمأكول؟ وهذه الشبهة ذكرها سعديا الفيومى على منع العذاب فى القبر.

والثانى: أن العالم قديم والنفوس قديمة -وهى كثيرة جدًا- فكيف تفى المادة الأرضية، المتناهية الحجم، أبدانا، لعدد غير متناه من النفوس؟

**وأما الدليل النقلى لفلاسفة المسلمين. فهو:**

إن ما ورد فى القرآن وفى السنة عن النعيم الجسدى، ما هو إلا أمثال، ضربها الله

(١) الشرائع اتفقت على إحياء الموتى فى الدار الآخرة، ولم تتفق على بقاء الأنفس بدون الأجساد.
(٢) إنه يظن أن العقل روحانى مجرد، مثل الروح المفارقة. ويلزم على ظنه هذا: أن يكون العقل، غير الروح المفارقة، وغير روح التنفس، وغير جسد المرء. وكل ذلك عبء ثقيل على الجسد.

تعالى لبيان معنى النعيم، على حسب ما يألفون. وليس المثل على الحقيقة، بل هو على التشبيه فقط، كما أن الله تعالى يخاطب الناس عن نفسه، بأن له يدين ورجلين، وعينين. وما شابه ذلك من أعضاء الجسم مع أنه ليس بجسم، وذلك لأنه ليس كمثله شيء، ولأنه فى كل مكان، بعلمه. وما هذه الأخبار إلا لتقريب ذاته المقدسة إلى عمول الناس لأن القرآن تكلم عن الله بلسان بنى آدم.

ويقول القائلون ببعث الأرواح دون الأجساد: إن آية: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ تدل على بعث الأرواح، فإن الله تعالى صدر الكلام عن نعيم الجنة بلفظ ﴿مثل﴾ والمثل لتقريب المعانى إلى الأذهان، وليس على الحقيقة.

قال الله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾ (محمد ١٥).



**والرد على هؤلاء:**

**أولا: أن** معنى كلمة ﴿مثل الجنة﴾ هو وصف الجنة، فالآية ليست لضرب مثل، بل لبيان صفة. وقد حكى الإمام فخر الدين أن سيبويه النحوى رحمه الله، قال بذلك.

**ثانيا:** أن الذى أوجب على العاقل تأويل الآيات التى يوهم ظاهرها: أن لله أعضاء كأعضاء الإنسان هو «المحكم والمتشابه» الوارد فى القرآن الكريم، وليس لأوصاف الجنة فى القرآن إلا آيات محكمة، فقول الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى ١١) محكم، وقوله: ﴿هل تعلم له سميا﴾ (مريم ٦٥) محكم، والمحكم ينفى التشبيه، واليد فى قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ (الفتح ١٠) يثبت ظاهرها التشبيه. ولموهم التناقض هذا، تعين الرجوع إلى لغة العرب التى نزل بها القرآن لبيان مراد الله تعالى. وبالرجوع إلى لغة العرب، وجدنا أنهم يقولون: «يد الأمير فوق الرعية» يعنون باليد قدرة الأمير، لا يده التى يأكل بها، وعلى ذلك صار قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ قولا متشابها يحتمل معنيين: المعنى الأول: اليد

الجارحة، والمعنى الثانى: القدرة. ولما كانت الآية المحكمة تنفى التشبيه، فإن مراد الله تعالى يكون هو القدرة.

**ثالثًا:** قولهم بأن المادة الواحدة كيف تعود بدنا للآكل وللمأكول؟ هو قول باطل، لأن المرء قد خلقه الله من العدم، ولم يكن له قبل العدم شىء يختص به من نفس أو عقل، ولما خلقه، خلقه ﴿ مِن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ والقادر على الخلق ابتداء من عدم، هو قادر على الخلق ثانيًا. ولذلك قال الله تعالى بعد ما ذكر المراحل السابقة: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة ٣٧-٤٠).

**رابعًا:** أن القول بقدم العالم، وبقدم النفوس، وبأن النفوس موجودة قبل الأجسام(١). هو قول باطل، فإن العالم حادث، والنفوس حادثة بحدوث الإنسان.

**خامسًا:** إن قول (ابن رشد) الفيلسوف بأن من الشرائع ما اعتبر حال المعاد بمثابة أحوال روحانية ولذة ملكية. هو قول كان يجب عليه أن يدعمه بالنصوص من الشرائع، فإن بولس هو القائل به بدون سند إلهى عن المسيح عيسى عليه السلام، وبدون سند إلهى عن التوراة، ففى إنجيل متى يقول المسيح عليه السلام فى (موعظة الجبل): «فإن كانت عينك

---

(١) آراء «أرسطو» فى قدم العالم والرد عليه.

اشتهر عن «أرسطو» الفيلسوف اليونانى بأنه يصرح بقدم العالم. وهذا لو صح عن «أرسطو» يكون قولا هادا لمعجزات الأنبياء. وحادا لإرادة الله تعالى. إذ لزوم العلة للمعلول تكون مجبرة معه على الفعل وهو جل جلاله مريد و «فعال لما يريد».

**وهذا هو ما اشتهر عنه من حججه:**

الحجة الأولى: أن الحركة لا كائنة ولا فاسدة - يعنى الحركة على الإطلاق - لأنه يقول: إن كانت الحركة حدثت، فكل حادث يتقدمه حركة وهى خروجه للفعل -وحدوثه مكون بها. فتكون الحركة إذًا موجودة. وهى الحركة التى بها وجدت هذه الحركة الأخيرة. فالحركة الأولى قديمة ضرورة. أو يمر الأمر إلى لا نهاية. وبحسب هذا الأصل أيضًا يقول: أن الزمان غير كائن ولا فاسد. إذ الزمان تابع للحركة، ولازم لها، ولا حركة إلا فى زمان، ولا يعقل الزمان إلا بالحركة

الحجة الثانية: المادة الأولى المشتركة للإسطقسات الأربعة. لا كائنة ولا فاسد؛ لأنها إن كانت المادة الأولى كائنة فلها مادة. منها تكونت. ويلزم أن تكون هذه المتكونة ذات صورة. إذ هى حقيقة الكون. ونحن فرضناها مادة، لا ذات صورة فتلك ضرورة غير كائنة من شىء فهى أزلية لا تبيد.

=

اليمنى تعثرك، فاقلعها، وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى

=

الحجة الثالثة: أن مادة الفلك بجملتها ليس فيها شىء من التضاد، لأن الحركة الدورية، لا ضد لها. وإنما التضاد فى الحركة المستقيمة. وكل ما يفسد فإنما سبب فساده هو ما فيه من التضاد. وإذ الفلك لا تضاد فيه، فإنه ليس فاسدًا. وما ليس بفاسد، فليس بمتكون.

الحجة الرابعة: كل حادث، فإمكان حدوثه متقدم على حدوثه بالزمان. وكذلك كل متغير، فإمكان تغيره متقدم عليه بالزمان. وبهذه المقدمة ألزم دوام الحركة الدورية وأنها لا انقضاء لها ولا بداءة.

والرد عليه: هو أن «أرسطو» لم يبرهن على قدم العالم. فقد قال فى «السماع» (الطبيعة ٨/١ - ٢٥١ب ١٥): «إن جميع من تقدمنا من الطبيعيين يعتقد أن الحركة كائنة فاسدة، وكذلك السماء أيضًا عنده كائنة فاسدة» هذا نص قوله. ومعلوم أنه لو كان قدم العالم قد تبرهن عنده؛ لماذا احتاج «أرسطو» أن يحتج بقول من تقدم من الطبيعيين. وإذا كان هو يعتقد قدم العالم؛ فإنه ما كان يكون محتاجا لأن يقول كل ما قاله فى ذلك الموضع من التشنيع على من خالفه؛ وذلك لأن كل ما تبرهن، لا تزيد صحته ولا يقوى اليقين به: إجماع كل العالمين عليه، ولا تنقص صحته ولا يضعف اليقين به: مخالفة أهل الأرض كلهم عليه.

وقال أرسطو فى «السماء والعالم» (١/١٠ - ٢٧٩ ب ٤) عندما شرع أن يبين أن السماء غير كائنة ولا فاسدة. قال: «فتريد الآن أن نفحص بعد ذلك عن السماء أيضًا. فنقول: أتراها مكونة من شىء أو غير مكونة من شىء؟ وهل تقع تحت الفساد أو لا تفسد البتة؟» ورام بعد فرض هذه المسألة أن يذكر حجج من يقول بكون السماء كائنة فاسدة فأتبع ذلك بكلام هذا نصه: «فإما إذا فعلنا ذلك، كان قولنا حينئذ عند محسنى النظر أقبل وأرضى. ولا سيما إذا سمعوا حجج المخالفين أولا. فإنا إذا قلنا: نحن رأينا، وذكرنا حججنا، ولم نذكر حجج المخالفين، كان أضعف لقبولها عند السامعين. ومما يحق على من أراد أن يقضى بالحق أن لا يكون معاديًا لمن يخالفه، بل يكون رفيقًا منصفا، يجيز له مايجيز لنفسه من صواب الحجج» هذا نص كلامه. وكيف يتخيل أحد أن الشىء الذى تبرهن يكون قبوله ضعيفًا، إن لم تسمع حجج المخالفين فيه؟ فقول أرسطو بقدم العالم هو قول لم يبرهن عليه.

**والدليل على حدوث العالم:**

أن كل حادث كائن بعد أن لم يكن. وكانت مادته موجودة. وهى خلعت صورة وليست أخرى؛ لأن طبيعته وحدوثه وفراغه واستقراره، غير طبيعته فى حال تكونه وأخذه فى الخروج من القوة إلى الفعل، وغير طبيعته أيضًا قبل أن يتحرك للخروج إلى الفعل. والعالم بجملته قد أوجده الله بعد عدم؛ وكونه إلى أن كمل كما نراه.

(راجع دلالة الحائرين).

جسدك كله فى جهنم، وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك احد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم» (متى ٥ :٢٩-٣٠) فهذا تصريح ببعث الأجسام مع الأرواح.

وفى إنجيل برنابا: أن «بطرس» قال للمسيح: «أيذهب جسدنا الذى لنا الآن إلى الجنة؟ أجاب يسوع: احذر يا بطرس من أن تكون صدوقيًا، فإن الصدوقيين يقولون: إن الجسد لا يقوم أيضًا، وأنه لا توجد ملائكة، لذلك حرم على جسدهم وروحهم الدخول فى الجنة. وهم محرومون من كل خدمة الملائكة فى هذا العالم. أنسيتم أيوب النبى، وخليل الله، كيف يقول: «أعلم أن إلهى حى، وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى، وسأرى بعينى الله مخلصى»؟

ولكن صدقونى: إن جسدنا هذا يتطهر على كيفية لا يكون له معها خاصة واحدة من خصائصه الحاضرة، لأنه سيتطهر من كل شهوة شريرة، وسيعيده الله إلى الحال التى كان عليها آدم، قبل أن أخطأ» (برنابا ١٧٣ :٨-١٣).

ففى هذه النصوص:

١- أن المسيح صرح ببعث الأجساد والأرواح فى يوم القيامة.

٢- أن طائفة من اليهود العبرانيين، هى طائفة الصدوقيين، تنكر البعث بالروح وبالجسد.

٣- أن التوراة العبرانية نصت بصراحة على البعث بالجسد والروح، وذلك فى سفر أيوب عليه السلام فى قول أيوب: «أعلم: أن إلهى حى، وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى، وسأرى بعينى الله مخلصى» (أيوب ١٩ :٢٥-٢٧) والنصارى البروتستانت حرفوا الترجمة إلى «وبدون جسدى» لقولهم ببعث الأرواح فقط. مستندين إلى كلام بولس، مؤسس الديانة النصرانية الحالية.

٤- أن المسيح اعترف بتغير الأجساد، كما اعترف بولس، اعترف بأنها ستكون كجسد آدم عليه السلام من قبل أن يدخل الجنة ويخطئ، ولم يعترف بعدم بعث الأجساد مطلقًا. وكيف يعترف به وهو مقر بتوراة موسى عليه السلام؟ وفيها النص على يوم القيامة. وهو: «أليس ذلك مكنوزًا عندى، مختومًا عليه فى خزائنى؟ لى النقمة والجزاء، فى وقت تزل أقدامهم» (تث ٣٢-٣٤-٣٥) وفى السامرية: «إلى يوم الانتقام» وفى التلمود عن اسم الله تعالى فى التوراة: «اسم ذو اثنين وأربعين حرفًا. قدسى ومقدس. ويعطى فقط

للحصيف الذى وصل إلى نصف عمره، وليس عرضة للغضب ولا للسكر، ولا يثير طعنًا فى أخلاقه، ويتكلم مع الناس بهدوء. وكل ما يعلمه، فهو حريص عليه ويحفظه فى طهارة، ومحبوب لمن فوقه، ومحمود لمن دونه، ومهيب عند الناس، وتعلمه قائم فى يده، وارث العالمين. هذا العالم وعالم الآخرة» (قدوشيم٧١) فقوله: «هذا العالم وعالم الآخرة» اعتراف صريح بالبعث من الأموات. وقد بينت التوراة أن الله يسمع ويرى: ليجازى على الأعمال ففى سفر إرمياء: «أيستخفى إنسان فى الخفايا، وأنا لا أراه؟ يقول الرب: ألست مالئ السموات والأرض؟ يقول الرب» (إر ٢٣:٢٤).

وفى ترجمة البروتستانت: «إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة. أفما أراه؟ يقول الرب: أما أملأ أنا السموات والأرض؟ يقول الرب».

وأصرح من ذلك كله: قول الله لإبراهيم «أجرك عظيم جدا» فى الدنيا والآخرة. وقد وضحه عيسى عليه السلام بأجلى بيان فى إنجيل برنابا.



## منزلة الشهداء فى التوراة

وقد قال الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾

(التوبة: ١١)

وهذا نص من سفر الحكمة يوضح حب بنى إسرائيل فى الشهادة من قبل ظهور الإسلام؛ لأن التوراة حرمت عليهم الخضوع لملوك الكفر وعباد الأوثان. وأوجبت عليهم قتال أئمة الكفر وهدم أصنامهم وأوثانهم. فى سفر المكابيين الثانى، الإصحاح السابع:

«وقبض على سبعة إخوة مع أمهم. فأخذ الملك يكرهم على تناول لحوم الخنزير المحرمة، ويعذبهم بالمقارع والسياط. فانتدب أحدهم للكلام. وقال: ماذا تبتغى؟ وعم تستنطقنا؟ إنا لنختار أن نموت ولا نخالف. شريعة آبائنا. فحنق الملك، وأمر بإحماء الطواجن والقدور. ولما أحميت، أمر لساعته بأن يقطع لسان الذى انتدب للكلام، ويسلخ جلد رأسه، وتجدع أطرافه، على عيون إخوته وأمه.

ولما عاد جذمة، أمر بأن يؤخذ إلى النار، وفيه رمق من الحياة، ويقلى. وفيما كان

البخار منتشرًا من الطاجن، كانوا هم وأمهم يحض بعضهم بعضًا أن يقدموا على الموت بشجاعة. قائلين: إن الرب الإله ناظر، وهو يتمجد بنا. كما طرح موسى فى نشيده الشاهد فى الوجوه، إذ قال: «وسيتحمد بعبيده».

ولما قضى الأول على هذه الحال، ساقوا الثانى إلى الهوان، ونزعوا جلد رأسه مع شعره، ثم سألوه: هل يأكل قبل أن يعاقب فى جسده عضوًا عضوًا؟ فأجاب بلغة آبائه وقال: لا. فأذاقوه بقية العذاب كالأول. وفيما كان على آخر رمق، قال: إنك أيها الفاجر تسلبنا الحياة الدنيا، ولكن ملك العالمين إذا متنا فى سبيل شريعته؛ فسيقيمنا لحياة أبدية. وبعده شرعوا يستهينون بالثالث، وأمروه فدلع لسانه وبسط يديه بقلب جليد. وقال: إنى من رب السماء أوتيت هذه الأعضاء، ولأجل شريعته أبذلها، وإياه أرجو أن أستردها من بعد. فبهت الملك والذين معه من بسالة قلب ذلك الغلام، الذى لم يبال بالعذاب شيئًا. ولما قضى، عذبوا الرابع ونكلوا به بمثل ذلك. ولما أشرف على الموت. قال: حبذا ما يتوقعه الذى يقتل بأيد الناس من رجاء إقامة الله له. أما أنت فلا تكون لك قيامة للحياة. ثم ساقوا الخامس وعذبوه، فالتفت إلى الملك وقال: إنك بما لك من السلطان على البشر، مع كونك فانيًا، تفعل ما تشاء، ولكن لا تظن أن الله قد خذل ذريتنا. اصبر قليلا فترى بأسه الشديد، كيف يعذبك أنت ونسلك. وبعده ساقوا السادس، فلما قارب أن يموت قال: لا تغتر بالباطل فإنا نحن جلبنا على أنفسنا هذا العذاب؛ لأنا خطئنا إلى إلهنا. ولذلك وقع لنا ما يقضى بالعجب. وأما أنت فلا تحسب أنك تترك سدى، بعد تعرضك لمناصبة الله.

وكانت أمهم أجدر الكل بالعجب والذكر الحميد؛ فإنها عاينت بنيها السبعة يهلكون فى مدة يوم واحد، وصبرت على ذلك بنفس طيبة ثقة بالرب. وكانت تحرض كلا منهم بلغة آبائها، وهى ممتلئة من الحكمة السامية، وقد ألقت على كلامها الأنثوى بسالة رجلية، قائلة لهم: إنى لست أعلم كيف نشأتم فى أحشائى، ولا أنا منحتكم الروح والحياة، ولا أحكمت تركيب أعضائكم. على أن خالق العالم الذى جبل تكوين الإنسان وأبدع لكل شىء تكوينه؛ سيعيد إليكم برحمته الروح والحياة؛ لأنكم الآن تبذلون أنفسكم فى سبيل شريعته.

وإن أنطيوكس إذ تخيل أن يستخف به وخشى صوت معير يعيره أخذ يحرض بالكلام أصغرهم الباقى، بل أكد له بالأيمان: أنه يغنيه ويسعده إذا ترك شريعة آبائه، ويتخذه خليلا ويقلده المناصب. ولما لم يصغ الغلام لذلك البتة، دعا الملك أمه وحثها أن تشير على الغلام بما يبلغ إلى خلاصه. وألح عليها حتى وعدت بأنها تشير على ابنها. ثم انحنت إليه واستهزأت بالملك العنيف وقالت بلغة آبائها يا بنى ارحمنى أنا التى حملتك فى جوفها تسعة أشهر، وأرضعتك ثلاث سنين، وعالتك وبلغتك إلى هذه السن، وربتك. انظر يا

ولدى إلى السماء والأرض وإذا رأيت كل ما فيهما؛ فاعلم: أن الله صنع الجميع من العدم، وكذلك وجد جنس البشر. فلا تخف من هذا الجلاد لكن كن مستأهلا لإخوتك، واقبل الموت؛ لأتلقاك مع إخوتك بالرحمة.

وفيما هى تتكلم قال الغلام: ماذا أنتم منتظرون؟ إنى لا أطيع أمر الملك، وإنما أطيع أمر الشريعة التى ألقيت إلى آبائنا، على يد موسى. وأنت أيها المخترع كل شر على العبرانيين، إنك لن تنجو من يدى الله. فنحن إنما نعاقب على خطايانا، وربنا الحى وإن سخط علينا حينًا يسيرًا لتوبيخنا وتأديبنا، سيتوب على عبيده من بعد. وأما أنت أيها المنافق، يا أخبث كل بشر، فلا تتشامخ باطلا، وتتمر بآمالك الكاذبة، وأنت رافع يديك على عبيده؛ لأنك لن تنجو من دينونة الله القدير الرقيب. ولقد صبر إخوتنا على ألم ساعة ثم فازوا بحياة أبدية، وهم فى عهد الله، وأما أنت فسيحل بك بقضاء الله العقاب الذى تستوجبه بكبريائك. وأنا كإخوتى أبذل جسدى ونفسى فى سبيل شريعة آبائنا، وأبتهل إلى الله أن لا يبطئ فى توبته على أمتنا، وأن يجعلك بالمحن والضربات تعترف بأنه هو الإله وحده. وأن ينتهى فى وفى إخوتى غضب القدير الذى حل على أمتنا؛ عدلا.

فحنق الملك، ولم يحتمل ذلك الاستهزاء؛ فزاده نكالا على إخوته. وهكذا قضى هذا الغلام طاهرًا. وقد وكل إلى الرب كل أمره. وفى آخر الأمر هلكت الأم على إثر بنيها» أ هـ.



## منزلة الشهداء فى الإنجيل

قد بين الله تعالى فى القرآن الكريم: أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام مصدق لما بين يديه من التوراة، ولكنه غير مهيمن عليها. فالمهيمن عليها مع التصديق هو محمد صلى الله عليه وسلم. وإذ هو مصدق، واعترف هو به فى قوله: ما جئت لنقض الناموس؛ فإن كل ما فى التوراة عن الجهاد فى سبيل الله، والشهادة؛ يكون ملزما تمام الإلزام لجميع أتباع عيسى عليه السلام. يستوى فى ذلك الأتباع الذين آمنوا بأنه مبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم وماتوا من قبل ظهوره. والأتباع الذين لما ظهر آمنوا به واتبعوه ونصروه. وفى هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٥) ونحن المسلمين من أتباعه؛ لأننا سمعنا قوله عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وصدقنا بنبوته لما ظهر. والتزمنا بشريعته، ولم نلتزم بشريعة اليهود،

التى قال عيسى عليه السلام عنها: إنها ستنسخ على يد محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله: «فإنى الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الناموس؛ حتى يكون الكل» وإن من حرف كلامى، ونقض «إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا؛ يدعى أصغر فى ملكوت السموات، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات».

وكل أحكام التوراة؛ لم يعمل بها بنو إسرائيل والأمم من زمان موسى عليه السلام. وذلك لأن من أحكامها: ظهور نبى مماثل لموسى له يسمعون فى كل ما يكلمهم هذا النبى به. وإذا ظهر وآمنوا به؛ تكون كل أحكام التوراة كاملة. وعيسى عليه السلام قد أظهر هذا المعنى فقال: إننى أنبهكم إلى كمال العمل بالتوراة. فإنه إذا آمن به فى حال ظهوره واحد منكم؛ وعمل بشريعته؛ فإنه يكون قد عمل بكل أحكام الناموس. ذلك قوله: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل» أى لأكمل الناموس بالتنبيه على قرب النبى المنتظر المماثل لموسى، فإن فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية: «يقيم لك الرب إلهك نبيا... إلخ» وعبر عن مملكته وشريعته بملكوت السموات، أو ملكوت الله. وقال: إن شريعته ناسخة للتوراة؛ لأن بنى إسرائيل، له يسمعون، فى كل ما يكلمهم به. وإذ عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة. أى مقر بما فيها وملتزم، فلماذا قال الله فى القرآن الكريم: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ (التوبة: ١١١) ليس إلا لزيادة البيان والإيضاح. كما قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ (آل عمران: ٤٨) والكتاب: هو التوراة والإنجيل هو تفسير نبوءات التوراة عن النبى المنتظر لتصدق على محمد صلى الله عليه وسلم وتدل عليه. والإنجيل: هو البشرى باقتراب زمان هذا النبى الأمى المنتظر لأن اليهود كانوا يستفتحون به على الذين كفروا، ويقولون: «طوبى لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله».

ومع هذا. ففى الإنجيل: أن المسيح سئل عن قتال أهل الروم الوثنيين، الذين كانوا يحتلون فلسطين، التى فيها مدينة نابلس المقدسة، ومدينة أورشليم المقدسة. وأجاب بأن الجهاد فى سبيل الله واجب؛ لما جاء فى التوراة وهو: «من وسط إخوتك تجعل عليك ملكا. لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا، ليس هو أخاك» (تث: ١٧:١٥) ولكن اليهود فى هذا الزمان غير قادرين على قتال الروم. ويجب عليهم أن يصبروا على حكمهم، حتى يقدروا على قتالهم ويقاتلوهم. يقول متى: «حينئذ ذهب الفريسيون، وتشاوروا؛ لكى يصطادوه بكلمة. فأرسلوا إليه تلاميذهم، مع الهيرودسيين، قائلين: يا معلم. نعلم أنك

صادق، وتعلم طريق الله بالحق، ولا تبالى بأحد؛ لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس. فقل لنا: ماذا تظن؟ أيجوز أن تعطى جزية لقيصر، أم لا؟ فعلم يسوع خبثهم وقال: لماذا تجربوننى يا مراءون؟ أرونى معاملة الجزية. فقدموا له دينارا. فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر. فقال لهم: أعطوا إذن ما لقيصر؛ لقيصر، وما لله؛ لله. فلما سمعوا. تعجبوا. وتركوه ومضوا» (متى ٢٢:١٥-٢٢).

فهو عليه السلام لم يخالف حكم الجهاد فى سبيل الله، وإنما أخره فى وقت الاضطرار. فإن داود عليه السلام فى وقت الاضطرار؛ أكل خبز الكهنة، الذى لا يحل له، ولا للذين كانوا معه من بنى إسرائيل (متى ١٢:١-٨) وهو نفسه ﷺ قد كسر السبت لشفاء مريض فيه بإذن من الله. وقال: إن الضرورة تستدعى هذا العمل فى سبت أو غير سبت (متى ١٢:٩-١٣).

وقد حث المسيح ﷺ أتباعه على الجهاد:

(أ) بالكلام الحسن عن محمد صلى الله عليه وسلم، وحثهم على تحمل الأذى من الناس، إذا آذوهم؛ لأنهم يقولون عنه كلاما حسنا. وقالوا لهم: «كونوا حكماء كالحيات، وبسطاء كالحمام. ولكن احذروا من الناس» وقال لهم: امشوا بالكلام الحسن، فى مدن بنى إسرائيل، أولا. وإذا فرغتم من إذاعة اسم محمد فيها بقولكم عنه «اقترب ملكوت السموات» فانطلقوا إلى بلاد الأمم فى فارس والروم وغيرهما. وإنكم إذا قربتم من آخر مدينة فى مدن بنى إسرائيل، سوف تجدون محمدا قد ظهر. ذلك قوله: «ومتى طردوكم فى هذه المدينة، فاهربوا إلى الأخرى. فإنى الحق أقول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل، حتى يأتى ابن الإنسان» صاحب «ملكوت السموات» وقال لهم: إذا قتل واحد منكم بسبب أنه يبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم فإن جزاءه الجنة «من أضاع حياته من أجلى؛ يجدها» وقال لهم: إذا وقفتم أمام ولاة وملوك، وسألوكم عن محمد؛ فقولوا عنه ما سمعتموه منى؛ والله يريد ذلك «شهادة لهم وللأمم» ولا تخافوا فإن الله سيلهمكم بالكلام الحسن «فمتى أسلموكم؛ فلا تهتموا كيف؟ أو بم تتكلمون؟ لأنكم تعطون فى تلك الساعة، ما تتكلمون به. لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم».

وحث أتباعه على أن يستشهدوا فى سبيل الله بقوله: «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم» يريد أن يقول: لا تخافوا من الناموس؛ لأن القتل مثل الموت الذى لا بد منه. ولكن خافوا من الله الذى يميت ويحيى.

(ب) ثم قال لهم بعدما رجعوا من بعض البلاد، ورأى أن أتباعهم قد كثروا كثرة هائلة، لدرجة أن العلماء الذين ناصبوه العداء قالوا عنه: «هو ذا العالم قد ذهب وراءه» (يو ١٢: ١٩) جمع الحواريين ووصاهم بحمل السيوف لقتال أعدائهم «قال لهم: حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود، ولا أحذية. هل أعوزكم شيء؟ فقالوا: لا. فقال لهم: لكن الآن من له كيس، فليأخذه، ومزود كذلك. ومن ليس له: فليبع ثوبه، ويشتر به سيفا» (لو ٢٢: ٣٥-٣٦).

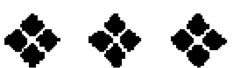
(ج) ووضح عيسى ﷺ جزاء من يقتل فى سبيل الله ببيان حسن فقال: «قال يسوع لتلاميذه: إن أراد أحد أن يأتى ورائى؛ فلينكر نفسه، ويحمل صليبه، ويتبعنى. فإن من أراد أن يخلص نفسه؛ يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلى؛ يجدها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه؟ فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه، مع ملائكته. وحينئذ يجازى كل واحد، حسب عمله. الحق أقول لكم: إن من القيام هاهنا قوما لا يذوقون الموت، حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته» (متى ١٦: ٢٤-٢٨).

وعبر عن محمد ﷺ بلقب «ابن الإنسان» وقال: إنه سوف يأتى من بعدى، وسوف يكون له مجد عظيم من الله الذى خلقه وأرسله. وعبر بمجد أبيه، حسب لسان قومه؛ فإنهم يقولون إن الله أب للمؤمنين به، بمعنى: أنه راعيهم وحاميهم (تث١٤: ١) وعبر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله إنهم ملائكة أى أتباع شبيهون بالملائكة النورانيين فى الطهر والصلاح. وأن النبى محمدا وأصحابه سيحاربون أعداءهم من اليهود والأمم. ومن يؤمن به لا يهلك، ومن لا يؤمن به؛ فإنه سيهلك. كل «حسب عمله» ثم عبر بالكتابة عن سرعة ظهوره، واقتراب زمنه، بأنه فى نهاية هذا الجيل؛ سيكون مجيئه «فى ملكوته» ملكوت السموات. حسب تعبير دانيئال عنه فى الإصحاح الثانى والسابع من سفره.

وقال الحواريون للمسيح: «ها نحن قد تركنا كل شىء، وتبعناك. فماذا يكون لنا؟» أما ما هو الجزاء الذى سنحصل عليه؟ وأجاب بقوله: «كل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا، من أجل اسمى؛ يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية» (متى ١٩: ٢٧-    ).

وقد سأل جنود الرومان عيسى عليه السلام عن الحروب فى نشر الدين، والدفاع عن الأوطان. وأجاب بأنها تجوز مع القدرة «وقالوا: يا معلم. أيجوز إصلاء الحرب؟ أجاب يسوع: إن ديننا يخبرنا أن حياتنا حرب عوان على الأرض» فقد أجاب بأن دينه الذى هو دين التوراة يخبر بجواز إصلاء الحروب.

واستدل بقول أيوب عليه السلام: «أليس جهاد للإنسان على الأرض، وكأيام الأجير: أيامه؟» (أى ٧:١- بر١٥٢) وفى نهاية المحاورة، أراد الجنود أن يمسكوه «فقال حينئذ يسوع: أدوناى صباءوت. ففى الحال تدحرجت الجنود من الهيكل» أى أنه لم قال «يا رب الجنود» كف الله أيديهم عنه. وفى إنجيل يوحنا: أن المسيح بعد محاورة له مع علماء بنى إسرائيل «رفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع؛ فاختفى، وخرج من الهيكل، مجتازا فى وسطهم، ومضى. وفيما هو مجتاز، رأى إنسانا أعمى منذ ولادته... إلخ» (يو ٨: ٥٩-      ) وهذا يدل على أن الله كف أيديهم عنه. كما جاء فى القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (المائدة: ١١٠).



ولا تصرح التوراة، ولا يصرح الإنجيل بحياة للشهداء فى القبور؛ ليتمتع الشهداء بالنعيم. وذلك واضح من مزمور ٦ و ٣٠ و ٨٨ و ١١٥ إذ وجودهم فى القبور سبات، وهم لن يسبحوا الله فيها مزمور ١٣ ودانيال ١٢.

**الفصل السادس**

## فى
## النيابة فى الأعمال

اتفق علماء المسلمين على وصول الثواب إلى الميت فى حالتين اثنتين:

الحالة الأولى: ما إذا عمل الإنسان عملا حسنًا، انتفع الناس به فى حياة الإنسان، ودام نفعه للناس من بعد موته. كرجل بنى مسجدًا لله فى حياته، وانتفع الناس بصلاتهم فيه وبقى المسجد قائما للصلاة من بعد موته. والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ (يس١٢) فكتابة ما قدموا تدل على ما عملوه فى حياتهم، وكتابة آثارهم تدل على أعمال عملوها وهم أحياء وبقيت قائمة من بعد موتهم؛ كبناء المساجد والمدارس. وما شابه ذلك، والدليل على ذلك أيضًا: قول النبى صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله، إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» ووجه الدليل: أن الصدقة الجارية مثل بناء المسجد هى من عمل الإنسان قبل موته، واستمرار البقاء؛ يجوز استمرار جريان الصدقة، وكذلك العلم فإنه من سعى العالم قبل موته، ويستمر أثره من بعد موته كتأليف كتاب أو بذل نصيحة يدوم أثرها، وكذلك الولد الصالح فإنه من تربية أبيه، قبل أن يموت، فالتربية من الأب يدوم أثرها فى الولد، ودوام الأثر يدل على دوام الثواب.

وقد حدد الحديث الشريف أن المقبول من الولد الصالح لأبيه هو الدعاء فقط، فلو فعل الولد لأبيه شيئًا غير الدعاء لا يصل ثوابه إليه. وفى القرآن إشارة إلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء ٢٤) فقد بين أن المقبول من الولد لأبيه هو الدعاء. وقبول الدعاء من الله مشروط بأن يكون الأب قد ربى ابنه تربية صالحة، وعلى ذلك فلو قرأ الولد قرآنا ووهب ثوابه إلى أبيه، أو حج ووهب ثواب الحج إلى أبيه، أو بنى مسجدًا ووهب ثواب المسجد. إلى أبيه، فإن الثواب لا يصل إلى أبيه، وإنما يصل إلى الولد وحده، استنادًا على القرآن والحديث قد وضحا قبول الدعاء فقط.

والحالة الثانية: إذا دعا المؤمن لأخيه المؤمن الذى تسبب فى هدايته إلى الإيمان فإن الدعاء يقبله الله، ويعطى ثوابًا للداعى وللمدعو له. والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (الحشر ١٠) أى

أن المؤمن لو دعا لآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم بأن يغفر الله لهم فإن دعاءه مقبول لأن آل البيت كانوا سبب هداية للمؤمنين على طول الزمان. ولو دعا تلميذ لمعلمه لقبل الدعاء لأن المعلم كان له سبب هداية.

وقوله تعالى: ﴿وآثارهم﴾ (يس: ١٢) يدل على ذلك أيضا، لأن الداعى إلى الله، ترك أثرا من بعد موته - هو هداية إنسان - كمن بنى مسجدا، أو وضع فى طريق الناس سبيل ماء.

**واتفق المسلمون على إضافة سيئات الظالم لنفسه من بعد موته، إذا كان قد عمل عملا سيئًا، ودام ضرره على الناس من بعد موته،** والدليل على ذلك: قول الرسول ﷺ: «من سن فى الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شىء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء» وقول الرسول ﷺ: «لا تقتل نفس ظلما، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل».



**واختلف علماء المسلمين فى إضافة أعمال إلى صحيفة الميت، هى من عمل غيره.** كأن يقرأ أحد قرآنا ويهب ثوابه إلى الميت، أو يتصدق أحد صدقة ويهب ثوابها إلى الميت، أو يحج أحد ويهب ثواب حجه إلى الميت، أو يصوم أحد ويهب ثواب صومه إلى الميت. وما كان يحق لهم أن يختلفوا. وذلك لأن القرآن الكريم لم يصرح إلا بثواب أعمال، هى من سعى المرء من قبل موته. فقد جاء فى القرآن: أن الله يقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ﴾ (النجم ٢٩-٤١) ويقول: ﴿وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يس ٥٤) ويقول: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة٢٨٦) ويقول: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور٢١).

فهذه الأقوال من الله تعالى تدل على أن كل إنسان يأخذ جزاء ما عمل، ولا يضاف إلى عمله شىء من عمل غيره.

وقد اختلفوا. لأن الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربة فى هذا الموضوع، فبعضها يصرح بثواب، وبعضها يمنع من وصول الثواب.

وهم يعلمون علم اليقين: بأن كل الأحاديث مروية بشهادة الواحد. وشهادة الواحد

مردودة، فى شئون الدنيا، حتى ولو كان عدلا ضابطا، وإذا كانت مردودة فى شئون الدنيا بنص القرآن، فأولى بها أن تكون مردودة فى شئون الدين. والدين هاهنا فى العقائد، وهى لا تثبت إلا بالقرآن وحده فلماذا يختلفون؟

**فمن الأحاديث المانعة لوصول الثواب إلا بما تسبب الإنسان فى إيجاده من قبل موته:**

١- «إنما يلحق المؤمن من عمله، وحسناته، بعد موته: علمًا علمه ونشره، أو ولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أكراه، أو صدقة أخرجها من ماله، فى صحته وحياته، تلحقه من بعد موته».

٢- «إذا مات الإنسان انقطع عليه عمله، إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وواضح من هذين الحديثين أن الثواب الواصل إلى الميت، يكون من سعى المرء قبل موته. والحديثان صحيحان، لأن معناهما موافق للقرآن فى المعنى. فإن الأحاديث على ثلاثة أنواع:

نوع معارض للقرآن، وهذا النوع مردود، لأن الرواة من أصحاب الأهواء والبدع هم الذين وضعوه ونسبوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليشككوا به فى دين الإسلام.

ونوع مفسر للقرآن وهذا النوع مقبول؛ لأن القرآن صرح بقبوله، فى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل ٤٤).

ونوع يضيف أحكامًا تشريعية على أحكام القرآن، وهذا النوع قد اختلف علماء المسلمين فى شأنه، فبعضهم يقبله، مثل حديث «حرم رسول الله كل ذى ناب من السباع، وكل ذى مخلب من الطيور» فإن المالكية لا يعملون بما يدل عليه.

وهذا النوع يسمى بالسنة المنشئة وهو الذى تسبب فى أن يختلف المسلمون فى العبادات إلى مذاهب شتى. وأدى أختلافهم الى اقتتالهم فى المساجد، وإلى تكوين ممالك ودول متعادية.

**ومن كلامهم فى التوفيق ما يلى:**

١- عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه

وسلم فقال: يا رسول الله، أمى ماتت وعليها صوم شهر، أفأقضيه عنها؟ قال: «نعم، فدين الله أحق أن يقضى».

٢- عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن أمى نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت.

أفأحج عنها؟ قال: «حجى عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالقضاء».

وهذان الحديثان معارضان للقرآن، أما الحديث الأول فوجه معارضته للقرآن هو: أن القرآن بين الحكمة من الصوم، هى تعويد الصائم على الصبر، ليتقى بالصبر سوء العذاب، والميت إذا صام عنه الحى لا ينتفع الميت بحكمة الصوم التى عبر الله عنها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٨٣) وأما الحديث الثانى فوجه معارضته للقرآن هو: أن الله تعالى قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران ٩٧) فالحج للمستطيع من الأحياء بالمال وبالصحة، وإذا مات الميت، وكان مستطيعًا، استحق عقابًا وإذا مات على غير استطاعة سقط عنه الفرض وسقط عنه العقاب، وإن كان الميت مستحقًا للعقاب، فإن عمل الحى الحج عنه، لا يرفع العقاب، لأنه مات عاصيًا - وفى قول مات كافرًا - وإن كان قد مات على غير استطاعة فما عليه من فرض حتى يؤديه الحى عنه.

والحديث الأول قد رفضه بعض العلماء، واحتجوا على الرفض بما يلى:

١- قال الإمام مالك فى الموطأ: «لا يصوم أحد عن أحد» قال: «وهو أمر مجمع عليه -عندنا- لا خلاف فيه».

٢- أن ابن عباس كما روى عنه قبول الصوم، روى عنه عدم قبول الصوم.

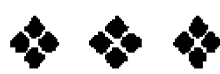
فقد روى النسائى عن ابن عباس أنه قال: «لا يصلى أحد عن أحد» فإذا الرواة يكذبون على ابن عباس.

٣- قال صاحب «المفهم فى شرح مسلم»: «إنه حديث اختلف فى إسناده».

٤- إنه معارض بنص القرآن، وهو قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ (النجم٣٩).

٥- كما أن أحدًا لا يسلم على أحد، ولا يؤمن عن أحد، ولا يصلى عن أحد، ولا يتوب بدل أحد، كذلك لا يصوم أحد عن أحد.

والحديث الثانى قال فيه بعض العلماء: إن الحج عن الغير، يصل إلى الميت منه ثواب الصدقات، ويصل إلى الحى منه ثواب أداء المناسك، وهى دعوى فى التفريق، بلا برهان: فإن الحج عن الغير مرفوض بنص القرآن. الذى يبين أنه على المستطيع من الأحياء. والاستطاعة تنافى الإنابة.



والذين صرحوا بإضافة أعمال إلى الميت، استنادًا على الأحاديث المصرحة كحديث الصوم وحديث الحج، أجهدوا أنفسهم فى التوفيق بين القرآن المانع من إضافة أعمال، وبين الأحاديث المصرحة بإضافة أعمال.

فقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ (النجم ٣٩) هذا القول يمنع صراحة من إضافة أعمال إلى صحيفة الميت. **ولكى يبينوا أنه لا يمنع أولوه بالتأويلات الآتية:-**

١- المراد بالإنسان: الكافر، أما المؤمن فله سعيه، وسعى غيره له.

٢- هذا الحكم فى شريعة الأنبياء السابقين، وليس فى شريعة الإسلام. بدليل أنه قال قبله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ﴾ (النجم ٣٦-٤١).

٣- اللام فى «الإنسان» بمعنى على. أى وليس على الإنسان إلا ما سعى.

٤- وقالت طائفة: فى الكلام حذف، تقديره: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ أو سعى له، فعبارة «أو سعى له» محذوفة من نص القرآن -تقديرا، لا حقيقة-.

٥- وقالت طائفة: الآية منسوخة، بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (النجم ٣٨).

٦- وقالت طائفة: المراد بالإنسان هاهنا: الحى دون الميت.

٧- وقال «أبو الوفا بن عقيل»: «الإنسان بسعيه وحسن عشرته، اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير، وتودد إلى الناس، فترحموا عليه، وأهدوا له العبادات، فكان ذلك من أثر سعيه» وقول «أبى الوفاء» هذا لا يدخل فى باب التوفيق، لأنه موافق لحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله... إلخ» ولقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾

(آل عمران: ١٤٧)

٨- وقالت طائفة أخرى: القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره، وإنما نفى ملكه لغير سعيه، فزيد مثلا لا يملك سعى عمرو، وإنما من الممكن أن ينتفع بسعى عمرو.



**وتأويلاتهم فاسدة، وبيان فسادها ما يلى:**

١- قولهم المراد بالإنسان الكافر ضعيف جدًا، لأن الإنسان عام فى المؤمن والكافر، وسياق الكلام من أوله إلى آخره صريح فى إرادة العموم، لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ (النجم ٤٠:٤١) وهذا يعم الشر والخير قطعًا، ويتناول البر والفاجر، والمؤمن والكافر لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة ٧-٨) وكقوله فى الحديث القدسى: «يا عبادى إنما هى أعمالكم، أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

يقول ابن قيم الجوزية: «ولا تغتر بقول كثيرين من المفسرين فى لفظ «الإنسان» فى القرآن: «الإنسان ههنا أبو جهل، والإنسان ههنا عقبة بن أبى معيط، والإنسان ههنا الوليد بن المغيرة. فالقران أجل من ذلك، بل الإنسان هو الإنسان من حيث هو من غير اختصاص بواحد بعينه»(١).

٢- قولهم إن هذا الحكم ليس فى شريعة الإسلام: قول باطل، فإن الله سبحانه أخبر به، إخبار مقر له، محتج به، لا إخبار مبطل له، ولهذا قال: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ (النجم: ٣٦) فلو كان هذا باطلا فى شريعة الإسلام، لما أخبر به، إخبار مقر له، ومحتج به، وكيف وقد جاء فى القرآن نظير له، وهو قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور ٢١) وكيف وأنه خبر، والنسخ لا يدخل فى الأخبار؟

٣- وقولهم إن اللام بمعنى على. أى ليس على الإنسان إلا سعيه. قولهم هذا لا يغير المعنى الذى تدل عليه اللام، فإن له سعيه، وعليه سعيه. هما بمعنى واحد.

إلا أن يكون مرادهم: عليه سعيه فى الشر، لا على غيره. وأما فى الخير فله سعيه وسعى غيره له.

---

(١) ص ٢٠١ الروح.

٤- وقولهم فى الكلام حذف وهو «أو سعى غيره» هو قول على الله بلا دليل.

٥- وقولهم الآية منسوخة: هو قول باطل، فإن القائلين بالنسخ مطلقًا فى القرآن قال به بعضهم: لعدم معرفتهم بوجوه التوفيق بين الآيات التى يدل ظاهرها على «موهم التعارض» وقال به بعضهم لغرض إبطال إحكام القرآن وأحكامه. وهاهنا التوفيق ممكن. فإن الآباء والأبناء استحقوا الجنة بسعيهم لقوله تعالى: ﴿واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ (النجم: ٣٨) والآية تبين أن للإنسان سعيه، فلا تعارض حتى يلزم القول بالنسخ.

٦- وقولهم المراد بالإنسان فى الآية: الحى وليس الميت، هو قول صحيح. وهو يدل على نفى الأعمال عن الميت من حيث لا يشعرون.

٧- وقول أبى الوفاء بن عقيل صحيح لأنه موافق للحديث المصرح بإضافة أعمال، عملها الميت من قبل موته، ودام أثرها من بعد موته، كبناء المسجد.

٨- وقولهم القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره، وإنما نفى ملكه لغير سعيه.

ومعناه: أن سعى الإنسان ملك له، إن شاء الإنسان، أن يبقيه لنفسه أبقاه، وإن شاء أن يهبه لغيره وهبه، وسعى غير الإنسان ملك للغير نفسه وليس ملكًا للميت. والقرآن نفى «الملك» ولم ينف «الانتفاع» بالهبة. قولهم هذا باطل، لأن الآيات الأخرى صريحة فى نفى انتفاع الميت بعمل الغير، والغرض من نزول القرآن. هو انتفاع الأحياء بما فيه.

والتأويل بأن «الملك» شىء و«الانتفاع» شىء آخر، أجروه على الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله.. إلخ».

وهو تأويل ضعيف، لأن عمل الغير إذا وهبه الغير للميت، هل ينتفع به الميت أم لا؟ فالحديث قائم على «الانتفاع» وليس على «الملك» فإن للإنسان أن يملك وأن ينتفع بملكه وأن يهبه إذا شاء، ولكن المشكلة فى أنه إذا وهب عمله للغير، هل يقبل الله أن يضيف هذا العمل إلى صحيفة الغير أم لا؟ إن قالوا بالإضافة يلزمهم إيراد الدليل على الانتفاع. ولا يقدرون عليه، وإن قالوا بعدم الإضافة كما صرح القرآن، فلماذا يجهدون أنفسهم فى تأويلات ضعيفة.

والحـــق: أن ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور ٢١) كما صرح القرآن فى سورة الطور، والميت لا ينتفع بسعى غيره، لأن الله تعالى أنزل القرآن ليعمل الناس به. والحكمة من كل تكليف: هى أن ينتفع الحى، ويتقى الله ويخشاه. وهذه الحكمة ليست متحققة لدى

الأموات. ومن يهدى ثوابًا إلى الميت، هو أحق بالثواب من الميت، لأن الميت إذا كان مقصرًا فى الأعمال الصالحة سيأخذ جزاء على التقصير، وإذا كان سباقًا إلى الخيرات فإنه ليس محتاجًا إلى ثواب يضاف إليه، وهذا قد أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة ١٣) ولا يفهم العاقل من قوله تعالى. ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (النبأ ٤٠) إلا معنى واحدا محكمًا غير متشابه، وهو أنه لا يرى إلا ما عمله هو، وما عمله غيره وأضافه إليه، ليس يراه.



وصاحب «الفتوحات الإلهية» وهو: سليمان بن عمر، الشهير بالجمل، المتوفى سنة ١٢٠٤هـ يذكر فى تفسير سورة النجم، نقلا عن غيره إحدى وعشرين حجة على جواز انتفاع الإنسان بسعى غيره، وكان يجب عليه قبل أن ينقل: أن يحرر محل النزاع وأن يستبعد الأحاديث - وهى بالآحاد - من الحجية؛ فإنه لا يصح للعلماء أن يلبسوا على الناس دينهم. ومحل النزاع هو: انتفاع الميت بسعى غيره، وليس هو انتفاع الحى بسعى غيره، فإن انتفاع الحى بسعى غيره ليس محل نزاع بين العلماء، فإن التلميذ ينتفع بسعى معلمه، والناس ينتفعون بسعى التجار وسعى الزراع.

**وهذه هى حججه، مع النقد والرد:**

١- الإنسان ينتفع بدعاء غيره. تلك هى حجته الأولى. ولا نزاع فى أن الدعاء ينتفع به بنص قرآنى، ولا اجتهاد مع النص، ولو أن القرآن قد نص على انتفاع الميت بصدقة غيره عليه، لما جرؤ مسلم على مخالفة النص.

وليس من نص على غير الدعاء؛ فلماذا يقال فى دين الله بلا دليل؟

٢- إن النبى صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الموقف فى الحساب، ثم لأهل الجنة فى دخولها. تلك هى حجته الثانية. وهى ساقطة، لأن الشفاعة العظمى لأهل الموقف، لا تدل على زيادة أعمال لأحد، بل تدل على الفصل بين الناس، إما إلى الجنة، وإما إلى النار، وبدونها سيفصل الله بين الناس؛ لأنه أنبأ عن محاسبتهم على أعمالهم، ولذلك قال الإمام فخر الدين الرازى فى حديث الشافعة العظمى: إنه حديث[1] آحاد، وأما الشفاعة لأهل

(١) انظر تفسير فخر الدين الرازى فى الآية ٨١ من سورة البقرة.

الجنة فى دخولها. فهم داخلوها من غير شافع لأن الله يقول: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل ٣٢) ولم يقل بشفاعة الشافعين.

٣- شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر فى الخروج من النار. وقد رد على شبهته هذه من قال من العلماء: إن الشفاعة لا تكون إلا لمن هم فى الجنة، وتكون لزيادة الدرجات فقط، كأن يكون الأب فى الدرجة الأولى. والابن فى الثانية، فالشفاعة ممكنة هنا وجائزة، لأن الأب والابن كلاهما فى الجنة بعملهما. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿ولا يشْفَعُون إلاَّ لمن ارْتَضىٰ﴾ (الأنبياء ٢٨) أما أهل الكبائر الذين ماتوا على توبة فإنهم لا يدخلون النار، والذين ماتوا على غير توبة، فإن الله يضع أعمالهم فى ﴿الْموَازِين﴾ ويعطيهم على قدر أعمالهم، وهذا منصوص عليه فى القرآن فى آيات كثيرة، وأهل الكبائر لم ينص القرآن على شفاعة لهم، بل نص على أن من يكلم الله فى شىء، يقول ﴿صَوَابًا﴾ (النبأ ٣٨) وليس من الصواب الشفاعة لإلغاء الحق والعدل.

٤- والملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الأرض، وذلك منفعة بعمل الغير. والرد على هذه الحجة: يتلخص فى أن الدعاء مقبول سواء من الملائكة أو من الناس، وهم فى سورة غافر يطلبون من الله أن يغفر للمؤمنين لا للفاسقين وأصحاب الكبائر. والغرض من أن الله ذكر أنهم يستغفرون: هو إظهار حب الله وملائكته للتائبين، وأن الملائكة فى خدمتهم، إذا كانوا مثلهم فى طاعة الله تعالى.

٥- أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط بمحض رحمته، وهذا انتفاع بغير عملهم. وقوله هذا يحتاج إلى دليل. فالقرآن لم ينص على ذلك. وإذا احتج بأحاديث ففى الأحاديث ما ينفى كحديث الشهيد الذى أخذ شملة من الغنائم يوم حنين قبل القسمة، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: إنها «لتشتعل عليه نارًا» وإذا تعارضت الأحاديث يتحتم الرجوع إلى القرآن.

٦- أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير. وقوله هذا باطل، فإن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة لأنهم دون البلوغ، كما أن أولاد الكافرين لا يعذبون قبل البلوغ وقبل وصول الدعوة.

٧- قال تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين: ﴿وكَانَ أَبُوهُمَا صالحًا﴾ (الكهف: ٨٢)

فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما. واستدلاله باطل، فإن الله أكرم اليتيمين - وهما صغيران عاجزان عن الكسب - بأن أوصل إليهما ما ادخره لهما أبوهما من الأموال، لا من الأعمال، وهذا الإكرام سببه: عمل الأب لها؛ فإنه ادخر لهما: وكان سائرا مع الله؛ فالله لم يضيع عمله لهما من بعد موته، وناب عنه فى إيصال ما ادخره لهما، كما لو كان حيا لم يمت.

٨- إن الميت ينتفع بالصدة عنه، وبالعتق بنص السنة، والإجماع، وهو من عمل الغير. واستدلاله باطل، فإن السنة متعارضة فى هذا الموضوع مع بعضها، وبعضها معارض للقرآن. وإذا تعارضت؛ فإنه يتعين الرجوع إلى القرآن: وليس فى القرآن إلا انتفاع المرء بما قدمت يداه.

٩- إن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة. وهو انتفاع بعمل الغير. والرد عليه: أن السنة لا تنشىء حكمًا وإنما تفسر حكمًا. وذلك لقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤).

١٠- إن الحج المنذور، أو الصوم المنذور، يسقط عن الميت بعمل غيره، بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير. والرد عليه: هو أن السنة متعارضة فى هذا الموضوع مع القرآن. وقد نص القرآن على أن النذر مثل الفرض، ويجب الوفاء به فى حال الاستطاعة.

١١- المدين قد امتنع النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى صحابى عنه دينه. والرد عليه: إن هذا ستدلال بسنة معارضة للقرآن، فإن من مات وعليه دين، يدفع الورثة دينه من ماله وإن لم يكن له مال، أمر الله ما له الحق بالعفو عنه فى قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢٨٠) وإن لم يعف، وليس للميت مال، فالله تعالى لا يحاسب الميت لأنه مضطر إلى عدم السداد لعدم المال، وإذا تطوع من المسلمين من يقضى دين الميت، فهذه صدقة تضاف إلى المتطوع، لا إلى الميت.

١٢- إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده: «ألا رجل يتصدق على هذا، فيصلى معه»؟ فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير. واستدلاله باطل. فإن هذا الحكم للأحياء وليس للأموات.

١٣- إن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه، وذلك انتفاع بعمل

الغير. واستدلاله باطل، لأن براءة الذمة تكون إذا كان قادرًا على الوفاء ووفى، أو إذا كان عاجزًا عن الوفاء، لقوله تعالى: ﴿إلاَّ ما اضطُرِرْتُم إليه﴾ (الأنعام ١١٩).

١٤- إن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه. وهذا انتفاع بعمل الغير. واستدلاله باطل، فإن هذا منصوص عليه فى الأحياء، كأن يعفو ولى الدم عن القاتل ويأخذ الدية، لقوله تعالى: ﴿فمن تصدَّق به فهو كفارةٌ لهُ﴾ (المائدة ٤٥).

١٥- إن الجار الصالح ينفع فى المحيا والممات. كما جاء فى الأثر. وهذا انتفاع بعمل الغير. والرد عليه: إن هذا استدلال بحديث غير مفسر.

١٦- إن جليس أهل الذكر، يرحم بهم، وهو لم يكن معهم، ولم يجلس لذلك، بل لحاجة عرضت له. والأعمال بالنيات، فقد انتفع بعمل غيره. والرد عليه: أنه انتفع بالقدوة، لا بعملهم له.

١٧- الصلاة على الميت والدعاء له فى الصلاة، انتفاع للميت بصلاة الحى عليه، وهو عمل غيره. والرد عليه: إن هذا منصوص عليه فى القرآن وهو وداع حسن للميت، فقد قال تعالى: ﴿والَّذينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذينَ سَبَقُونَا بالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ في قُلُوبنا غلاً لِّلَّذين آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر ١٠) وقد بين النص الكريم: أن الدعاء يكون للسابقين بالإيمان من الأموات، لأن لهم فضل على الأحياء بأن يسروا لهم سبيل الإيمان، كما يسر الأب الصالح سبيل الإيمان لولده.

١٨- إن الجمعة تحصل باجتماع العدد، وكذلك الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع للبعض بالبعض. والرد عليه: هذا نفع للأحياء وليس للأموات.

١٩- إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ (الأنفال ٣٣) وقال تعالى: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ (الفتح ٢٥) وقال تعالى: ﴿ولَوْلا دفْعُ اللَّه النَّاس بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ (البقرة ٢٥١) فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

والرد عليه: أما الرد الإجمالى فإن هذا كله فى الأحياء. وأما الرد التفصيلى فهو:

(أ) «وأنت فيهم» معناه: وهم عاملون بالشريعة، أى وكتابك فيهم، يعملون بأحكامه

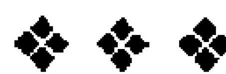
وليس المعنى: وأنت فيهم بشخصك؛ فإن الشريعة تنوب عن شخصه، كما ورد فى القرآن ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾؟ (آل عمران ١٠١) أى آيات الله تتلونها وفيكم القرآن، النائب عن رسوله.

(ب) ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ.. إلخ﴾ هذا فى الأحياء أيام فتح مكة.

(ت) ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ هذا صراع بين الخير والشر فى الحياة الدنيا.

٢٠- إن صدقة الفطر تجب على الصغير، وغيره، ممن يمونه الرجل، فإنه ينتفع بذلك من يخرج عنه، ولا سعى له فيها. والرد عليه: إن صدقة الفطر سنة على بعض المذاهب وعلى أنها فرض، ففى بعض المذاهب لا زكاة إلا على المسلم البالغ العاقل.

٢١- إن الزكاة تجب فى مال الصبى والمجنون، ويثاب على ذلك، ولا سعى له. والرد عليه: أن المذاهب الفقهية غير مجمعة على هذا الحكم.



**والآن نؤكد كلامنا ببعض ما جاء فى الكتب القديمة من عدم انتفاع الميت بسعى غيره، مما لا سبب له فيه، من قبل موته، سواء أكان عبادة مالية أو بدنية.**

من العلماء الذين قالوا بأن الميت لا ينتفع بعمل غيره:

١- حكى ابن قيم الجوزية: أن المشهور من مذهب الإمام الشافعى، ومذهب الإمام مالك: أن الميت لا ينتفع بعمل غيره، وحكى عن قوم أنه لا يصل إلى الميت شىء البتة، لا دعاء ولا غيره، وهم قد أخطأوا فى نفى قبول ثواب الدعاء، لأن القرآن صرح به. وأما قراءة سورة الفاتحة على روح الميت، فإن الغرض من قراءة الفاتحة غرضان: غرض يتعلق بالأحياء، فإنهم إذ يشاهدون ميتًا راجعًا إلى الله تعالى، يعترفون بحمد الله تعالى، يعترفون بحمد الله الرحمن الرحيم، ويطلبون من الله أن يهديهم إلى الصراط المستقيم، حتى إذا ماتوا ورجعوا إليه، يجدون مصيرًا حسنًا. وغرض يتعلق بالأموات فإن الناس نحو فراق مسلم عزيز عليهم، تتجه عواطفهم، إلى وداعه وداعًا حسنًا، ووداعه بالترحم عليه لائق بالعطف عليه.

٢- يقول الإمام القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ فى تفسير: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم: ٣٩): «وقال أهل التأويل: هى محكمة، ولا ينفع أحدًا عمل أحد، وأجمعوا

على أنه لا يصلى أحد عن أحد، وأجاز «مالك» الصيام والحج والصدقة عن الميت، إلا أنه قال: إن أوصى بالحج ومات، جاز أن يحج عنه».

٢- وقال ابن كثير فى تفسير: ﴿وأن لَّيْسَ للإنسان إلاَّ ما سعىٰ﴾: «أى كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسبه هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعى رحمه الله ومن اتبعه: أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس عملهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ولا الصيام. ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء. فأما الدعاء والصدقة، فذلك مجمع على وصولهما، ومنصوص من الشارع عليهما.

وأما الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث.. إلخ» فهذه الثلاثة فى الحقيقة هى من سعيه وكده» أ.هـ

وقول ابن كثير رحمه الله: «وباب القربات يقتصر فيه على النصوص» هو قول صحيح - وليس من نص على قبول الصدقة - وقوله بالإجماع على قبول الصدقة: هو قول غير صحيح، فإن الإجماع الصحيح منعقد على قبول الدعاء وحده.



**والنيابة فى الأعمال دخلت فى المسلمين من كتب أهل الكتاب.** ففى توراة موسى عليه السلام نصوص كثيرة على أن كل امرئ بما كسب رهين. وفى أسفار الأنبياء نصوص كثيرة على هذا المعنى. وفى الأناجيل الأربعة. **والذين صرحوا بالنيابة فى الأعمال، بل ألغوها، وأثبتوا الشفاعة للآثمين والمذنبين هم النصارى، المتبعون لبولس، لا لعيسى عليه السلام.**

وفى توراة موسى وأسفار الأنبياء نصوص كثيرة على أن الإنسان مخير لا مسير، وفى الأناجيل الأربعة هذا المعنى. أما «بولس» وأتباعه، فقد قالوا بأن الإنسان مسير لا مخير.

وقد رد الله على المسلمين القائلين بالجبر، والمصرحين بإلغاء الأعمال والاكتفاء بالإيمان، ورد على أهل الكتاب القائلين بقولهم. بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ (النساء ١٢٣).

فقد بين أن الإيمان لا يكفى فى دخول الجنة - فقد كان إبليس مؤمنًا - وأن الجنة لا تكون إلا بالإيمان والأعمال معًا.



ومن نصوص التوراة والإنجيل على أن العمل شرط صحة فى دخول الجنة، وعلى أن الإنسان مخير، هذه النصوص:

١- قال إبراهيم ﷺ للملاك الذى أراد إهلاك قوم لوط: «حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن نميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم. حاشا لك. أديان كل الأرض لا يصنع عدلا؟» (تكوين ١٨ :٢٥).

٢- قال الله لبنى إسرائيل: «إن هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك. ليست هى فى السماء حتى تقول: من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها، ولا هى فى عبر البحر حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها. لنعمل بها، بل الكلمة قريبة منك جدًا فى فمك وفى قلبك، لتعمل بها» (تثنية: ٣٠-١١- ١٤).

٣- «فم الصديق ينبوع حياة، وفم الأشرار يغشاه ظلم» (أمثال١٠ :١١).

٤- «النفس التى تخطئ هى تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون. فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها وحفظ كل فرائضى وفعل حقًا وعدلا فحياة يحيا. لا يموت. كل معاصيه التى فعلها لا تذكر عليه. فى بره الذى عمل يحيا. هل مسرة أسر بموت الشرير؟ يقول السيد الرب. ألا برجوعه عن طرقه؛ فيحيا؟» (حزقيال ١٨- ٢٠-٢٣).

٥- ويقول عيسى ﷺ: «احترزوا من الأنبياء الكذبة، الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبًا، أو من الحسك تينًا؟ هكذا كل شجرة جيده تصنع أثمارًا جيدة. وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارًا جيدة. كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدا تقطع وتلقى فى النار. فإذا من ثمارهم تعرفونهم» (متى٧:١٥-٢٠).

٦- واعترف موسى ﷺ بيوم القيامة وهو يوم المجازاة على الأعمال. ففى سفر التثنية يقول الله تعالى: «أليس ذلك مكنوزًا عندى مختوما عليه فى خزائنى. لى النقمة والجزاء. فى وقت تزل أقدامهم» (تثنية ٣٢:٣٤-٣٥).

واليهود الصدوقيون كانوا ينكرون يوم القيامة وطلبوا من عيسى ﷺ دليلا عليه. فذكر لهم من التوراة دليلا وهو: أن الله تعالى خاطب موسى بقوله: أنا إله آبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب فقوله أنا إله آبائك يدل على أن الآباء فى حكم الله أحياء، وذلك لأنهم لو كانوا أمواتًا معدومين ولن يبعثوا، فأى فائدة من الحديث عنهم؟

إذن هم أحياء لأن الإله إله أحياء وليس إله أموات.

يقول متى: «فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة. فسألوه قائلين: يا معلم. قال موسى: إن مات أحد وليس له أولاد، يتزوج أخوه بامرأته ويقم نسلا لأخيه. فكان عندنا سبعة إخوة وتزوج الأول ومات. وإذ لم يكن له نسل، ترك امرأته لأخيه. وكذلك الثانى والثالث إلى السبعة، وآخر الكل ماتت المرأة أيضًا. ففى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة. فإنها كانت للجميع؟ فأجاب يسوع وقال لهم: تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء.

وأما من جهة قيامة الأموات: أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب؟ ليس الله إله أموات، بل إله أحياء» (متى ٢٢:٢٣-٣٢).



**ومن النصوص التى قالها بولس وشيعته فى أن العمل ليس شرط صحة فى دخول الجنة، وفى أن الإنسان مجبر وليس حرًا، هذه النصوص:**

١- يقول بولس فى الإصحاح الثالث من رسالته إلى أهل رومية: «لأنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه. لأن بالناموس معرفة الخطية. وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس، مشهودًا له من الناموس والأنبياء. بر الله بالإيمان بيسوع المسيح» (رو ٣:٢٠-٢٢).

٢- ويقول بولس فى الأصحاح التاسع من رسالته إلى أهل رومية: «إذًا هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء.. فستقول لى: لماذا يلوم بعد؟ لأن من يقاوم مشيئته؟ بل من أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله؟ ألعل الجبلة تقول لجابلها: لماذا صنعتنى هكذا؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة، إناء للكرامة وآخر للهوان؟» (رو ٩:١٨-٢١).

٣- وقد بين موسى ﷺ. أن كلمة الله قريبة من فم الإنسان ليعمل بها. أى أن الله سهل الشريعة لمن يريد أن يتقى. ولكن بولس حرف النص إلى أن قرب الكلمة هو للإيمان

بيسوع ربًا مصلوبًا، وليس للعمل بأحكام التوراة. يقول بولس: «لكن ماذا يقول؟ الكلمة قريبة منك فى فمك وفى قلبك. أى كلمة الإيمان التى تكرز بها. لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك: أن الله أقامه من الأموات: خلصت، لأن القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص» (رو ١٠: ٨-١٠).

٤- ويقول يوحنا فى بدء الإصحاح الثانى من رسالته الأولى: «يا أولادى. أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد، فلنا شفيع عند الآب: يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضًا».

ومما قدمناه يتبين: أن ما دخل فى الكتب الإسلامية من إلغاء الأعمال من الدين أو النيابة فى الأعمال، قد دخل عن طريق أهل الاهواء والبدع من أهل الكتاب. أما القرآن الذى صانه الله وحفظه، فإنه يقول: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (النساء: ١٢٣).

---

## الفصل السابع

## فى

## پيراكليت الروح القدس

قال الله تعالى: ﴿ويسألونك عن الرُوح قُل الرُوح من أمر ربي وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾(١).

وقال عيسى عليه السلام للحواريين:

«إن كنتم تحبونى؛ فاحفظوا وصاياى. وأنا أسأل الآب، فيعطيكم معزيا آخر؛ ليقيم معكم إلى الأبد. روح الحق. الذى العالم لا يستطيع أن يقبله؛ لأنه لم يره ولم يعرفه. أما أنتم فتعرفونه؛ لأنه مقيم عندكم ويكون فيكم... من لا يحبنى لا يحفظ كلامى. والكلمة التى تسمعونها، هى ليست لى، بل للآب الذى أرسلنى. كلمتكم بهذا وأنا مقيم عندكم. وأما المعزى الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شىء، ويذكركم كل ما قلته لكم... والآن قلت لكم قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون... ومتى جاء المعزى الذى أرسله إليكم من عند الآب، روح الحق، الذى من الآب ينبثق؛ فهو يشهد لى. وأنتم تشهدون؛ لأنكم معى من الابتداء... إلا أنى أقول لكم الحق: إن فى انطلاقى خيرا لكم؛ لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم المعزى، ولكن إذا مضيت أرسلته إليكم. ومتى جاء يبكت العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة... ولكن متى جاء ذاك روح الحق؛ فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما يأتى» (يوحنا ١٤- ).

تلك فقرات من كلام عيسى عليه السلام عن «المعزى الروح القدس» نقلناها من ترجمة اليسوعيين. ونصها فى الترجمة التى نقل عنه الشيخ ابن تيمية هو: «إن كنتم تحبونى، فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم فارقليطا آخر. يثبت معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لم يطلق العالم أن يقبله؛ لأنهم لم يعرفوه... والفارقليط روح الحق الذى يرسله أبى، هو يعلمكم كل شىء. وهو يذكركم كل ما قلت لكم(٢)... إلخ».

---

(١) الإسراء ٨٥.

(٢) ص ٦ - ٧ ج٤ الجواب الصحيح.

وشيخ الإسلام فخر الدين الرازى نقلها فى تفسير سورة الصف على هذا النحو.

والسؤال المطلوب معرفته هو: من هو الفيرقليط الروح القدس؟

ولقد قلنا: إن أهل الكتاب سألوا عن أشياء ثلاثة. ليتأكدوا من نبوة محمد ﷺ هل هو صادق فى دعوى النبوة أم لا؟ سألوا عن ذى القرنين وهو الإسكندر المقدونى كما صرح به شيخ الإسلام الرازى فى تفسيره. وسألوا عن أهل الكهف. وقد ذكر قصتهم -نقلا عن نظم الجوهر- صاحب الجواب الصحيح فى الجزء الثالث. وسألوا عن الروح. ومن الأمور المتيقنة: أن السائل يسأل عن شىء له به علم. ومثل ذلك مثل رجل لقى لقطة. وعرف بها. وقال: من يذكر لى أوصافها يتسلمها منى. فإذا جاء من يذكر أوصافها على وجهها؛ يتأكد الذى لقيها، أنه هو صاحبها. وأهل الكتاب لهم علم بما فى التوراة والإنجيل. وقد سألوا هذا الذى هو أمى لا يقرأ ولا يكتب، ويدعى أنه رسول الله عن الأشياء الثلاثة. ليعرفوا أنه صادق فى دعوى النبوة أم لا. وهم لن يعرفوا صدقه إلا إذا كانت إجابته مطابقة للكلام الذى عندهم فى الكتب. فليبحث المسلمون فى كتبهم عن الأشياء الثلاثة. أما ذو القرنين فمذكور فى سفر دانيال. وأما أهل الكهف. فقصتهم فى كتب الأساطير الذهبية. وقد رواها ابن البطريق فى كتابه «نظم الجوهر» وأما الروح. فهو المنصوص عليه فى الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا وما بعده. وهو محمد ﷺ وبيان ذلك:

أن عيسى عليه السلام نطق اسم أحمد ﷺ بالعبرانية وهو «بيركليت» أو «فيرقليط» بكسر الباء الثقيلة أو الفاء - ولقب «أحمد» بلقب «الروح القدس» و «روح الحق» ولماذا لقبه بلقب الروح القدس؟ لينسبه إلى الله عز وجل. لا إلى الشيطان الرجيم. ونسبته إلى الله عز وجل تحث أتباعه واليهود على الإيمان بنبوته. وفى هذا المعنى يقول تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾(١) - ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾(٢).

وبعدما لقبه بالروح القدس، وذكر الاسم أولا، وهو «بيركليت» وذكر اللقب ثانيا وهو «الروح القدس» تحدث بلقب «الروح» عن «أحمد» فصار «الروح» عوضا عن «أحمد» ويحل محله. ويقول النصارى: إن الروح مجردا عن باراكليت هو نفسه باراكليت أى «المعزى» ويقولون: إن «المعزى» هو نفسه «باراكليت» وهو نفسه «الروح».

(١) الشعراء ٢١٠ - ٢١٢.

(٢) الشعراء ٢٢١ - ٢٢٣.

ويقول النصارى: إن «المعزى الروح القدس» هو الإله الثالث فى الثالوث المقدس. وأن عيسى قبل رحيله من الدنيا، وعد بأن يرسل إليهم الإله الثالث. وأتى وعده بعد عشرة أيام من صعوده إلى السماء؛ لأنه مكث أربعين يوما معهم بعد الصلب - كما يزعمون - يخبرهم بملكوت الله، ثم ارتفع إلى السماء. ونزل بعده الروح بعشرة أيام وهذا باطل بأدلة منها:

١- إن التوراة صرحت بأن الله تعالى هو رب العالمين. ولا شريك معه فى الملك. منها: «الرب إلهنا رب واحد» (تث ٦:٤).

٢- وإن التوراة صرحت بأنه لا مثل لله. ومن النصوص الدالة على ذلك: «يا ألله من مثلك» (مز٨٩:٨) «لا مثل لك يا رب» (إر١٠:٦).

٣- وإن التوراة صرحت بأن الله لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه. ومن النصوص الدالة على ذلك: «لا تقدر أن ترى وجهى. لأن الإنسان لا يرانى ويعيش» (خر ٣٣:٢٠).

فالقول بالأقانيم الثلاثة هو قول باطل.

وقد قال الشيخ ابن تيمية إن فريقا منهم يعنى بالمعزى الروح القدس: الروح الذى يؤيد الله به عباده. ورد عليهم. بأن المعزى الروح القدس شىء، والروح الذى يؤيد الله به عباده شىء آخر. فالمعزى الموصوف بالروح هو محمد ﷺ. والروح القدس المؤيد للأنبياء والصالحين. ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين، قبل المسيح وبعده. وهذا مما اتفق عليه أهل الكتاب. وهو أن روح القدس نزلت على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده، وليست موصوفة بهذه الصفات. فقد قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾(١) وقال النبى ﷺ لحسان بن ثابت، لما كان يهجو المشركين: «اللهم أيده بروح القدس» وإذا كان كذلك - ولم يسم أحد هذه الروح «فيرقليطا» - دل على أن الفيرقليط أمر غير هذا» أ.هـ

## الروح النجس

وكان علماء من بنى إسرائيل يكذبون على الله وعلى الناس. فيدعون: أن الله أوحى إليهم عن طريق الروح القدس كلاما. ثم يذكرونه، وينسبونه إلى الله، فوبخهم الله تعالى

(١) المجادلة ٢٢.

على لسان النبى زكريا، وبين أنهم يذكرون ما قاله الشيطان لهم. ففى الإصحاح العاشر. «ويكون فى ذلك اليوم يقول رب الجنود: إنى أقطع أسماء الأصنام من الأرض. فلا تذكر بعد، وأزيل الأنبياء أيضا، والروح النجس من الأرض. ويكون إذا تنبأ أحد بعد. أن أباه وأمه. والديه. يقولان له: لا تعش؛ لأنك تكلمت بالكذب باسم الرب» (زك ١٣:٢-٣).

فالروح النجس الذى كان يضل علماء بنى إسرائيل. يناسبه أن يقول المسيح فى النبى الآتى من الله: إنه سيكون معه روح مقدس طاهر. ليميز بينه وبين الأنبياء الكذبة من علماء بنى إسرائيل الذين حكى عنهم زكريا.

## الروح القدس

والمنتسب إلى الله تعالى. يعبرون عنه بأنه ممتلئ من الروح القدس. أى لا مكان للشيطان فى قلبه. فيقولون: «أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس» (لو ٤:١) أى مع الله. ولا يقدر عليه الشيطان. وقالوا عن المعمدان: «لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس» (لو١ :١٥) أى يسير مع الله من صغره، ويملأ الله جوفه علما وحكمة.

وبين لوقا عن المسيح: أن الذى يطلب الله، يعطيه الروح القدس. والذى يطلب الشيطان يعطيه الروح النجس. فيكون قلبه إما ممتلئا بنور الله: وإما ممتلئا بظلام الشياطين. يقول المسيح عليه السلام: «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة؛ فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه» (لو ١١:١٣).

وعندهم أن الذى يدافع عن الله، ضد الباطل. يكون فى حالة دفاعه ممتلئا من الروح القدس. أى لا مكان فى قلبه للشيطان ليلقى فيه الآراء الباطلة. ففى سفر الأعمال: «امتلأ بطرس من الروح القدس» (أع٤:٨).

## روح الحكمة

والذين يكونون صلحاء. يقولون: إنهم ممتلئين من الحكمة ومن الروح القدس ففى سفر الأعمال:

«فانتخبوا أيها الأخوة سبعة رجال منكم، مشهودا لهم، ومملؤين من الروح القدس، وحكمة. فنقيمهم على هذه الحاجة» (أ.ع ٦:٣) «فاختاروا إستفانوس رجلا مملوا من الإيمان والروح القدس» (أع ٦:٥).

## التأييد بالروح القدس

ومما عندهم فى نصر الله لأوليائه عن طريق التأييد بالروح القدس: «أيد يا الله هذا الذى فعلته لنا» (مزمور ٦٨:٦٨) «لا تخف لأنى معك. لا تتلفت لأنى إلهك. قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برى» (إشعياء ٤١:١٠) «لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة، بروحه فى الإنسان الباطن» (أفسس ٣:١٦).

## الممسوح بالروح القدس

ويقولون عن الرجل الصالح: إنه ممسوح بالروح القدس. أى أن الله تعالى اصطفاه لمقاومة الشيطان. كما كان يصطفى الأنبياء والعلماء والملوك، ويأمر بمسحهم بالزيت المقدس. ففى سفر الأعمال: «يسوع الذى من الناصرة. كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة، الذى جال يصنع خيرا، ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه» (أ ع ١٠:٣٨).

## معنى إقامة الروح القدس

يقول لوقا فى سفر الأعمال: «واحترزوا إذا لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس، فيها أساقفة» (أ ع ٢٠:٢٨) أى أن هؤلاء الصالحين، لما انضموا إلى الله. وصارت قلوبهم متشابهة فى الإيمان، وممتلئة من حب الله؛ صار كأنهم مقامون من آخر. أقامهم وعينهم فى وظائفهم. وهم فى الحقيقة لم يقاموا ولم يعينوا من آخر. بل على المجاز. حبهم لربهم هو الذى أقامهم وعينهم. وقد وضح هذا المعنى المجازى بولس، فى قوله: «ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذى من الله؛ لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التى نتكلم بها أيضا، لا بأقوال. تعلمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح القدس، قارنين الروحيات بالروحيات. ولكن الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة. ولا يقدر أن يعرفه» (١كور ٢:١٢-١٤).

يريد أن يقول: إن روح العالم تحب الشهوات، والملذات. ونحن لا نحب هذا فلذلك لا نأخذ من روح العالم، بل من روح الله. وروح الله الذى يعبر عنه أيضا بالروح القدس. هو الذى يلهمنا التعليم الصالح. وأى تعليم يرد على قلوبنا؛ نقارنه بتعاليم الله المدونة فى الكتب المقدسة. فما وافقهما فهو من الله، وما خالفهما فهو من الشيطان. والإنسان الطبيعى الذى لم يتعلم الكتب المقدسة، لأنه أمى وجاهل؛ لا يقدر أن يميز بين ما هو من روح القدس وما هو من روح الشيطان.

❖ ❖ ❖

فأنت ترى مما تقدم ذكره: أن المنتسب إلى الشيطان قد يطلق عليه لقب الروح الشرير أو الروح النجس. وأن السائر مع الله يقولون: إنه ممتلئ من الروح القدس. فإذا لقب عيسى ﷺ محمدا ﷺ بلقب «الروح القدس» فإنما هو يلقبه على عادة قومه فى النطق والتعبير.

كما قال الله فى القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم: ٤)

وهو قد قال: «فيرقليط الروح القدس» فأضاف اللقب إلى الاسم. فليبحث عن الاسم. الذى هو «فيرقليط» الموصوف بالروح القدس، أو روح الحق. وإذا ثبت أنه اسم «أحمد» ثبت أن «الروح القدس» لقب له. وإذا ثبت أنه هو الروح القدس. يثبت أن قول الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (الإسراء: ٨٥) يكون المراد به. الروح القدس الذى هو أحمد ﷺ.

كأنهم يقولون له: هل أنت «الروح» الذى وعد عيسى بن مريم بمجيئه من بعده؟ وكأنه أجاب بأنه هو. وهذا يشعر باستبعادهم نسخ شريعة موسى. كأنهم يقولون: إن شريعة موسى تكفى فى هداية الناس إلى الله. وهى منه. فلماذا أتيت؟ ورد: بأن هذا أمر الله وقضاؤه فى خلقه. وأنتم ما أوتيتم من عيسى من العلم إلا قليلا.

وكلمة «فيرقليط» هى اسم أحمد باللغة العبرانية. وتترجم فى اليونانى: «فيراقليطوس» وفى بعض الكتب أتت الكلمة بالباء الثقيلة. هكذا: «بيرقليط» - «بيراقليطوس» وفى بعض الكتب: «بيركليت» - «بيراكليتوس».

ويقول النصارى: إن بيركليت - بكسر الباء - هى اسم أحمد. فى اليونانى «باراكليتوس» والباراكليت معناه: النائب عن المسيح، الذى يأتى عوضا عنه؛ ليعزى بنى إسرائيل فى ضياع ملكهم ونبوتهم. ثم يقولون: إن النائب عن المسيح هو الأقنوم الثالث. مع أن الذى ضاع على يديه ملك بنى إسرائيل، ونسخت شريعتهم على يده، هو محمد ﷺ.

وهم يعلمون هذا علم اليقين. ويعلمون: أن حرف السين فى اللغة اليونانية يضاف إلى الأسماء. وباركليت جاءت فى اليونانية «باركليتوس» ويعلمون أيضا: أن حروف المد، وهى الألف والياء والواو، ووضع الشكل على الحروف، لم يكن له وجود فى اللغة العبرانية، من قبل القرن الخامس الميلادى. ألا عند «المسوريين» اليهود.

ويعلمـون: أن الصـفـة لا تكون بالسين. وحـيث أن الإنجـيل فى اليـونانى نصـه «بركليتوس» فإن مراد المسيح يكون «أحمد» وليس «المعزى».

وقد أطال النفس علماء المسلمين فى شرح نبوءة الفيرقليط هذه. وبينوا انطباقها على محمد ﷺ ومنهم شيخ الإسلام فخر الدين الرازى والشيخ ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ورحمت الله الهندى، وباجه جى زاده، ونعمان الألوسى، وعبد الوهاب النجار - رضى الله عنهم أجمعين -.

ومن كلام الشيخ ابن تيمية:

«وأيضـا: فإنه وصف الفارقليط بصفات لا تناسب هذا -أى روح الإلهام وجبريل عليه السلام- وإنما تناسب رجلا يأتى بعده، نظيرا له؛ فإنه قال: «إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الاب أن يعطيكم فارقليطا آخر. يثبت معكم إلى الأبد» فقوله «فارقليطا آخر» يدل على أنه ثان لأول كان قبله، ولم يكن معهم فى حياة المسيح إلا هـو(١). ولم تزل عليهم روح. فعلم: أن الذى يأتى بعده نظيرا له؛ ليس أمرا معتادا يأتى الناس. وأيضا: فإنه قال: «يثبت معكم إلى الأبد» وهذا إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم إلى آخر الدهر. ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته. فعلم أنه: بقاء شرعه وأمره. فعلم: أن الفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه إلى الأبد. وهذا يبين أن هذا الثانى صاحب شرع لا ينسخ بخلاف الأول. وهذا إنما ينطبق على محمد ﷺ.

وأيضًا: فإنه أخبر أن هذا الفارقليط الذى أخبر به: يشهد له ويعلمهم كل شئ وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح، وأنه يوبخ العالم على الخطيئة. فقال: «والفارقليط الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شئ. وهو يذكركم كل ما قلت لكم» وقال: «إذا جاء الفارقليط الذى أنا أرسله، هو يشهد لى. قلت لكم هذا، حتى إذا كان تؤمنوا به، ولا تشكوا فيه» وقال: «إن خيرا لكم أن أنطلق؛ لأنى إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط. فإذا انطلقت أرسلته إليكم. فهو يوبخ العالم على الخطيئة. وإن لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله. لكن إذا جاء روح الحق، ذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكل ما يأتى، ويعرفكم جميع ما للآب».

(١) إنهم وضعوا «آخر» لأن إشعياء قال: «عزوا عزوا شعبى» وكل نبى من بعدى عزى. وعيسى عزى والباركليت معزى آخر. لأن كل بنى إسرائيل هم كمعزى أول. فهو يعزى فى ضياع ملكهم ونسخ شريعتهم كما عزى غيره من السابقين. وأسماؤهم مختلفة.

فهذه الصفات والنعوت التى تلقوها عن المسيح، لا تنطبق على شيء فى قلب بعض الناس، لا يراه أحد ولا يسمع كلامه، وإنما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه؛ فيشهد للمسيح ويعلمهم كل شيء، ويذكرهم كل ما قاله لهم المسيح، ويوبخ على الخطيئة، ويرشد الناس إلى جميع الحق. وهو لا ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل ما يأتى ويعرفهم جميع ما لرب العالمين. وهذا لا يكون إلا بشرا رسولا، بل يكون أعظم من المسيح؛ فإن المسيح بين أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح من خطاب الناس فى أمور عظيمة، لا تحتملها عقول أولئك، ويعلم ما لا يعلمه المسيح، ويخبر بكل ما يأتى، وبما يستحقه الرب، حيث قال: «وإن لى كلاما كثيرا، أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، ولكن إذا جاء روح الحق. ذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى، ويعرفكم جميع ما للآب».

وهذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ»(١) أ.هـ

فالمعزى الروح القدس هو أحمد المنسوب إلى الله الطاهر. وهو الذى يسألون عنه محمدا ﷺ ليضاهوا إجابته على المسطور عندهم فى إنجيل يوحنا. فإن رأوها متطابقة يعلمون أنه نبى صادق. وذلك لأنه أمى لا يقرأ ولا يكتب. وإن رأوها غير متطابقة، يعلمون أن الله لم يخبره بالإجابة. وعليه. فإنها تكون إما من شياطين الإنس وإما من شياطين الجن. وقد أخبرهم بأن نبوته من أمر ربه، لا من ذاته ولا من الشيطان. وأن ما عندهم من العلم قليل. لأن المسيح نفسه عن أمر الله لم يعطهم كثيرا من العلم. وقال لهم: سيأتى «الروح» من بعدى ليعلمكم كل شيء. فقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥) هو إشارة إلى أن عيسى عليه السلام قال للحواريين: «وإما المعزى الروح المقدس الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم كل ما قلته لكم» وفى ترجمة البروتستانت: «وأما المعزى الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يو١٤: ٢٦) فالترجمتان متطابقتان فى أن عيسى عليه السلام ما آتاهم من العلم إلا قليلا. لأن الله نفسه أراد هكذا. وفى أن الروح سيعلمهم كل شيء. وهذا ما أظهره الواقع. فإن القرآن الكريم ما فرط الله تعالى فيه من شيء. مع أن الروح كان أميا لا يقرأ ولا يكتب.

(١) ص ٩-١١ ج٤ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

وهذا هو نفس معنى قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾(١).

فروح القدس هو لقب أحمد «بيرقليط» والمعنى: أن الناس قد اختلفوا فى أمر عيسى ﷺ. فقال اليهود: إنه ساحر. وقال الرومان: إنه أحد الآلهة. وقال النصارى فى المجامع: إنه الله رب العالمين، أو إله مع الله. ومنكرو النبوات: شكوا فى أمره. ولا يكون التأييد هاهنا بجبريل ﷺ أو بالإلهام فى القلب بواسطة الملائكة. وذلك لأن التأييد فى نظر الناس، يكون من رجل ظاهر للناس. ومحمد ظهر للناس؛ وأيد عيسى فى تبشيره به، وقال: إن عيسى قد كتب عنى. ولأن جبريل ﷺ أيد الأنبياء كلهم بوحى من الله. فأى مزية للمسيح على غيره؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(٢) وهذا عام للأنبياء والصالحين. فأى مزية للمسيح على غيره فى نزول الملائكة على القلب؟.

وقد قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾(٣) مرتين فى سورة البقرة. والمراد من الروح القدس فى المرتين: المعزى الروح القدس. وهو محمد ﷺ. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾(٤) والمعنى هو للتأييد بالنبى الأمى، الآتى من بعده، فيكون المعنى على المضارع. وعبر بالماضى، كما عبر بـ ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾(٥) لتحقق وقوع الخبر. ومن المحتمل: أنه أيده بالروح التى يؤيد بها الأنبياء. كما قال داود ﷺ: «قلبا نقيا اخلق فى يا الله. وروحا مستقيما جدد فى داخلى. لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى رد لى بهجة خلاصك. وبروح منتدبة اعضدنى. فأعلم الأثمة طرقك، والخطاة إليك يرجعون» (مزمور ٥١: ١٠-١٣).

(١) البقرة ٨٧ و ٢٥٣.
(٢) فصلت ٣٠.
(٣) البقرة ٨٧ و ٢٥٣.
(٤) المائدة ١١٠.
(٥) النحل ١.

والمعنى الأول هو المراد. لما أسلفنا. وقد ترجمت «المعزى» فى بعض الترجمات بالمؤيد(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾(٢) والمراد به هاهنا: جبريل عليه السلام. لقوله فى موضع آخر. ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾(٣).



ومما يدل على أن سؤالهم يتطلب إجابة معينة لهم بها علم: هو أن المؤرخين من جميع الأمم يؤرخون من أحوال النصارى: اجتماعهم فى مدينة القسطنطينية سنة ٣٨١ بعد الميلاد للمباحثة فى «المعزى الروح القدس» فالإجابة على السؤال يعرفها أهل الكتاب، ويعرفها جميع الأمم. وإن كذب بها أهل الكتاب، يشهد على تكذيبهم جميع الأمم. وهم لم يجتمعوا للمباحثة فى «روح الله» وإنما اجتمعوا من أجل «محمد»، المكتوب عنه «بركليت الروح القدس» فالاجتماع هو للمباحثة فى «بركليت» الذى اشتهر فى العالم بلقب «الروح».

يقول سعيد بن البطريق فى كتابه «نظم الجوهر»: «اختلفت آراء النصارى وكثرت مقالاتهم وغلبت عليهم مقالة «آريوس» وأنهم ملكوا عليهم ملكا اسمه «تدوس» وأن الوزراء والقواد اجتمعوا إليه ذاكرين أن مقالات الناس اختلفت وفسدت. وغلبت عليهم مقالة «آريوس» و «مقدينوس» فينظر الملك فى هذا ويذب عن النصرانية، ويوضح الأمانة المستقيمة. فكتب إلى بطرك إسكندرية وأنطاكية ورومية، وأسقف بيت المقدس، فحضروا مع أساقفتهم بقسطنطينية؛ إلا بطرك رومية؛ فإنه كتب وأنفذ بالأمانة المستقيمة. فاجتمع بقسطنطينية مائة وخمسون أسقفا. وكان المقدم البطاركة الثلاثة، فدفع الملك إليهم كتاب بطرك رومية، فكان صحيحا موافقا، وكان يزعم أن روح القدس إله ولكن مخلوق مصنوع. فقال بطرك الأسكندرية: ليس روح القدس عندنا معنى غير حياته. فإذا قلنا: إن روح القدس مخلوق. فقد قلنا: إن حياته مخلوقه. وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة؛ فقد زعمنا أنه غير حى، وإذا زعمنا أنه غير حى؛ فقد كفرنا؛ ومن كفر وجب عليه اللعن.

فاتفقوا على لعن «مقدونيوس» فلعنوه وأشياعه، ولعنوا البطاركة الذين كانوا بعده

---

(١) راجع البشارة بنبى الإسلام.

(٢) النحل ١٠٢.

(٣) الشعراء ١٩٣.

يقولون بقوله، ولعنوا أسقف لونية وأشياعه، ولعنوا بوليناريوس وأشياعه؛ لأنه كان يقول إن الآب والابن وجه واحد. ولعنوا بوليناريوس وأشياعه لأنه كان يقول: إن جسد سيدنا المسيح بغير فعل. وثبتوا أن روح القدس خالقة غير مخلوقة. إله حق، وأن طبيعة الآب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة.

وردوا فى الأمانة التى وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا، الذين اجتمعوا فى مدينة نيقية: «وبروح القدس المحيى المميت، المنبثق من الآب» أ.هـ



هذا هو كلام ابن البطريق. فمن يفهم مراده؟

هذا هو مراده:

**أولا:** تنص التوراة على أن رب العالمين هو الله عز وجل ولا شريك له فى الملك.

**ثانيًا:** عبر داود ﷺ عن النبى الذى سيأتى مثل موسى بلقب «ابن الله» مجازا. كما يقول الله عن اليهود: «أنتم أولاد للرب إلهكم» (تث ١٤، ١) أى أنهم أحباء الله، وقريبون منه.

**ثالثًا:** فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م جعل المجتمعون «ابن الله» فى المزمور الثانى، لقبا لعيسى ﷺ ولم يقولوا إنه بالمجاز، بل بالحقيقة. وبذلك وجدوا تبريرا لنبوءة ابن الله التى ليست له. وانفض المجمع على قانون أوله: «نؤمن بإله واحد. آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض. ما يرى وما لا يرى. وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور».

ففى هذا المجمع وضعوا قانونا للإيمان، سموه بالأمانة المستقيمة. وصرحوا فيه بالله رب العالمين ضابط الكل. ثم أخذوا نبوءة المزمور الثانى ووضعوها على المسيح بالمعنى الحقيقى لا المجازى. وهى نبوءة قالها داود ﷺ على محمد ﷺ بحسب تعابير اليهود عن المعانى. ونصها: «لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب فى الباطل. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين: لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما. الساكن فى السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى. إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى: أنت ابنى أنا اليوم ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأرض ملكا لك. تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزاف تكسرهم، فالآن يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا

يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة، قبلوا الابن لئلا يغضب. فتبيدوا من الطريق؛ لأنه عن قليل يتقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» (مزمور ٢).

هذا هو نص نبوءة الابن التى اجتمع مجمع نيقيه من أجلها، وطبقوها على عيسى عليه السلام ليختموا به النبوات إلى يوم القيامة. ولم يجعلوها عليه بالمعنى المجازى كما هو المراد من التعبير، بل جعلوها عليه بالمعنى الحقيقى. فأصل أقنوم الابن عند النصارى: نبوءة عن محمد ﷺ كما ترى.



وكان عيسى عليه السلام يبشر بمحمد ﷺ ويلقبه بالروح القدس. ليبين أنه منتسب إلى الله الطاهر، لا إلى الشيطان النجس الذى يضل العالم. ومن كلامه: «وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى، فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٤: ٢٦) فاجتمع النصارى فى القسطنطينية سنة ٣٨١م للمباحثة فى حيلة طريفة يتفادون بها دلالة الروح القدس على محمد ﷺ كما بحث المجتمعون فى نيقية نبوءة الابن. فاجتمعوا وقرروا أن يكون نطق الكلمة «باراكليت» لا «بيراكليت» وأن يكون الروح القدس هو روح الذات الإلهية. أى روح الله الآب ضابط الكل. وحيث أن الله قديم. فإن روحه تكون قديمة قدم ذاته. فالنقاش فى المجمع كان من أجل» بيركليت الروح القدس» الذى وعد به المسيح أتباعه أن سيأتى من بعده. وهو محمد ﷺ فالذين سألوا عن الأشياء الثلاثة وهى ذو القرنين وأهل الكهف والروح، سألوا عن أشياء عظيمة، لهم بها علم وللناس بها علم. وفى كتابنا «أقانيم النصارى» توضيح أكثر من هاهنا فى شأن الأقانيم.

## أحاديث الأسئلة الثلاثة

وحيث قد فرغنا من إجابة السؤال الثالث. وهو ﴿الروح﴾ القدس، الذى صار علما بالغلبة، والشهرة، على محمد رسول الله؛ نذكر الإشكالات فى حديث الأسئلة الثلاثة. مع العلم بأنه حديث آحاد(١).

(١) قال الإمام البزدوى رضي الله عنه: «وأما دعوى علم اليقين - فى أحاديث الآحاد - فباطلة، بلا شبهة، لأن العيان يرده. وهذا لأن خبر الواحد محتمل، لا محالة، ولا يقين مع الاحتمال. ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه، وأضل عقله».

وقال الإمام ابن الصلاح رضي الله عنه: «ومن سئل عن حديث متواتر، أعياه تطلبه. ولاترى مثالا له. إلا حديث: «من كذب على متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار» وقال شيخ الإسلام فخر الدين الرازى فى «تأسيس التقديس»: أن أحاديث الآحاد تفيد الظن ولا تفيد اليقين. ومنع الاستدلال بها فى العقائد.

١- رواية الأعمش: أن السؤال من اليهود للأمور الثلاثة كان فى «حرة المدينة» ولم يرد فى روايته ذكر لكفار قريش.

٢- رواية السدى: أن السؤال كان فى «مكة» عن طريق كفار قريش.

٣- رواية عبدالله بن مسعود فيها النص القرآنى مختلف عن رواية حفص. فيها: ﴿**وما أوتوا من العلم إلا قليلا**﴾ وروى ابن مسعود: أن السؤال كان فى «المدينة».

## تفسير ابن عباس للروح

والتفسير الوارد عن ابن عباس -رضى الله عنهما- فى ﴿الرُّوحِ﴾ لم يزل الإشكالات فى حديث الأسئلة. ففى كتاب الروح - المسألة السابعة عشرة - يورد ابن قيم الجوزية فى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (الإسراء: ٨٥) أقوالا منسوبة إلى ابن عباس، وغيره. هى:

١- هند عن عكرمة، تخالف رواية السدى عنه.

٢- رواية داود بن أبى هند عن عكرمة، تخالف رواية السدى عنه.

٣- رواية هشيم: أن الروح غير الروح التى فى ابن آدم.

٤- رواية مجاهد: عدم التفسير.

٥- رواية جويبر: الروح خلق من خلق الله.

٦- والرأى السادس شبيه بالرأى الذى قلناه بل هو هو ونصه: «إن قريشًا اجتمعت فقال بعضهم لبعض: والله ما كان محمد يكذب. ولقد نشأ فينا بالصدق والأمانة، فأرسلوا جماعة إلى اليهود، فاسألوهم عنه. وكانوا مستبشرين به، ويكثرون ذكره، ويدعون نبوته، ويرجون نصرته، ويكونون له أنصارًا. فسألوهم عنه.

فقال لهم اليهود: سلوه عن ثلاث. سلوه عن الروح. وذلك أنه ليس فى التوراة قصته ولا تفسيره، إلا ذكر اسم الروح. فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء: ٨٥) يريد من خلق ربى عز وجل» أ هـ

لاحظ قوله: «وذلك أنه ليس فى التوراة قصته ولا تفسيره، إلا ذكر اسم الروح».

يريد أن يقول: إنه إذا ذكرت قصة محمد ﷺ فى التوراة، وإذا ذكر تفسير صفاته

فيها، ذكر اسم الروح من صفاته. تمييزًا له عن مدعى النبوة الذين يأخذون آراءهم من أرواح الشياطين.

**قوله تعالى:** ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ (النبأ: ٣٨).

**وقوله تعالى:** ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ (القدر: ٤).

واعلم: أن ﴿الرُّوحُ﴾ المسئول عنه. وهو «المعزى الروح القدس»[1] جاء فى القرآن معرفًا بالألف واللام. وهذا يدل على أنه أمر معروف للسائل. وليس للسائل فقط، بل له ولأهل العلم من سائر الأمم. وذلك لأنه إذا جاءت الإجابة على غير المعروف له ولأهل العلم من سائر الأمم، فإنه سيستشهد بالأمم على كذبه فى دعوى النبوة. ولو كان السؤال عن

---

(١) المعزى – باراكليت فى العبرى. وفى اليونانى – باراكليتوس. ومعناها: الآتى عوضًا عن عيسى عليه السلام ليعزى بنى إسرائيل فى ضياع ملكهم ونبوتهم. وكلمة بيراكليت هى اسم أحمد ﷺ. وفى الترجمة التى نقل عنها الإمام القرافى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ ما نصه: «والفارقليط روح القدس الذى يرسله أبى. هو يعلمكم كل شىء. وهو يذكركم بما قلت لكم» والنصارى حذفوا من التراجم كلمة الفارقليط، ووضعوا بدلها المعزى.

وفى الترجمة العربية التى نقل عنها الإمام فخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ يقول الإمام ما نصه:

«ولنذكر الآن بعض ما جاء به عيسى ﷺ بمقدم سيدنا محمد ﷺ فى الإنجيل، فى عدة مواضع:

أولها: فى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا. هكذا: «وأنا أطلب لكم إلى أبى، حتى يمنحكم ويعطيكم الفارقليط، حتى يكون معكم إلى الأبد. والفارقليط هو روح الحق اليقين، هذا لفظ الإنجيل، المنقول إلى العربى. وذكر فى الأصحاح الخامس عشر هذا اللفظ: «وأما الفارقليط روح القدس، يرسله أبى باسمى، ويعلمكم ويمنحكم جميع الأشياء. وهو يذكركم ما قلت لكم» ثم ذكر بعد ذلك بقليل: «وإنى قد خبرتكم بهذا قبل أن يكون، حتى إذا كان ذلك تؤمنون».

وثانيًا: ذكر فى الأصحاح السادس عشر هكذا: «ولكن أقول لكم الآن حقًا يقينا: انطلاقى عنكم خير لكم، فإن لم أنطلق عنكم إلى أبى، لم يأتكم الفارقليط، وإن انطلقت أرسلته أليكم. فإذا جاء هو يفيد أهل العالم، ويدينهم ويمنحهم ويوقفهم على الخطيئة والسر والدين».

وثالثها: ذكر بعد ذلك بقليل هكذا: «فإن لى كلامًا كثيرًا. أريد أن أقوله لكم، ولكن لا تقدرون على قبوله والاحتفاظ له، ولكن إذا جاء روح الحق إليكم، يلهمكم ويؤيدكم بجميع الحق؛ لأنه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه».

هذا ما فى الإنجيل» أ.هـ.

الروح التى هى سر الحياة فى الإنسان. فإن السائل والمسئول والأمم فى معرفتها سواء. فإنا قد بينا فيها كلام اليهود والنصارى والفلاسفة والمسلمين كلهم. سنيين وشيعة. وقد تبين خلاف بينهم فى الروح التى هى سر الحياة. والجمع الكثير قد قالوا الروح المفارقة. فالسؤال لا يمكن أن يكون عن الروح التى هى سر الحياة، لأن الإجابة عنها لا تثبت النبوة. وحيث قد ثبت أن ﴿الرُّوحُ﴾ المسئول عنه هو محمد ﷺ وحيث جاءت كلمة ﴿الرُّوحُ﴾ معرفة فى قوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ فإن الروح القائم هو نفسه يكون الروح المسئول عنه. إذ لا فرق فى رسم الكلمتين، حتى يقال فى إحداهما بمعنى يختلف عن معنى الأخرى. ومعنى الإقامة: هو إنه فى يوم القيامة، يقوم القرآن ليشهد على الخلائق بالإدانة. يقول بلسان الحال: بينت لكم الحق من الباطل وحذرتكم من الشيطان. وأنا أدين المجرمين منكم، لأنهم تركونى إلى ما تهوى أنفسهم. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۞ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤١-٤٢) فإقامته عليه السلام: هى للشهادة بالكتاب الذى أنزل عليه من السماء، والمجىء به للشهادة: هو بما بلغه بالقرآن فى حياته، وبما يبلغه أتباعه بالقرآن من بعده. وليس المراد مجىء محمد نفسه.

وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ (القدر: ٤) معناه: أن الله ابتدأ إنزال القرآن فى ليلة عظيمة القدر والشرف. وأن الملائكة تنزلت فى هذه الليلة. وكان ﴿الرُّوحُ﴾ فيها حيا وتنزلت عليه بالقرآن. وهذا ﴿الرُّوحُ﴾ هو محمد نفسه. كان حيا ومبعوثا، ونزل القرآن عليه. ثم إن قرآنه من بعد موته؛ ينوب عن حياته بالجسد. وما يزال القرآن المعبر عنه بالروح نيابة عن مبلغه؛ يتلى، وما تزال الملائكة تتنزل بالرحمات. فلو فرضنا فى عصرنا هذا ليلة مشابهة لليلة نزول القرآن؛ لصح القول بأن الملائكة نزلت من السماء إلى الأرض فيها. والروح الذى هو القرآن، كان فى استقبالهم. وذلك لأن الفعل« تنزل» يفيد الاستمرار والدوام، والقرآن ينوب الآن عن مبلغه للناس.

وغرضه من ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ أن يعرف العالم بأن النبى المنتظر، الذى يعرفون بلقب «الروح» قد ظهر حقا فى موعده.

**ولقد جاءت الروح فى القرآن بمعان:**

١- الوحى. كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى ٥٢).

٢- القوة والثبات والنصرة التى يؤيد بها من شاء من عباده المؤمنين. كما قال: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢).

٣- جبريل. كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾ (الشعراء: ١٩٣) وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٩٧).

٤- يقول ابن قيم الجوزية. والروح التى سأل عنها اليهود، فأجيبوا بأنها من أمر الله. قد قيل: إنها الروح المذكورة فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ﴾ (النبأ: ٣٨) وأنها الروح المذكورة فى قوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ (القدر: ٤)

٥- المسيح ابن مريم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (النساء: ١٧١).

فى القرآن، إلا بالنفس ويقول ابن تيمية. «الإنسان مركب من نفس وبدن. والإنسان اسم للمجموع، وليس الإنسان روحًا، والإنسان بدنًا»[1] أ.هـ

ويقول ابن قيم الجوزية: إن أكثر السلف على أن الروح المسئول عنه فى الآية ليس روح الإنسان من بنى آدم الذى هو سر الحياة. بل الروح هو الذى أخبر الله عنه فى كتابه: أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة وهو ملك عظيم. وأما أرواح بنى آدم فليست من الغيب. وقد تكلم فيها طوائف من الناس، من أهل الملل وغيرهم، فلم يكن الجواب عنها من أعلام النبوة. هذا كلام ابن القيم الذى ربط فيه بين الروح المسئول عنه وبين الروح فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾ ولا نختلف نحن معه إلا فى أمر واحد. وهو أنه فسر الروح بملك عظيم من الملائكة. ونحن قد فسرناه بمحمد صلى الله عليه وسلم والحديث الذى رواه هو عن ابن عباس. وفيه: «وذلك أنه ليس فى التوراة قصته ولا تفسيره إلا ذكر اسم الروح» يوافق تفسيرنا مع ما فى الإنجيل الذى قد نقلناه من قبل. ومع رواية

(١) ص ١١٠ ج٣ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

ابن مسعود وهى: ﴿وما أوتوا من العلم إلا قليلا﴾ أى أهل الكتاب وهى وإن كانت باطلة. لأن المعول عليه هو قراءة حفص. إلا أنها تعطى المعنى الذى بقصده السائل من سؤاله، فإن عيسى ﷺ قال عن الروح: «هو يعلمكم كل شئ» فيكون المعنى وما أوتوا من عيسى ﷺ من العلم إلا قليلا. ويكون الخطاب بقوله تعالى: ﴿وما أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥) هو خطاب لجميع النصارى.



هذا وقصة الإسكندر الأكبر ذى القرنين[١] مذكورة فى تفسير شيخ الإسلام الإمام فخر الدين الرازى وغيره، ولطولها لا نذكرها. ونذكر قصة أهل الكهف هاهنا من كتاب «الجواب الصحيح» نقلا عن كتاب «نظم الجوهر»:

## قصة أهل الكهف
## فى كتب النصارى

روى سعيد بن البطريق فى كتابه «نظم الجوهر» قصة أهل الكهف على هذا النحو: إن القيصر الرومانى «دافينوس» - وهو «دقيانوس» خرج إلى مدينة «أفسوس» وبنى فى وسطها هيكلا عظيمًا، وصير فيه الأصنام، وأمر أن يسجد للأصنام ويذبح لها. ومن لم

---

(١) قال النيسابورى، أصح الأقوال فى ﴿ذى القرنين﴾: أنه هو الأسكندر بن فلبوس الرومى. الذى ملك الدنيا بأسرها. إذ لو كان غيره، لانتشر خبره، ولم يخف مكانه. وقال الإمام فخر الدين الرازى: لما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين، ملك الدنيا، أو ما يقرب منها، وثبت فى التاريخ أن من هذا شأنه لم يكن سوى الإسكندر، وجب القطع بأن ذا القرنين هو الأسكندر.

وقال أبو الكلام أزاد: إن ذا القرنين هو «كوروش الفارسى» لأن الحفريات فى مدينة «اصطخر» التى هى مقابل «طهران» قد أظهرت تمثاله وعلى رأسه. فى مقدمته قرنان، وفى مؤخرته قرنان. والرد عليه: هو أن دليل الحفريات يدل على أن التاج قد يكون شعار المملكة، له ولغيره، وقد يكون مقلدا فيه لواحد، قد قلده الإسكندر من بعده. أو يكون الإسكندر لما فتح فارس لبس كما لبس كورش. وإذا تطرق الاحتمال إلى الدليل، سقط الاستدلال به. والصحيح: أنه الإسكندر، لأنه هو الملك الوحيد الذى ملك العالم. وغيره من الملوك، مثل «كوروش» فإنهم ملكوا بلادًا كثيرة، أقل مما ملك «الإسكندر» وسمى بذى القرنين لأنه طاف قرنى الدنيا - شرقها وغربها - كما فى حديث منسوب إلى النبى ﷺ.

يفعل ذلك، قتل. وقتل من النصارى بـ «أفسوس» خلقًا عظيمًا. وصلبهم على الحصن، واتخذ من أولاد عظماء «أفسوس» سبعة غلمان من خواصه. وأعلى كسوتهم، وقدمهم على جميع من عنده. وذكر أسماءهم -أسماء أصحاب الكهف-.

قال: وهؤلاء السبعة الغلمان لم يسجدوا للأصنام، وأعلموا الملك بخبرهم، فأمر بحبسهم، ثم خرج إلى بعض المواضع، وأطلق سبيلهم إلى حين رجوعه. فلما خرج من المدينة أخذ الغلمان كل مالهم، فتصدقوا به، ثم خرجوا إلى جبل عظيم، يقال له: «جاوس» شرقى «أفسوس» فيه كهف كبير، واختفوا فى الكهف. وكان واحد منهم فى كل يوم يتنكر ويدخل المدينة، فيسمع ما يقول لناس فى شأنهم، ويشترى لهم طعاما ويرجع، فيعلمهم بقدوم «دقيانوس» الملك.

فسأل عنهم. فقيل له: إنهم فى جبل «جاوس» فى الكهف مختفين. فأمر الملك أن يبنى باب الكهف عليهم ليموتوا. وصب الله عليهم النعاس، فناموا كالأموات. وأخذ قائد من قواده صفيحة من نحاس. وكتب فيها خبرهم، وقصتهم مع «دقيانوس» الملك. وصير الصفيحة فى صندوق نحاس، ودفنه داخل الكهف. وبنى الكهف(١).

قال: وفى ثمان سنين من ملك «ثذوس» ظهرت الفتية الذين كانوا هربوا من «ذاقينوس» الملك، واختفوا فى الكهف. وذلك: أن الرعاة -على طول الزمان- كانوا إذا جازوا بذلك الموضع الذى هو الكهف، قلعوا الطوب المبنى على باب الكهف، حتى عاد مفتوحًا، كالباب. فلما انتبهت الفتية توهموا أنهم كانوا نياما ليلة واحدة. فقالوا لصاحبهم الذى كان يذهب يبتاع لهم الطعام: امض واشتر لنا طعاما، واستعلم خبر «ذاقينوس» فلما خرج إلى باب الكهف، نظر إلى البنيان والهدم، ثم مضى حتى بلغ باب المدينة – وهى «أفسوس» – فرأى باب المدينة عليه صليب كبير منصوب، فأنكر ذلك فى نفسه. وقال: أحسب أنى نائم. فأقبل يمسح عينيه، وينظر يمينًا وشمالاً. هل يرى من يعرفه؟ فلم ير. فبقى متحيرًا. وقال: لعلى أخطأت الطريق، ولعل هذه مدينة أخرى.

ثم دخل المدينة، فدفع دراهم مما كان معه، عليها صورة «ذاقينوس» الملك، فأنكروا عليه، وقالوا: لعله أصاب كنزًا. ثم قالوا: من أين لك هذه الدراهم، وإلا قتلناك؟ فلم يكلمهم وصاح الناس. فاجتمع إليه خلق كثير. وكلموه، فلم يكلمهم. فصاروا به إلى طريق المدينة وكلموه فلم يتكلم، فهددوه فلم يتكلم. فجاء إليه أسقف المدينة فكلمه وخوفه. وقال: إنك إن لم تكلمنى وتقل لى من أين لك هذه الدراهم وإلا قتلتك.

(١) ص ١٣ - ١٤ ج٣ الجواب الصحيح.

وإنما كـان يمتنع من الكلام، خوفًا من «ذاقينوس». فقالوا له: إنه قد مات، وملك بعده جماعة ملوك، فضربوه حتى آلمه الضرب، فخبرهم بحاله على جليتها. فقالوا له: إن «ذاقينوس» قد مات. وملك بعده ملوك كثيرون، والملك اليوم هو «ثذوس» الكبير. وقد ظهر دين النصرانية.

ثم سار معهم إلى الكهف. فنظروا إلى أصحابه، والصندوق النحاس الذى فيه الصحيفة الرصاص، المكتوب فيها قصتهم وخبرهم. فكثر تعجبهم. وكتبوا إلى الملك يعلمونه بخبرهم. فركب وسار إلى مدينة «أفسوس» فنظر إليهم وكلمهم. وبعد ثلاثة أيام دخل إليهم فوجدهم أمواتا، فأمر أن يتركوا فى الكهف، ولا يحرجوا. ولكن يدفنوا فيه، وتبنى عليهم كنيسة، وتسمى بأسمائهم ويعيد لها عيد فى كل سنة فى ذلك اليوم. وانصرف إلى «قسطنطينية»(١).



**أما روح الإنسان:**

فإنها ليست جسمًا منفصلا عن الإنسان، وليست روحًا منفصلا عن الإنسان. وليس فى الإنسان روح تتفس منفصلة عن الجسد. فالإنسان قد خلقه الله تعالى على هيئة مخصوصة، بمقادير مخصوصة. جعله الله من جلد ولحم وعظام وعروق وأظافر وشعر وغير ذلك. وجعل هذه التركيبة المخصوصة تسمع وترى وتفكر وتنسى وتعقل ولا تعقل وتتكلم وتسكت وتتنفس ولا تتنفس وتحزن وتفرح. وكل ذلك من التركيبة كلها. لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢) والمشاهدة تؤكد: أن تركيب الله للإنسان على هذه الهيئة المخصوصة، هو الذى يحدث الكلام والفكر والخوف والفزع وما شابه ذلك، فلو أن إنسانًا وهو غافل وضع على رجله بصبوص نار. لصرخ قائلا: آه وليس صراخه من روح فيه. وإنما الله قد كون الجسد على هيئة معينة. إذا حصل لها كذا، يحصل منها كذا. ولو أن رجلا لمس امرأته وصرخت بآه أو تضجرت بلا صوت أو صوت وأعرضت بالتفات الوجه. فهل فعلها هذا من روح تلبسها هى غير جسدها؟ لو كان كذلك. فلماذا حدث الصراخ أو الضجر أو حركات

(١) ص ٣٤ - ٣٦ ج٣ الجواب الصحيح لابن تيمية الحرانى.
(٢) النحل ٧٨.

الصد والإعراض فى هذا الوقت ولم يحدث فى غيره؟ لماذا حدث هذا كله عند وجود المثير أو الداعى أو الصارف؟

ولكن الناس قد درجوا على قولهم: وضعت السر فى صدرى - وضعته فى رأسى - قلبى مملوء بالحكمة.

**فأتبعت أخـــرى فأضللت نصلها        بحيث يكون اللب والرعب والحقد**

أى الذكاء والرعب والحقد، محلهم ومسكنهم القلب.

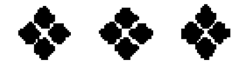
وواضعو اللغة يعنون بهذه التعابير. أنها كناية. وليست على الحقيقة. أى أنهم شبهوا الصدر بدولاب يحفظ الأشياء. أى جعلوا السر وهو أمر معنوى شبيه بالأشياء الحسية التى توضع فى الدولاب. وجعلوا الصدر كالدولاب. فالدولاب يوضع الشىء فى داخله ولا يرى. فشبهوا الصدر به. وهو لا يفتح ولا يقفل حتى يدخله سر أو شىء حسى. وكذلك الوضع فى الرأس. وغيره. كل ذلك تعابير مجازية. ومثلها: قولهم: الروح نشيط والجسد ضعيف - روح الحزن - روح العلم - روح المدنية - روح الأخوة. يقصدون: أن الراقد قد يفكر فى الأشياء الحسنة، ولا يقدر على عملها لأن الجسم مهدود. أو أنه وردت أنباء سيئة، قد أغمت الإنسان وأحزنته. وهكذا. وعلى طول الزمان، ظن الناس -لهذه التعابير- الانفصال بين الروح والجسد.

والحال: أنه ليس من روح أصلا، حتى نقول بالانفصال. وإنما هو جسم على تركيبة مقدرة ما الله على هيئة مخصوصة. أوجدت كل هذا الذى نشاهده فى الإنسان. كالماكينة المركبة من عدد وتروس وأسلاك. ومصنعة بطريقة دقيقة جدًا. وروعى فى صنعها: أنه إذا وضع السلك فى فيشة الكهرباء، فإنها تدور. وتحدث أصواتًا. وإذا ضغط على زر معين يقل الصوت، وبعد ساعات معينة تتوقف من تلقاء نفسها. وهكذا.

وهكذا الإنسان قد ركبه الله على هيئة مخصوصة من أعضاء مخصوصة. إذا حدث كذا، يحدث كذا. وإذا فسدت الأعضاء. مات كل عضو يفسد، حتى إذا تم فساد الأعضاء كلها، فنى الجسد كله. وليس من روح تفارق، وإذا فارقت يموت الجسد. ليس هذا. وفى القيامة يجمع الله أعضاء الجسد ويجعلها سليمة. فتعود الهيئة المخصوصة إلى حالتها الأولى.

وقد جرت عادة الله فى خلقه: على أنه يكلم الناس عن نفسه، على قدر عقولهم. وعلى أنه يكلمهم عن ما ألفوه فى حياتهم، واعتقدوه؛ على قدر ما ألفوا واعتقدوا. فهو

سبحانه يقول عن نفسه: إنه يستحيى ويمكر ويأسف ويغضب. وذلك ليقدر الناس على تصور ذاته. وهو عز وجل ﴿لَيْس كمثله شيء﴾ (الشورى: ١١) واعتقدوا أن رأس الشيطان قبيحة. وهم لا يرونه. وإذا رأوه، فإنهم قد يرونه على هيئة حسنة وقد يرونه على هيئة قبيحة. ولاعتقادهم هذا، قال عن شجرة الزقوم: ﴿طلْعُها كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّياطِين﴾ (الصافات: ٦٥) والناس يرون الميت فى حالة الاحتضار، تخرج روحه إلى أن تصل إلى حلقومه، فيصير جسدًا بلا روح. فيعتقدون أن روح الميت عادت إلى الله. فكلمهم الله عن الروح بحسب اعتقادهم. وهى لم تكن عنده قبل خلق الجسد فى مكان، وبعد موت الجسد عادت إليه، لأن الله فى كل مكان، فالتعبير بعادت إلى الله هو بحسب اعتقاد الناس. وأيضًا: هو بحسب اعتقادهم فى أن كل شىء مرده إلى الله، روحًا أو غير روح. ولا يعبر «سعديا[١] الفيومى» بما قلنا وإنما يعبر بقلة البصر باللغة.. فيقول: «وهذا الذى نجد الناس متحيرين كثيرًا فيه. فى هذا الباب. فبعضهم يظن أن الثواب والعقاب على النفس فقط. وبعضهم يحسبه على البدن فقط. وبعضهم يتوهمه على العظام فقط. وإنما أغلط جميعهم قلة البصر باللغة»[٢] هذا هو كلامه.



ومن الممكن أن تفهم هذا المعنى بقطعة حديد ممغنطة. تراها قطعة جامدة. ثم تراها إذا اقتربت من قطعة أخرى، تجذبها إليها. فكيف جذبتها؟ وكيف استجابت لها القطعة الأخرى وتضامت معها؟ هل فى أحدهما أو كليهما روح مفارقة؟ لا. وإنما الحديد على هذه التركيبة. يفعل ما يفعل. ويتضح هذا فى العاشق والمعشوق. فإنك تسير فى الطريق، فترى اثنين فى مقابلتك. تحس نحو واحد بالأنس إليه والارتياح له، وتحس نحو الآخر بانقباض وازورار. وما رأيتهما أنت من قبل. فما هو هذا الذى آنسك بأحدهما ونفرك من الآخر؟ هو أن تركيب جسدك على هيئته. مماثل لتركيب جسد أحدهما ومخالف لتركيب جسد الآخر. كالحديد المغنط إذا جر إليه قطعة من حديد، واستعصت على الجر قطعة من الألمنيوم، لأن الخواص المكونة لهما غير متحدة. ولذلك تنافرت

---

(١) سعديا -بفتح السين- كما فى الترجمة الإنجليزية. وبضم السين. سمعته من مدرس للغة العبرانية.

وتركيب الكلمة هو: سعد يهوه. أى سعد الله. وكتبت اختصارا ونطقت: سعديا بفتح السين.

(٢) ص ٢٠٠ - ٢٠١ الأمانات والاعتقادات.

واستعصت على الضم. وهذا لا يحدث من رجل لامرأة، بل يحدث أيضا من رجل لرجل. فأنت إذا خلوت بنفسك ربما تقول:

**متى ما تلق من تهوى    دع الدنيا وأهملها**

أى أن التى تعشقها وتهواها. لو تزوجتها، لكان ذلك لك خيرًا من ملك الدنيا. وهذا صحيح. فإن سعادة النفس هى مطلب كل إنسان. وأول السعادات التى ينشدها هى وجدان الأليف. وإذا فقده بحث عن غيره مكرهًا. إما مال أو جاه أو غير ذلك. وتراه إذا تذكر الأليف الذى فقده، يعلم أن ماله أو جاهه ليس من العوض فى شىء. وهذا هو سبب بكاء الناس على فقدان الوطن، والأحباب. والتحسر على أيام الصبا. ومن الأمور المؤكدة فى دنيا الناس: أن الفتى يعشق فتاة وتملك عليه لبه وحواسه ووجدانه. أو يعشق فتى ويأنس برؤيته ومحادثته. ويسافر إليه المسافات البعيدة. وليس سبب ذلك أن أرواحهما متحدة. بل إن جسم كل منهم متشابه فى خواص تركيبه. فيتم الانجذاب والميل كما يتم بين الحديد والحديد. وآية ذلك: أن أيا منهما بعد الحب. لو فقد من جسده شىء؛ لفتر الحب وبرد. فنضرة المرأة إذا ذبلت بعد حين. ترى رجلها تخفف منها. ونضرة الرجل إذا ذبلت، ترى المرأة تحرمه من ودادها وعطفها. وليس هذا من الكره، بل لأن التركيب الجسدى ضعفت فيه قوة الجذب، بسبب ضعف الخواص المكونة له.

وفراق المحبين يتولد عنه الغم وسوء الحال. ولقاء المحبين يتولد عنه السرور والانبساط. فهل هذا كله من روح مفارقة؟ إنه من المثير والدافع. كما تدخل بيت الحمام فيهيج ويزوم، وبيت الغراب فينفر وينعق، وتهيج القطط فتموء، وتضع الطعام للقرد فيفرح، وتحرمه من الطعام فيصيح. لماذا زام الحمام؟ ولماذا نعق الغراب؟ ولماذا تكلمت القطة بالمواء؟ ولماذا نط القرد وفط؟

وأنت أيها الإنسان إذا دخل عليك سبع ضار، فزعت وصرخت. وصراخك من جسمك. وهو مماثل لصراخ القرد وكل الحيوانات. كل على قدر جسمه. فلماذا تقول: كلامى من روح مفارقة ولا تقول بروح مفارقة فى كل الحيوانات؟ أنت تفزع وتصرخ، وتهرب من وجه الأسد. والأسد يفزع ويصرخ ويهرب من وجهك. كلاكما سواء. وكل حيوان يتكلم على قدر هيئة جسمه التى كونه الله عليها. فلماذا تقول بنفس مفارقة وأنت والحيوان سواء بسواء؟ بل أنت نفسك تصنع صفارات، ولعب أطفال وأراجوز، ومزامير، وسواقى. مصنوعات من صنع يديك، والهواء يدخل فيها. فيحدث أصواتا. مختلفة غير متماثلة. كل على قدر حجمه. فصفارة القطار تختلف عن صفارة السيارة، وصوت الساقية يختلف عن

صوت المزمار. وكلامك يختلف عن كلام الأراجوز الذى صنعته. فهل هذا من روح مفارقة فى كل؟ هكذا صنعة الله. خلق الزنبور وجعل له كلاما على قدر حجمه، وخلق العصفور وجعل له كلاما على قدر حجمه. وأنت حيوان كسائر الحيوانات. فلماذا تنسب لنفسك روحا مفارقة. بها تعقل، وبها تفكر وبها تتكلم، وبها فى القبر تعذب أو تنعم؟

وقد بين الله تعالى هذه الحقيقة فى القرآن الكريم. فقال: ﴿وما من دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ولا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨) والمشاهدة تدل على أن الأصوات تختلف بحسب تركيب أعضاء الجسم. فالقرود مثلا تختلف أصواتها لاختلاف حجم أجسامها. والإنسان أيضا. فمكسور الأسنان له نطق. ومعوج اللسان له نطق، وضيق الحلق له نطق. ومشوه الخلقة له نطق. والذكر له نطق والأنثى لها نطق. والقبائل السليمة الخلقة يختلف نطقها لأن لكل قبيلة سمات جسمية، خاصة بها. فلو كان النطق من روح مفارقة لما تبين الاختلاف. والناس تتباين معارفهم وتختلف، بحسب علمهم وتفكيرهم وذكائهم وغبائهم. فلو كانت العقول كلها عقول أرواح مفارقة. فكيف حصلت العلم؟ وفى أى مكان وضعته؟ وخمول الجسم ونشاطه له تأثير فى مكتسبات المرء من العلوم. وهذا أمر يدل على أن الجسم ليست له روح مفارقة، تذهب وتعود.

وذلك الذى قلته مما أجمع عليه علماء الأحياء والطب. وقد قرره القرآن من حين نزوله ولم يكن العلم قد تقدم بعد. فلماذا لا تصلح الكتب؟ ولماذا لا تزول الخرافة؟ ولمصلحة من يكون المسلمون فى واد، والدين والعلم فى واد غيره؟

ففى الموسوعة الفلسفية المختصرة: «أن النفس فى النظرية الذرية: مادية تتألف من ذرات سريعة الحركة، شديدة اللطافة، موزعة فى أرجاء الجسم، وتتحلل مع الجسد بعد الموت» أ.هـ

أما أنها تتحلل وتفنى مع الجسم بعد الموت. فهذا صحيح. وأما أنها مادية تتألف من ذرات سريعة الحركة. فهذا قالو مجاملة للنصارى فى الروح؛ لئلا يهدموا عقيدة اللاهوت. وذلك لأن اللاهوت عندهم هو روح منفصلة مقدسة. والعلم أظهر أن روح الإنسان ليست مؤلفة من ذرات سريعة الحركة. وعليه فإن القول باللاهوت باطل. وهم لا يريدون وجود مصادمات بين العلم ودين أهل الكتاب، أكثر مما أوجدوا؛ لئلا ينفى أهل الكتاب من تعلم العلوم التجريبية. وكيف نسلم لهم بوجود نفس مادية مؤلفة من ذرات سريعة. ونحن نشاهد

المجنون يهذى بسبب اضطراب أعصاب جسده؟ إنه يهذى ويقول كلاما مبهم المعنى بسبب اضطراب أعصابه. والعاقل لا يهذى. وتعتريه أوقات عصبية يقول فيها كلاما لا يقوله وهو عاقل.

فقد سمعنا عن رجال أصيبوا بنكبات ما كانوا يتوقعونها لأنفسهم، لأنهم ما عملوا أعمالا تؤدى إليها. وكان الواحد منهم إذا خلا بنفسه يهبهب مثل الكلب، ويلطم خده، ويخرج لسانه إذا عرض على نفسه سوء حاله. ثم يتجمل الناس إذا سمع حس إنسان قادم نحوه، ويعتدل كأن لم يكن به شىء. فهل هذا كله من روح مفارقة أم من اختلال عصب وتغير مزاج؟ وإذا هب إلى الطبيب النفسانى. فهل هو سيصلح روحا مفارقة أم سيصلح جسدا؛ هده اليأس وسوء الحال؟

## تناسخ الأرواح

وقد قال ابن كمونة اليهودى العبرانى فى النفس: إن المراد بالنفس جوهر ليس بجسم ولا جزئه ولا حال فيه. وله تعلق بالجسم من جهة التدبير له والتصرف فيه والاستكمال به. ثم قال ابن كمونة: ليس تعلق النفس بالبدن، تعلقا يقتضى فسادها بفساده. وبعد الموت قد تتعلق النفس بشىء من الأجسام، ويحصل لها وهى فى ذلك الجسم لذات عقلية أو آلام عقلية، مع اللذات والآلام الحسية الحاصلة بسبب التعلق بالجسم. وهذا التعلق ممكن وقوعه على وجوه:

منها: ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل لنا إلى إثباته. إلا من طريق الشريعة، وتصديق خبر النبوة. وذلك هو الذى للبدن عند البعث وهو المعاد البدنى(١).

ومنها التناسخ فى أبدان ما، من حبس ما كانت فيه. إما بدن إنسانى أو حيوانى أو نباتى أو معدنى. ومتى كان تكون الأشخاص البدنية التى تصلح لتعلق النفس بها: أزليا. وكانت النفس الإنسانية قديمة؛ كان هذا واجبا؛ لاستحالة وجود ما لا نهاية له من النفوس، لوجوب تناهى العلل وتناهى الحيثيات، التى باعتبارها يتكثر وجود المعلولات. وإذا تناهت ولم يتناه تكون الأشخاص. فلا بد من تكرر حصول الأنفس فى الأبدان. ومتى كان واحد من الأمرين غير حاصل فى نفس الأمر؛ لم يجب ذلك. اللهم إلا من جهة أو جهات لم نعلمها إلى الآن» أ.هـ

---

(١) ومن هذا يعرف أن أهل الكتاب مقرون بالمعاد. ولكن ابن تيمية يقول: «وأما المعاد فهو إما للأرواح أو للأبدان، وأن الناس بعد الموت سعداء أو أشقياء؛ فيقر به كثير من الأمم، غير أهل =

ذلك هو كلام ابن كمونة فى كتابه «الجديد فى الحكمة»:

وهو يثبت أن النفس جوهر روحانى مجرد عن الجسمية - كما قال شيخ الإسلام محمد بن عمر، الذى نقل ابن كمونة منه كثيرا، ونقده فى بعض آرائه - وأنها تبعث فى الدار الآخرة لا فى القبر. ويثبت إمكان تناسخ الأرواح. ونقول: إنه لا يمكن نفى تناسخ الأرواح بشدة، إلا إذا نفى استقلال الروح عن الجسد. فإن جماعة قالوا بتناسخ الأرواح. واستدلوا من القرآن عليه وقد ذكر الشيخ ابن حزم فى كتابه الفصل. كلامهم، ورد عليهم تفسيرهم. وفسر هو بما يقتضى نفى التناسخ.

وقد ذكرت هذا؛ ليعلم أن القول بالأرواح المنفصلة المفارقة، هو سبب لعقائد باطلة. ويجب أن تصحح. وما الإصلاح بعسير.

---

=

الكتاب، وإن كان على وجه قاصر» (ص ٩٧ ج٤ الجواب الصحيح) وقال أيضا: «والقول الثالث: المعاد للنفس الناطقة بالموت، وأن الأبدان لا تعاد. وهذا لم يقله أحد من أهل الملل. لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى. بل هؤلاء كلهم متفقون على إعادة الأبدان، وعلى القيامة الكبرى» (ص٩٩ ج٤ الجواب الصحيح).

وقال ابن تيمية على المعتزلة -رضى الله عنهم-: «والقول الثانى قول من يثبت معاد الأبدان فقط، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين، الجهمية والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة» (ص ٩٩ ج٤ الجواب الصحيح) ومن المعلوم أن المعتزلة يقولون فى المعاد بالأبدان والأرواح كأهل السنة سواء بسواء.

وابن قيم الجوزية نقل كشيخه ابن تيمية نقل فى كتابه (بدائع الفوائد ج٤) أن ابن جرير الطبرى -رضى الله عنه- يقول: إن محمدا ﷺ جالس بجوار الله على العرش. والجلوس يستلزم أن الجالس والمجلوس معه. هما معا فى جسمان منفصلان. والله قد نفى الجسمية عنه بقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقد نقل العلماء عن ابن جرير: أن الحنابلة فى بغداد كبسوا داره ورموه بمحابرهم وكانت ألوفا لأنه انكر حديث الجلوس على العرش. وابن القيم يقول: إن ابن جرير قال: إن محمدا يجلس بجوار الله على العرش. وهذا فى تحذير الخواص للسيوطى وغيره.

## الفصل الثامن

## فى

## الأرواح العالية والسافلة

**تمهيد:**

إذا كنت بين قوم قاسية قلوبهم، ورحمت الفقير والمسكين. فأنت بالرحمة هذه، تكون موصوفا بصفة الرحمة. ثم تسأل أنت نفسك هذا السؤال: ما هى الدوافع التى دفعتك إلى الرحمة؟ أو لماذا تميزت عن غيرك بهذه الصفة؟ يجيب أهل الكتاب بقولهم: إن هذا الذى رحم، وهذا الذى قسا، كلاهما فعل ما فعل، بدوافع من القلب ذاته، لا من قوة خارجية عنه. وذلك بأنه قد مر فكر على إنسان، حببه فى الرحمة، ومر فكر على إنسان آخر، حببه فى القسوة. ولما مر الفكر على المخ، دلف إلى القلب. ونتيجة الفكرة يعبر عنها بالصفة أو بالروح. فيقولون: إن روح الرحمة التى هى فيه، دفعته إلى الإحسان، وإن روح القسوة التى هى فيه، دفعته إلى القسوة. وليس للرحمة روح حقيقية، وإنما هو تشبيه للرحمة بإنسان، وحذف الإنسان ورمز إليه بشىء من لوازمه، وهو الروح. وهكذا فى روح القسوة.

وقد يكون جمع من الأصحاب فى مواجهة العدو، فيبرز منهم واحد، ويتقهقر الباقون. فيقال عن الذى برز: إن فيه روح شجاعة. يعنون أنه لما تميز عن غيره بصفة الشجاعة، كان هذا التميز بسبب أنه مر على مخه فكر، قوى عزيمته، وأوصله المخ إلى القلب. فحثه على الإقدام، ويقال عنه: إن فيه صفة الشجاعة، أو روح الشجاعة.

وإذا كان الإنسان مسرورا؛ فإنه يقال فيه: إن فيه روح السرور، وإذا كان يائسا يقال: إن به روح قنوط.

أى أن الحالة التى يكون عليها الإنسان؛ تكون هى صفته، ويعبر عنها: بروح الغضب أو الفرح أو القوة، وما شابه ذلك. وإذا كان مع الله فى هذه الحالة؛ يقال: إن فيه روح الله، وإذا كان مع الشيطان يقال: إن فيه روح الشيطان.

وإذا كان الإنسان مسرفا على نفسه فى المعاصى؛ يقال عنه إنه إنسان جسدى. أى يشبع رغبات الجسد، التى هى لذة المأكل والمشرب وحب التملك وحب النساء، وما شابه ذلك. وإذا كان الإنسان مجانبا للشهوات، يقال عنه: إنه إنسان روحى. أى يشبع رغبات الروح التى هى لذة الذكر والفكر والسعى فى الخيرات، والعمل من أجل الآخرة، وما شابه ذلك.

ويعبر أهل الكتاب عن الله بأنه «روح» يعنون به أنه ليس جسدا فلذلك لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتخذ صاحبة ولا ولدا. ويطلقون على الملائكة القابا منها أنها «أرواح» أى ليست أجسادا. ويطلقون على الشياطين نفس اللقب؛ لأنهم لا يرون الشياطين مثلهم.

ويطلقون على الله -عز وجل- صفات الإنسان. من المكر والغضب والنسيان والمجىء والذهاب. وما شابه ذلك؛ ليس لأنه جسم -حاشا وكلا- بل ليقربوا ذاته إلى عقول البشر. فقد كتبوا: «ورأى الله كل ما عمله؛ فإذا هو حسن جدا» (تك ١:٣١) ومن يرى أعماله الحسنة؛ فإنه يكون مشابها للإنسان فى الجسد والروح. وكتبوا: «ليس مثل الله» (تث ٢٦:٣٣) لينفوا الجسمية وما يستلزمها من الصفات. ثم تكلموا عن روح الله بما يشبه الكلام عن روح الإنسان؛ مبالغة فى تقريب ذات الله لعباده.

ومن ذلك: أنهم عقدوا مقارنة بين روح إنسان صالح وبين الله. فكتبوا: أن روح الله هى روح مقدسة، وهذا الإنسان لأنه ترك شهوة الجسد، ومال إلى إرضاء الروح، صارت فيه روح. لكن هذه الروح قد تكون روح شيطان من الشياطين متلبس به، وقد تكون روح ملاك يثبت هذا الإنسان على فعل الخير. فلذلك ميزوا بقولهم: هذا الإنسان فيه روح مقدس، وفيه روح نجس. وللمبالغة يقولون: هذا فيه الروح القدس، أو هذا فيه الروح النجس.

فداود عليه السلام قد ترك الشهوات الجسدية، ومال إلى الروحانيات، وسر بها سرورا عظيما. وخاف أن يغلبه الشيطان ويرده إلى شهوات الجسد التى لا يريدها. فلذلك صرخ إلى الله قائلا: «قلبا نقيا اخلق فى يا الله وروحا مستقيما جدد فى داخلى، لا تطرحنى من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه منى. رد لى بهجة خلاصك، وبروح منتدبة اعضدنى؛ فأعلم الأثمة طريقك، والخطاة إليك يرجعون» (مزمور: ١٥-١٢).



وإشعياء يقول عن بنى إسرائيل بعدما ذكرهم بنعم الله عليهم:

«ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه» (إش ٦٣:١٠) يقول: «أين الذى جعل فى وسطهم روح قدسه»؟ (إش ٦٣:١١) يعنى أنه أمدهم بمدد من عنده. وسترحم الله فيقول له: «تطلع من السماء؟ وانظر من مسكن قدسك ومجدك» (إش ٦٣:١٥).

**وبعد هذا التمهيد؛ نقول:**

إن كلمة «الروح» أصلها على الحقيقة «ريح» وهى فى العبرانية «رواه» وتأتى مجازا

بمعان كثيرة. ويضلل النصارى فى «ريح الله» بالياء، الواردة فى أول سفر التكوين فى قوله: «فى البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة، ورياح الله ترف على وجه المياه» يريد أن يقول: أنه فى وقت خراب الأرض، والظلمة وغزارة المياه، كانت الرياح على وجه المياه تهب على الأرض وفوق المياه، ليلا ونهارا. وهذا فهو تفسير اليهود، وهم يترجمون «ريح» لا «روح» وغرض النصارى من الترجمة بروح: هو إثبات انفصال أقنوم الروح القدس عن ذات الله تعالى. مع أنه لا يوجد أى نص فى التوراة يدل على أقنوم الروح القدس. وتوجد نصوص كثيرة على أن الله ليس جسما، وليس كمثله شىء، ولا يقدر أحد على رؤيته.

## والروح على الحقيقة:

فى اللغة العبرانية هى مشتقة من فعل بمعنى «تنفس» أو «نفخ» وقد ترجمت إلى «نسمة ريح» وإلى «ريح» وفى اللغة اليونانية تجد الكلمة «نيوما» المقابلة للروح؛ تترجم إلى «نفخة» وإلى «ريح».

ففى سفر التكوين: «وأجاز الله ريحا على الأرض؛ فهدأت المياه» (تك٨:١).

وفى سفر الخروج: «فجلب الرب على الأرض ريحا شرقية كل ذلك النهار، وكل الليل» (خر ١٠:١٣).

وفى إنجيل يوحنا: «الريح تهب حيث تشاء، وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب» (يو ٣:٨).

ويقول «بورتون» فى تعليقه على الرسالة إلى غلاطية: «إن الروح ترتبط بالحياة، ولكنها لا ترتبط بالضرورة بصورة مادية، ولذلك فالكتاب المقدس كثيرا ما يطلق كلمة «روح» على كائنات لا أجساد لها، ولكن لها توجه وهدف وقوة» أ.هـ

ثم ذكر أمثلة على كائنات روحية لا أجساد لها، منها:

(أ) الله روح. ولا جسد له (يو ٤:٢٤).

(ب) إن الله خلق أرواحا. ليس لها أجساد، ولها تأثير فى حياة البشر، فأيوب عليه السلام يقول: «فى الهواجس من رؤى الليل، عند وقوع سبات على الناس؛ أصابنى رعب ورعدة، فرجفت كل عظامى؛ فمرت روح على وجهى، أقشعر شعر جسدى. وقفت، ولكنى لم أعرف منظرها. شبه قدام عينى، سمعت صوتا منخفضا... إلخ» (أى ٤:١٣) وهذه الأرواح إما أن توحى إلى الناس خيرا، فينطقون به، وإما أن توحى إلى الناس شرا؛ فينطقون به.

فالمعلمون الكذبة يتبعون «أرواحا مضلة» (اتى ٤: ١) أى يتبعون الشياطين والمعلمون الصادقون يتبعون الملائكة:! «أليس جميعهم أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص؟» (عب ١: ١٤).

(ج) يقول بولس: إنه بعد خروج الروح من الجسد، لن تكون الروح عارية عن جسد. وذلك لأنها ستلبس جسدا سماويا - (٢ كو ٥: ١-٥).



والكلام فى «الروح» على المعنى المجازى، هو نفسه الكلام عن «الله وصفاته» على المعنى المجازى.

فقد قال علماء بنى إسرائيل عن الله: إنه لا مثل له، ولا شبه له، وليس جسما، ولا يقدر أحد أن يراه.

ثم قالوا: إن عقل الإنسان المحدود، لا يقدر على تصور الله، إلا إذا حدثه الله عن نفسه، كأنه إنسان.

ولكى يقرب ذاته إلى عقول الناس؛ نسب إلى ذاته صفاتهم، من المكر والخداع والنسيان والمجىء والنقلة والغضب والانتقام. وما شابه ذلك. لكن هو أعلى من ذلك وأجل.

وقال علماء من المسلمين بقولهم وهم يفسرون «ومكروا مكرا، ومكرنا مكرنا» - «يخادعون الله وهو خادعهم» - «نسوا الله فنسيهم» - «وجاء ربك» - «غضب الله عليهم» «ذو انتقام» فقد قالوا: إن الله يكلم البشر على طريقة مشاكلة فكره لفكرهم. أما هو فليس كمثله شىء. وهو السميع البصير.

والإنسان يحس من نفسه «روح الغضب» و «روح العبودية» و «روح الحكمة» و «روح الغيرة» ويحس من نفسه أنه يقدر على الكلام إذا كان حيا، ولا يقدر على الكلام إذا كان ميتا، ويفتقد روحه وهو نائم، ويجدها وهو مستيقظ. ولإحساسه هذا؛ ظن أن لجسده روحا منفصلة عن جسده. تأتى متى تشاء، وتفارق متى تشاء. وعبر عن إحساسه عن الروح، بتعبيرات تشبه الحالة التى هو فيها. فبدل أن يقول: صفتى الآن أنى غضبان، يقول: عندى الآن روح الغضب، وبدل أن يقول إننى الآن فى النزع الأخير، يقول: فى يد الله أستودع روحى. وقد عبرت التوراة عن «الروح» بما يألفه الناس عنها؛ لتقريب معانيها إلى عقولهم، كتقريب ذات الله وصفاته إلى عقولهم، بما يشاكل تفكيرهم. ومع هذا التقريب؛ نجد فيها النصوص المحكمة عن الروح، التى تدل على معنى واحد. ليرجع العلماء إليها

النصوص المتشابهة. ومثال ذلك: «كما وضع للناس أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة» (عب ٩:٢٧) وفى ترجمة أخرى: «وكما أنه كتب على الناس: أن يموتوا مرة واحدة، وبعد ذلك يوم الدينونة» وهذا نص محكم ينفى الحياة فى القبر للسؤال والنعيم أو العذاب. فإذا قال فى نص متشابه: «فى يديك أستودع روحى» إنه يحتمل معنيين أولهما: بقاء الروح فى يد الله، فيكون الله جسما، وتكون الروح جسما. وثانيهما: الكناية عن أنه يريد رحمة الله. والمعنى الثانى هو المراد؛ لأنه كتب على الناس أن يموتوا جسدا وروحا. ويظلون فى الرقاد إلى يوم الدينونة، ولأن الله تعالى منزه عن الجسمية؛ لقوله: «ليس مثل الله» (تث ٣٣:٢٦).



وبعدما بينا أن أصل «الروح» على الحقيقة: «ريح» وهو الهواء. نبين ورود الكلمة على المجاز.

أما عن أن الروح حياة الإنسان كما أنه بالهواء نحيا ونعيش. ففى التوراة تدل «روح» على أنها هى طاقة الحياة وأساس حياة الإنسان والحيوان (جا٣:٢١) والله هو الذى يعطى هذه الروح للإنسان (إش ٤٢:٥ و زك ١٢:١) والله هو الذى يحفظها (أى ١٠:١٢) وفى الحياة أو عند الموت، عندما تفارق الروح الجسد، يستودع الإنسان روحه فى يدى الله (مز ٣١:٥ جا ١٢:٧ لو ٢٣:٤٦).

كما أن روح الإنسان -بشكل ما- هى أيضا مصدر حيوية الإنسان ونشاطه جسديا ونفسيا. فيوصف إعياء الإنسان، أو خور قلبه، أو فتور عزيمته؛ بفقدانه للروح (يش ٥:١ و ١مل ١٠:٥ و مز ١٤٢و ١٤٣:٤ و ٧ وحز ٢١:٧). وعلى العكس؛ فإنه عند استعادة الإنسان لنشاطه يوصف بأنه قد انتعشت روحه، أو رجعت إليه روحه، أو عاشت فيه روحه (تك ٤٥:٢٧ قض ١٥:١٩ و أصم ٣٠:١٢) ولما أحيا المسيح بن مريم ﷺ ابنه يايروس من الموت، قال الإنجيل: «فرجعت روحها» (لو ٨:٥٥) كما يوصف تجديد الحياة فى علاقتها الصحيحة بالله؛ بأنه إعطاء روح جديد (حز١١:١٩ و ٣٦:٢٦، رو ٧:٦) بينما يوصف عمل نعمة الله المستمر بأنه إحياء «لروح المتضمعين» (إش ٥٧:١٥) وفى صحبة الإيمان تستريح روح المؤمن بأخيه (١كو ١٦:١٨، ٧٢:١٢).

إذا صار الإنسان تائبا وصالحا، يقال: إن جسده مقدس، وروحه مقدسة (١ كو٧:٣٤) أى أن الجسد شىء، والروح منفصلة عنه -أى فى نظر الناس-. والجسد هو الصورة الخارجية، والروح هى الشخص الحقيقى. هى الذات الداخلية. وفى هذا المعنى يقول يعقوب: «الجسد بدون روح؛ ميت» (يع ٢:٢٦).

وقال بولس: «إن الذين هم حسب الجسد يهتمون، ولكن الذين حسب الروح، فبما للروح؛ لأن اهتمام الجسد هو موت، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام؛ لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله. إذ ليس هو خاضعا لناموس الله... إلخ» (رو ٨:٥ – ).

وقال بولس: «إن كنا نعيش بالروح؛ فلنسلك أيضا بحسب الروح» (غل٥:٢٥).

يريد أن يقول: إن التمييز بين الجسد والروح، هو تمييز من الإنسان، ليفعل ما يشاء، بدون تدخل من الله فى إرادته لأنه أعطاه الحرية ومكنه من الفعل أو الترك؛ ليختار بإرادته إما حاجات الجسد، وإما حاجات الروح.

وقد جاء فى سفر إشعياء ٢٦:٩ إن الروح والنفس مترادفتان. وفى إش ٥٧:١٥ و دا ٥:٢٠ نجد كلمة روح، وقلب مترادفتين.

وجاءت كلمة الروح عن الإنسان لتدل على صفته. فهى «تتنبه» (١:١ و٥) و «تنزعج» (تك ٤١:٨) و «تبتهج» (لو ١:٤٧) و «تنسحق» أو «تصغر» (خر ٦:٩) كما أن «الروح نشيط» (مت ٢٦:٤١) والروح «تقسى» (تث ٢:٣٠) وقد يكون الإنسان طويل الروح أو متكبر الروح (جا ٧:٨) أو «مسكينا بالروح» (تث ٥:٣) ويلزم أن يكون للإنسان سلطان على روحه (أم ٢٥:٢٨) وروح الإنسان هى التى تسعى نحو الله، وتبكر إليه (إش ٢٦:٩) وروح الله الساكن فى المؤمن، هو الذى يشهد لروح المؤمن (رو ٨:١٦).

وإذا كان الإنسان متأسيا بغيره، ويفعل فعله، يقال: إن فيه روح قدس المقتدى به، مثل روح موسى (عد ١١:١٧ و ٢٥) أو روح إلياس (٢مل ٢:٩ و ١٥) وإذا كان الإنسان مغلوبا على أمره، ويفعل كما يفعل العالم، يقال إن روح العالم مسيطرة عليه (١ كو ٢:١٢).

ويحسب تغير مزاج الإنسان؛ يعبر عن كل مزاج بالروح المناسبة له. فيقال: «روح متشامخة» أو «روح متواضعة» (أم ١٦:١٨ و ١٩) أو «روح غيرة» (عد ٥:١٤) أو «روح عبودية» (رو ٨:١٥) أو «روح سبات» (رو ١١:٨) أو «روح حكمة» (تث ٣٤:٩).

ويحسب عمل الإنسان، يعبر عن العمل الذى يشتهر به، بروح العمل. ومثاله: «شعبى يسأل خشبة، وعصاه تخبره؛ لأن روح الزنى قد أضلهم؛ فزنوا من تحت إلههم» (هوشع ٤:١٢) يقصد بروح الزنى؛ شهوة الزنى، لا أن الزنى له روح. وعلى العكس يقال للمبتعد عن الزنى بأن فيه «روحا فاضلة» (دار ٦: ) ويقال لكابح شهواته: إنه مالك نفسه. ومثاله: «البطىء الغضب خير من الجبار، ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة» (أم ١٦:٣٢) ويقال للمستهتر بنفسه: «مدينة منهدمة بلا سور؛ الرجل الذى ليس له سلطان على روحه»

(أم٢٥: ٢٨) وكانت امرأة مشهورة بالعرافة والتنجيم؛ فقالوا: إن بها «روح عرافة» (أعمال ١٦: ١٦). وتعبر التوراة عن سكان مدينة بأسرها بروح المدينة. ففيها عن مصر: «وتهراق روح مصر داخلها» (إش ١٦: ٣) فقد جعل لمصر روحاً. ويعبر الإنجيل عن المجد: «روح المجد والله يحل عليكم» (١بط ٤: ١٤).



### التوفيق من الله بواسطة الروح، والخذلان بواسطة الروح

وإذا اختار الإنسان طريق الخير؛ يرسل الله روحا، ليلهمه الخير، ويقويه. وإذا اختار طريق الشر؛ فلاختياره يرسل الله روحا؛ ليلهمه الشر، ويقويه. ففرعون مصر لما استهزأ ببنى إسرائيل وقتل أولادهم واستحيا نساءهم؛ شدد الله قلبه، وتركه للشيطان؛ ليلهمه فعل الشر.

ولو أنه اختار الهدى كما اختاره موسى عليه السلام، لأرسل إليه روحا من عنده؛ ليلهمه فعل الخير.

وفى هذا المعنى يقول تعالى فى القرآن الكريم. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ (التوبة: ١١٥).



### وقد علم الله علماء بنى إسرائيل هذا المعنى بطريقة التمثيل.

ففى آخر سفر الملوك الأول، وفى الإصحاح الثامن عشر من سفر الأخبار الثانى:

أن بنى إسرائيل كانوا مملكتين. مملكة تسمى مملكة يهوذا – أى اليهود العبرانيين – ومملكة تسمى إسرائيل – أى اليهود السامريين – وكان ملك يهوذا، واسمه «يهوشافاط» صهرا لملك إسرائيل واسمه «أخئاب» وكان ملك إسرائيل يطمع وحده فى الاستيلاء على مملكة «راموت جلعاد» فلذلك طلب من «يهوشافاط» أن يساعده فى الاستيلاء عليها. ورد عليه بقوله: اجمع الأنبياء واستفسر منهم عن عون الله لنا فى هذه المعركة. فجمع نحو أربعمائة واستفسر منهم فأفادوه بأن الله سينصرهما فى الحرب. فقال يهوشافاط: أما يوجد هنا بعد نبى لرب، فنسأل عنه؟ فقا أخئاب هنا «ميخا بن يملة» وهو لا يتنبأ لى بخير. فقال له: أرسل إليه. ولما أتى إلى الملك أخبر بأن ملك إسرائيل سيقتل فى هذه المعركة. وشرح كلام الرب هكذا:

«قد رأيت الرب جالسا على كرسيه، وكل جند السماء وقوف لديه. عن يمينه وعن يساره. فقال الرب: من يغوى أخئاب: فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد؟ فقال: هذا هكذا، وقال ذاك هكذا. ثم خرج الروح ووقف أمام الرب، وقال: أنا أغويه. وقال له الرب: بماذا؟ فقال: أخرج وأكون روح كذب فى أفواه جميع أنبيائه. فقال: إنك تغويه وتقتدر؛ فاخرج وافعل هكذا. والآن هو ذا قد جعل الرب روح كذب فى أفواه جميع أنبيائك هؤلاء، والرب تكلم عليك بشر» (١ مل ٢٢:١٩- ).

وفى الأخبار الثانى: «فقال: أخرج، وأكون لروح كذب، فى أفواه جميع أنبيائه» (٢ أك ٢١١٨).

وموضع الشاهد فى هذا النص هو ١- أن الله طلب من ملائكته - وهم أرواح - أن يغووا أخئاب. ٢- وأن الروح وقف أمام الرب. ٣- وأن الروح أغوى أنبياء أخئاب بإذن من الله.

**وكل هذا على سبيل التمثيل.**

فلماذا طلب غواية أخئاب؟ لأنه عصى الله تعالى، وفضل سماع الكذب على سماع الصدق. وكيف رأى الله؟ هل فى المنام أم فى اليقظة؟ إنه يخبر عن مرأى النبوة. وهى حالة بين النائم واليقظان، شبه حالة المصروع. وذلك لأن موسى ﷺ أخبر بأن الله لا يرى، ولا يقدر أحد أن يراه. وأخبر أن الله فى كل مكان. وأنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، لا بجسمه، ولكن بنصره وتأييده.

ففى التوراة: «رب الجنود معنا» (مز ٤٦:٧) «كفوا واعلموا: أنى أنا الله. أتعالى بين الأمم، أتعالى فى الأرض. رب الجنود معنا» (مز٤٦:١٠-١١).

ويقول عيسى ﷺ: «والذى أرسلنى هو معى» (يوحنا ٨:٢٩).

ويقول بولس: «إن كان الله معنا. فمن علينا؟» (رومية ٨:٣١).

وقال الله لموسى ﷺ: «لا تقدر أن ترى وجهى؛ لأن الإنسان لا يرانى ويعيش» (خروج ٣٣:٢٠) ويقول إرمياء عن الله: «العلى إله من قريب، يقول الرب، ولست إلها من بعيد؟ إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة، أفما أراه أنا؟ يقول الرب. أما أملأ أنا السموات والأرض؟ يقول الرب» (إر ٢٣:٢٣).

وهل هذا الروح روح الذات الإلهية، أو ملاك من ملائكة الله؟ لا يمكن أن يكون هو روح الذات الإلهية؛ لأن الله ليس جسما؛ لقوله: «ليس مثل الله».

وهل هذا الروح، من الأرواح المقدسة، أم من الأرواح النجسة؟ إنه إن كان من الأرواح المقدسة؛ فإنه يطلق عليه «روح قدس» لا «الروح القدس» وإن كان من الأرواح النجسة؛ فإنه يطلق عليه «روح نجس» لا «الروح النجس».

**إطلاق «روح القدس» على كل يهودى أو نصرانى**

وفى كتب أهل الكتاب: أن كل اليهود والنصارى مقدسون من الله، جسدا وروحا. وذلك لأن الله خاطبهم بقوله: «وتكونون أناسا مقدسين» (خر٢٢:٣١) أى تعملون بأحكامى.

واعترفوا: «أن كل الجماعة بأسرها مقدسة» (عد١٦:٣) أى عاملة بالأحكام الشرعية.

وفى التوراة: أن كل اليهود والنصارى «آلهة» أى سادة. فقد خاطبهم الله بقوله: «أنا قلت: إنكم آلهة، وبنو العلى كلكم» (مز ٨٢:٦) وقال «نبوخذ ناصر» للنبى المعظم دانيال: «إنى أعلم أن فيك روح الآلهة القدوسين» (دا ٤:١) وقال بولس: إن المسيح فيه «روح القداسة» (رو ١:٤) وقال إشعياء: إن الله فيه روح مقدسة، وأن اليهود «تمردوا، وأحزنوا روح قدسه» (إش ٦٣:١٠) يعنى أنهم لما أهملوا أحكام الله، غضب عليهم. وعبر بروح قدسه على طريقة المشاكلة. فإنه شبه الله بإنسان - وما هو بإنسان - ليقدر البشر على تصور ذاته، وجعل له جسدا مقدسا وروحا مقدسا. شبه الإنسان. وصرح فى نفس السفر بأن الله لا مثل له. فقال: «اذكروا الأوليات منذ القديم؛ لأنى أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلى» (إش ٤٦:٩) وقال: «حقا. أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص» (إش ٤٥:١٥).

وقال موسى عليه السلام عن النبى محمد الأمى الآتى على مثاله: إن أصحابه قديسون وهم لا يخرجون عن طاعته «جميع قديسيه فى يدك. وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» (تث ٣٣:٣) وفى الإنجيل عن الأنبياء: «أنبيائه القديسين» (لو ١:٧٠) وساوى داود بين الله، وبين الطاهرين من عباده فكتب: «الرب إلهنا قدوس» (مز ٩٩:٩) «وهرون قدوس الرب» (مز ١٠٦:١٦).

والرجل الطاهر، يطلب من الله أن لا ينزع روحه القدوس منه؛ فداود -عليه السلام- يقول: «وروحك القدوس لا تنزعه منى» (مز ٥١:١١).

وأطلق النبى حبقوق على محمد رسول الله ﷺ لقب «قدوس» بلسان قومه، فقال: «والقدوس من جبل فاران» (حب٣:٣).

وقال إرمياء: إن الله قدس النبى الأمى الآتى على مثال موسى، من قبل أن يظهره

فى الحياة الدنيا. ففى الإصحاح الأول: «قبلما صورتك فى البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبيا للشعوب... لأنك إلى كل من أرسلك إليه؛ تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به. لا تخف من وجوههم؛ لأنى أنا معك؛ لأنقذك. يقول الرب. ومد الرب يده ولمس فمى، وقال الرب لى: ها قد جعلت كلامى فى فمك. انظر. قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك؛ لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس» (إر ١:٤-١٠).

انظر إلى قوله: «جعلتك نبيا للشعوب» وانظر فى دعوى اليهود من سبى بابل؛ أن دعوتهم خاصة بهم. تجد أن إرمياء يتكلم عن غيره. وهو النبى الأمى الآتى رحمة للناس جميعا. وقد لمح إليه بتعبيرات موسى عنه. وهى «قد جعلت كلامى فى فمك» (تث ١٨:١٥-٢٢) وبين أنه محارب ومنتصر، وأنه سيملك على جميع الأمم والشعوب. كما قال موسى فى أوصافه. وإرمياء لم يحارب ولم يملك، ولم يكن نبيا أميا.



ويعبر عن «روح الله» بتعبيرات تدل على صفات تليق بذاته المقدسة. ومثال ذلك: «روحك الصالح يهدينى» (مز ١٤٣:١٠).

وإذا كان جسد اليهودى والنصرانى مقدسا - كما هو مكتوب - إذا عمل بالشريعة، فإن روحه تكون مقدسة. أى «روح قدسى» وقد عبر بولس عن هذا المعنى فقال: «لتكون مقدسة جسدا وروحا» (١كو ٧:٣٤).

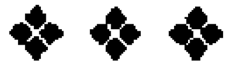
وتعبير «روح القدس» يختلف عن تعبير «الروح القدس» وتعبير «ابن» يختلف عن تعبير «الابن» وتعبير «مسيح» يختلف عن تعبير «المسيح» وقد وضح المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هذا المعنى فقال: إن الذين يقبلون كلامى، ويؤدون شهادتى عن محمد ﷺ الذى لقبه دانيئال بلقب «ابن الإنسان» إلى جميع الأمم والملوك؛ لا يخافون وهم ينطقون أمامهم بكلامى الذى سمعوه منى، عنه. وذلك لأن الله سيضع روحه فيهم. وروحه هو الذى سيتكلم من داخل أجسادهم. يقول عيسى عليه السلام للحواريين: «ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب. فكونوا حكماء كالحيات، وبسطاء كالحمام. ولكن احذروا من الناس؛ لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس، وفى مجامعهم يجلدونكم، وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى؛ شهادة لهم وللأمم. فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون؛ لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم، وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت، والأب ولده. ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم، وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى. ولكن الذى يصبر إلى المنتهى؛ فهذا يخلص. ومتى طردوكم فى هذه المدينة،

فاهربوا إلى الأخرى. فإنى الحق أقول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان» (متى ١٠:١٦-٢٣).

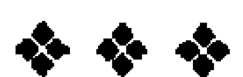
من الذى سيتكلم فيهم؟ إنه روح الله. وهل التعبير حقيقى أم مجازى؟ لا يمكن أن يكون حقيقيا؛ لاستحالة الجسمية والمكانية عن الله تعالى. وقد عبر لوقا عن «روح الله» بقوله: «ومتى قدموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين؛ فلا تهتموا كيف أو بما تحتجون أو بما تقولون. لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ما يجب أن تقولوه» (لو ١٢:١١-١٢) أى الله يلهمكم بالصواب، ويقوى قلوبكم.

وقال إشعياء عن محمد رسول الله ﷺ على لسان الله تعالى: «هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سرت به نفسى. وضعت روحى عليه؛ فيخرج الحق للأمم» (إش ٤٢:١).

كيف وضع الله روحه عليه؟ هل التعبير حقيقى أم مجازى؟ لا يمكن أن يكون حقيقيا. لأن الله لو وضع روحه على جسده، كما يضع الإنسان حملا على دابة. لصار الله بلا روح، وصار محمد بروحين اثنين. روح فى داخل جسده. وروح يحملها على منكبيه. وهذا لا يقول به عاقل.



وعلى ما ذكرنا. لا يوصف «الروح القدس» فى التوراة وفى الإنجيل؛ بأنه «أقنوم» من الأقانيم التى يدعيها النصارى. وإنما يوصف بأنه ملهم ومؤيد ومقوى ومعلم. وعلى ذلك فدعوى النصارى بأنه أقنوم إلهى، هى دعوى باطلة.



**وفى كتب النصارى ما نصه:**

«أما من جهة الإنسان، فالله جبله ترابا من الأرض، و «نفخ فى أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية» (تك ٢:٧)، فروح الله هو مصدر كل القوى الفريدة التى يملكها الإنسان، فروح الله أو نسمة القدير، هو مصدر عقل الإنسان (أيوب ٣٢:٨)، أو مصدر بصيرته ومواهبه (تك ٤١:٣٨، خر ٢٨:٣)، ومهاراته الفنية كما فى حالة بصلئيل (خر ٣٦)، وحنكته الحربية كما فى يشوع (تث ٣٤:٩)، والبطولة كما بدت فى القضاة (قض ١٣:٥)، والحكمة كما فى سليمان (١مل ٣:٢٨)، وبصيرته الدينية والأدبية كما تبدو فى الإيحاء للشعراء والأنبياء (عدد ١١: ١٧ و ١٥ و٢٩، ٢ صم ٢٣:٢، ١ مل ٢٢:٢٤، حز ١١:٥، دانيال

٨:٤ و٩) وفى طهارته كما تبدو فى قوة البار وتوبته (نح ٩:١٠، مز ١١:٥١، إش ٦٣:١٠، حز ٢٦:٣٦، زك ١٢:١٠).

**وعمله فى الخلاص:** نرى أنه منذ زمن مبكر، منذ عصر القضاة، كان روح الرب هو العامل فى خلاص شعبه، فبدون إعداد سابق، حرك روح الرب أفرادًا مغمورين، وأعانهم على القيام بأعمال رائعة من أعمال البطولة الفذة، فخلصوا إسرائيل من أعدائهم (قض ١٠:٢، ٢٩:١١، ٦:١٤، ١صم ٦:١١).

ولم يكن روح الرب يحل على القضاة والملوك لخلاص شعبه فحسب، بل كان هو العامل فى الرائين والأنبياء، الذين كانوا ينقلون إرادة الله إلى الشعب، وعن طريقهم وصلت لإسرائيل رسائل الله سواء للإدانة أو للخلاص (٢صم ٢:٢٢، حز ٢:٢، ١٢:٣ و ١٤، ميخا ٨:٣، مع ملاحظة تلك العبارة التى تتكرر كثيرًا فى نبوة إشعياء، ونبوة إرميا: «هكذا يقول الرب»).

ولم يكن الملوك – رغم أنهم كانوا ممسحوين من الله – أمناء دائمًا أو قادرين على حفظ السلام والعدالة فى إسرائيل. وقد وجد الأنبياء الشعب صلب الرقاب غير مستعدين للسمع (إرميا ١٩:١٧-٢٣)، وشكوا من أنه لا أحد يؤمن برسالتهم (إش ١:٥٣)، فكان لا بد لإتمام قصد الله فى الخلاص، أن يوجد شخص يجمع فى شخصه النبى والكاهن والملك، وممسوح بروح القدس بصورة فريدة، وهو «المسيا»، أو المسيح الفريد (إش ١:١١)، الذى ستكون له كل مواهب الروح القدس فى كمال ملئها (إش ٢:١١، ١:٤٢، ١:٦١)، وهكذا كان المسيح النبى المثالى، والملك المثالى، لأنه مسح بالروح القدس بلا حدود.

ويتنبأ العهد القديم بأنه عند مجىء المسيا، سينسكب الروح القدسى على كل بشر مثل المطر الذى يحيى الأرض (إش ١٥:٣٢) ونسمة الحياة التى تحيى العظام اليابسة (حز ٣٧) وسيغير انسكاب الروح القدس قلوب الناس، فيجعلهم يسمعون صوت الله ويطيعون كلمته على الفور (إش ٢١:٥٩، مز ١٠:١٤٣) أ.هـ

**انتهى كلامهم بنصه:**

وهم يعنون بالمسيا: عيسى -عليه السلام-.

وقد بينا أنه هو محمد -صلى الله عليه وسلم-.

# الروح القدس
# فى
# الأناجيل

الكلمة اليونانية المستخدمة للدلالة على «الروح» هى «نيوما» المشتقة من الفعل «نيو» بمعنى «يتنفس» أو (ينفخ) فهى تطابق كلمة «ريح» فى التوراة على الحقيقة. وتأتى مجازا بنفس المعانى التى وردت بها فى التوراة.

وفى تبشير عيسى ﷺ بمحمد ﷺ. وصفه بروح الحق، وبالروح القدس. أي النبى الكامل فى الطهر والصلاح. فقال: إنه «روح الحق» وقال: إنه «الروح القدس» وقال: إن اسمه «بيراكليت» أى «أحمد» ووصف (بيراكليت) بالروح القدس. وذلك ليبين لقومه بلسانهم: أنه سيستمد قوته من الله تعالى، لا من الشيطان الرجيم.

وابتدأ حديثه عنه بقوله للحواريين: «إن كنتم تحبوننى؛ فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الآب؛ فيعطيكم معزيا آخر؛ ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله؛ لأنه لا يراه، ولا يعرفه...

والكلام الذى تسمعونه ليس لى، بل للآب الذى أرسلنى. بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزى الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شىء، ويذكركم بكل ما قلته لكم...

ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق؛ فهو يشهد لى، وتشهدون أنتم أيضا؛ لأنكم معى من الابتداء...

قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا، سيخرجونكم من المجامع، بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله. وسيفعلون هذا بكم؛ لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى. لكنى قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم. ولم أقل لكم من البداية، لأنى كنت معكم، وأما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى، وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى؟ لكن لأنى قلت لكم هذا، قد ملأ الحزن قلوبكم. لكنى أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق، لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة. أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى. وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى، ولا تروننى أيضًا. وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين» أ.هـ (يوحنا ١٤:١٥– ).

## تضليل النصارى فى البيراكليت

وقال النصارى: إن «بيراكليت» كلمة عبرانية معناها «أحمد» وهى فى اليونانية «بيراكليتوس».

وقال النصارى: إن المسيح نطق «باراكليت» وهى تفسر بالنائب عن المسيح. والنائب عن المسيح موصوف بالروح القدس. وتسألهم من هو هذا الآتى نائبا عن المسيح؟ فيقولون: إنه «الروح القدس» وتسألهم: وما حقيقة هذا الروح؟ فيقولون: إنه أقنوم الروح القدس. وتسألهم عن ماهية الروح القدس. فيقول الأرثوذكس منهم: إنه هو الله رب العالمين. ويقول الكاثوليك والبروتستانت: إنه إله مستقل بذاته عن الإله الابن والإله الآب -الذى هو الله- ويقولون جميعا: إنه نزل إلى الأرض فى يوم الخمسين، وبلبل ألسنة الحواريين، وصعد إلى السماء. مع قولهم: إن المعزى هو صاحب ملكوت السموات، ولم يظهر الملكوت. وسينزل المسيح ثانية لإقامته. وما فائدة نزوله فى يوم الخمسين؟

وهل أقنوم الروح القدس اسمه «أحمد»؟ وذلك لأن الروح القدس لقب لأحمد.

كل ذلك ليلغوا فى نبوة محمد ﷺ وقد رددنا عليهم.

## الأرواح الشريرة
## (أرواح شياطين، أو أرواح نجسة)

**فى رسالة لبطرس:**

أن الله تعالى لم يشفق على مخلوقات روحية خلقها، قد أخطأوا. يقول: «الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل فى سلاسل الظلام طرحهم في جهنم. وسلمهم محروسين للقضاء» (٢ بط ٢:٤) ويقول يهوذا: «الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم، بل تركوا مسكنهم؛ حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم، بقيود أبديه تحت الظلام» (يهوذا ٦).

يقول بعض المفسرين منهم: «ويظن بعض العلماء: أن هذه السلاسل والقيود ما هى إلا ألفاظ مجازية يقصد بها أن هذه الكائنات مقيدة فى دائرة نشاطها بقوة الله».

وذلك مثل تصفيد الشياطين، فى شهر رمضان المعظم، عندنا نحن المسلمين كناية عن تقييد نشاطها بقوة الصيام؛ فإنه يمنع من الشهوات.

وفى بعض كتب النصارى ما نصه:

«والشياطين - بدون شك - كائنات حقيقية لها شخصياتها، ومعرفتها بالله

وبالناس (أع ١٩ :١٥، يع ٢ :١٩)، وتعمل فى دائرة الروح أو دائرة الغيب، فهى أجناد شر روحية (أف ٦ :١٢)، ولكنها ترغب فى سكنى أجساد الناس أو الحيوانات (مت ٨ :٢٨-٣٢)، ولها قدرة على غزو أفكار الناس أو التأثير عليهم ليتبعوا تعاليم كاذبة (١ تى ٤ :١، يع ٣ :١٥، ١ يو ٤ :١-٦)، فهى فى الواقع تتصل بنفوس الناس الذين يستمعون لها.

ونعرف من العهد القديم أن الأرواح الشريرة تملك شيئًا من الحرية فى تجربة الناس وامتحانهم، كما نرى فى قصة أيوب (أيوب ١، ٢)، ولكنها تظل على الدوام تحت سلطان الله الذى يستخدم نشاطها أو يسمح به لمعاقبة الناس على خطاياهم (١صم ١٦ :١٤- ٢٣، ١٨ :١٠، ١٩ :٩، ١ مل ٢٢ :٢١-٢٣). وكانت هذه الأرواح الشريرة أو الشياطين وراء آلهة الكنعانيين (أى أصنامهم) التى كانت شركا لبنى إسرائيل (تث ٣٢ :١٧، مز ١٠٦ : ٣٧، انظر أيضا ١كو ١٠ :٢٠و ٢١، رؤ ٩ :٢٠). وكانت إحدى صور هذه العبادة الوثنية تقديم الذبائح «للتيوس» أو «للشياطين» - كما جاءت فى الترجمة السبعينية - (لا ١٧ : ٧، ٢ أخ١١ : ١٥- انظر أيضا مز ٩٦ :٥).

وكثيرًا ما نقرأ فى العهد الجديد عن أرواح شريرة كانت تسكن فى الناس، وكان الرب يسوع يخرجها منهم (انظر مثلا مت ٤ :٢٤، ٨ :١٦، ٩ :٣٣، ١٥ :٢٢إلخ). وكان يمكن لمجموعة من الشياطين أن تسكن فى إنسان واحد مثل مجنون كورة الجدريين الذى كان به «لجئون» أى فرقة (مرقس ٥ :١-١٧، لو ٨ :٣٠-٣٦)، ومريم المجدلية التى كان بها سبعة شياطين (لو ٩ :٢). وهذه الأرواح هى أرواح نجسة طقسيا وأدبيا وروحيا (لو ٤ :٣٣ - ٣٦، ٦ :١٨، ٨ :٢٧ - ٢٩، ٩ :٤٢، ١١ :٢٤ - ٢٦).

وقد أعطى الرب يسوع التلاميذ سلطانا وأرسلهم ليشفوا مرضى ويطهروا برصا ويقيموا موتى ويخرجوا شياطين (مت ١٠ :٨، لو ٩ :١، ١٠ :١٧-٢٠). وحدث مرة: أن عجز بعضهم عن إخراج نوع من الشياطين، فقال لهم الرب يسوع إن هذا الجنس من الشياطين لا يخرج إلا بالصلاة والصوم (مرقس ٩ :١٤-٢٩). كما أخرج الرسل الأرواح الشريرة باسم يسوع (أع ١٦ :١٦ - ١٨، ١٩ : ١٢- ١٧).

(انتهى كلامهم بنصه).

---



## الفصل التاسع

# فى
# الأيام الأخيرة عند أهل الكتاب

**تمهيد:**

لغة التوراة لا يعرفها من علماء بنى إسرائيل إلا الراسخون فى العلم منهم. وذلك لأن كتاب التوراة فى «بابل» كتبوها على طريقة لبس الحق بالباطل، وتحريف الكلم من بعد مواضعه. ومثال ذلك:

**المثال الأول:**

أن الله تعالى قال لإبراهيم ﷺ: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢:٣) والبركة هى: أن يقوم نسله بالسير أمام الله، لدعوة الناس إلى دينه. وأن يملكوا على الأمم والشعوب ليحكموا بينهم بشرع الله. والبركة فى نسل إبراهيم محصورة فى نسل إسماعيل وإسحق. لقوله: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك» أى أتمنى أن يكون نسل إسماعيل سائرا أمامك لدعوة الناس إلى دينك، وأن يملك على الأمم والشعوب للحكم بشرع الله. ورد الله بقوله: «وأما إسماعيل، فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» أى منحته نبوة وملكا. وقال عن إسحق مثل قوله عن إسماعيل سواء بسواء. قال عن سارة: «وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون» واصطفى الله من إسحق نسل يعقوب ابنه. فصار نسل يعقوب -الذى هو إسرائيل- هو المقابل لنسل إسماعيل، فى بركة إبراهيم ﷺ.

وكاتب التوراة ألغز المعنى بقوله: لكن العهد بالنبوة فى إسحق وحده: «ولكن عهدى أقيمه مع إسحق» وبذلك صرح للأميين بحرمان إسماعيل من النبوة، لا من الملك. أى لا يسير نسله أمام الله. وصرح للعلماء بعدم حرمان إسماعيل من النبوة والملك. بقوله: إن إسماعيل مبارك فيه. أى سيسير نسله أمام الله تعالى، بشريعة، ينزلها على رجل منهم.

فقد كتب لهم: أن الله قال لإبراهيم: «أما أنا فهو ذا عهدى معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم. فلا يدعى اسمك بعد أبرام، بل يكون اسمك إبراهيم. لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرًا جدا، وأجعلك أمما. وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا. لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك» (تك ١٧:٣-٧).

ففى هذا النص: تصريح بأن العهد فى عموم نسل إبراهيم.

وقال الكاتب: إن إسماعيل من نسل إبراهيم. لقوله: «لأنه بإسحق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك».



**وقال كاتب التوراة: إن العهد بإسحق وحده؛ كلام باطل.** بدليل ثبوت حق الإرث لإسماعيل فى أبيه. وبيان ذلك:

أن شريعة قوم إبراهيم كانت تقرر: أن المرأة الحرة إذا وهبت جاريتها لزوجها من أجل أن ينجب منها نسلا. فإن النسل يكون للحرة ولا يكون للجارية. أى أن الحرة تكون هى الأم للولد. وإذا ولدت الحرة ولدا؛ فإنه يكون أخا لابن الجارية. ويرث مثله فى أبيه وأمه.

وكانوا يكتبون فى عقد الزوجية بأنه فى حالة عقم الزوجة: يجب عليها أن توفر لزوجها خادمة، تلد له بنين(١).

وقد نصت التوراة على ذلك. ففى الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين: «فقالت ساراى لأبرام: هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة. ادخل على جاريتى. لعلى أرزق منها بنين» (تك ١٦:٢) لاحظ: قوله: «لعلى أرزق منها بين» أى أن هاجر لما ولدت إسماعيل؛ فإن إسماعيل صار ابن سارة لا ابن هاجر. وفى الإصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين: أن سارة قالت لإبراهيم: «اطرد هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحق» لماذا طلبت سارة هذا الطلب؟ إنها تعلم أن إسماعيل ابنها، وتعلم أن الابن وارث. فلماذا تطلب حرمان ابنها من الميراث؟ الحق أنها لم تطلب. وقد قال الكاتب: إنها طلبت؛ ليظهر أن العهد فى إسحق وحده؛ موضوع للأميين فقط. وأكد على أنه موضوع للأميين بقوله: إن إسماعيل وإسحق هما ولدا إبراهيم وسارة، وهما اللذان حضرا دفن إبراهيم، وقاما من بعده بالسير أمام الله «لأنه بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» - «ودفنه إسحق وإسماعيل ابناه».

وليست سارة وحدها هى التى صار لها ابن من الجارية؛ فإن راحيل امرأة يعقوب ﷺ قالت له: «هو ذا جاريتى بلهة. ادخل عليها؛ فتلد على ركبتى، وأرزق أنا أيضا منها بنين» (تك ٣٠:٣) وقد ولدت بلهة ولدين هما: دان، ونفتالى. وهما ينسبان بحسب الشريعة

(١) قانون حمورابى، وألواح نوزى.

إلى راحيل، لا إلى بلهة. وكذلك ليئة أخت راحيل امرأة يعقوب ﷺ. فإنها لما توقفت عن الولادة، أخذت «زلفة» جاريتها، وأعطتها ليعقوب زوجة؛ فولدت له: جاد، وأشير، وينسبان - بحسب الشريعة - إلى ليئة، لا إلى زلفة. والكل قد ورث في يعقوب.

**المثال الثاني:**

قال كاتب التوراة: إن «آخر الأيام» تعبير يعنى: آخر أيام بركة إسحق، وأول بركة إسماعيل.

وذلك فى قوله: «ودعا يعقوب بنيه، وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام» ثم قال: إن الملك والشريعة سيظلان مع بنى إسرائيل إلى أن يأتى «شيلون» من غير أبنائهم. ذلك قوله: «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون. وله يكون خضوع شعوب» (تك ٤٩:١) وقد ترجم «شيلون» بالذى هو له. أى النبى المنتظر، الملقب بلقب «المسيا» أو «المسيح الرئيس».

وهذا نص فى مجىء محمد رسول الله ﷺ الذى تبدأ من مجيئه بركة إسماعيل فى الأمم. وبعدما قال الكاتب هذا الكلام الواضح معناه للراسخين فى العلم، قال للأميين: إن النبى الآتى سيكون من بنى إسرائيل، لا من بنى إسماعيل. على طريقة لبس الحق بالباطل. وكتب هكذا:

إن بلعام بن بعور، أوحى الله إليه أن يقول لبالاق بن صفور ملك موآب: «هلم أنبئك بما يفعله هذا الشعب بشعبك فى آخر الأيام» ما المراد بآخر الأيام؟

ثم قال لبالاق إنه فى آخر أيام بركة بنى إسرائيل؛ سيظهر نبى أمى مماثل لموسى سيحارب أمم الكفر، وسينتصر عليهم، وسيملك على بلادهم. فمن هو هذا النبى الأمى؟ إن الراسخين فى العلم منهم يعلمون أنه محمد رسول الله ﷺ لقول يعقوب عنه: «آخر الأيام» و «حتى يأتى شيلون» لينزع الملك والنبوة من بنى إسرائيل. والكاتب فى هذا الوضع لبس الحق بالباطل. فقال: إن النبى الأمى الآتى، سيكون من بنى إسرائيل. كيف وقد قال سابقا: إن لإسماعيل بركة؟

قال الكاتب: «ثم نطق بمثله، وقال: وحى بلعام بن بعور. وحى الرجل المفتوح العينين. وحى الذى يسمع أقوال الله، ويعرف معرفة العلى. الذى يرى رؤيا القدير ساقطا. وهو مكشوف العينين: أراه ولكن ليس الآن، أبصره ولكن ليس قريبا. يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل؛ فيحطم طرفى موآب، ويهلك كل بنى الوغى، ويكون أدوم ميراثا،

ويكون سعير أعداؤه ميراثا. ويصنع إسرائيل ببأس، ويتسلط الذى من يعقوب، ويهلك الشارد من مدينة» (عدد ٢٤:١٥-١٩).

**وفى ترجمة اليسوعيين، وفى تعليقاتهم عليها:**

«وقال: كلام بلعام بن بعور، كلام الرجل المغلق العينين. كلام السامع أقوال الله، والعارف معرفة العلى، والناظر مناظر القدير، الذى يقع، فتفتح عيناه؛ أراه وليس حاضرا، أبصره وليس بقريب. يسعى كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل: فيحطم طرفى موآب ويريح جميع بنى شيت. ويكون أدوم ببأس ميراثا له: ملكا له. يكون سعير أعداؤه، ويصنع إسرائيل ببأس، ويتسلط الذى من يعقوب ويهلك من كل مدينة من بقى» (عدد ٢٤:١٥-١٩).

يقول الآباء اليسوعيون فى التعليق على هذه النبوءة ما نصه:

«اتفق الآباء القديسيون والمفسرون المسيحيون واليهود القدماء أنفسهم؛ على أن هذه النبوة تختص بمجىء المسيح» ويقول أصحاب تفسير الكتاب المقدس برئاسة فرنسس داقدسن: إن هذه النبوءة تشير ضمنا إلى المسيح. يقولون: «بعد قرون قليلة من عهد بلعام، قام ملك فى إسرائيل كان فاتحا عظيما. وهذا الملك واسمه داود؛ انتصر على موآب وأدوم (٢ صم ٨:٢ و ١٤) وقد أتم بالتمام والكمال ما أنبأ به بلعام فى هذه الأعداد. ويقتبس عدد ١٧ أحيانا كنبوة عن «المسيح» صحيح أنه هو الكوكب والقضيب وأنه برز من إسرائيل، ولكن يعتبر احتمالا متطرفا أن يشير هذا العدد إشارة مباشرة إليه، إلا فى المعنى العام إنه هو وحده يتمم المثل الحقيقى الأعلى للملك. وبما أنه هو ذروة كل ملوك شعب الله، فكل شىء صالح قيل عن أى ملك إسرائيلى، يشير إليه إشارة معينة، بمعنى ما» أ.هـ

هذا هو نص تعليقهم على نبوءة بلعام بن بعور. وهم يتفقون مع اليهود (أ) فى أنها تعنى أن النبى الأمى الآتى على مثال موسى (ب) وفى أنه سيكون من بنى إسرائيل. ويختلفون معهم فى أن اليهود يقولون: إن النبى الأمى المنتظر لم يأت بعد، والنصارى يقولون: إنه هو المسيح عيسى بن مريم ﷺ. وأبسط رد على النصارى هو: أن النبوءة تصفه بأنه يملك على أعدائه وينزع الملك من بنى إسرائيل. وأبسط رد على اليهود هو: أن لإسماعيل بركة.

وسأذكر الآن نصا من تفسير السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم، يعرف منه اختلافهم، وكيفية تحريفهم للكلم عن مواضعه. وتعرف كيفية تحريفهم للكلم عن

مواضعه بالتأويلات الفاسدة، من الاقتباسات التى يوردها المفسرون أثناء الشرح والبيان. ومثال ذلك: قولهم بعد «أراه ولكن ليس الآن» إنه يشير إلى رؤ ١: ٧ إلخ. ومن الإشارات: مز ١١٠: ٢.

ولو أنك قرأت المزمور المائة والعاشر لوجدت فيه عن «المسيا»: «تسلط فى وسط أعدائك» والمسيح بن مريم لم يتسلط فى وسط أعدائه.

النص:

فى تفسير السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم

مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣

«أراه ولكن ليس الآن رؤ ١: ٧ مت ٢: ٢ ورؤ ٢٢: تك ٤٩: ١٠ ومز ١١٠: ٢ و٢صم ٨: ٢ وار ٤٨: ٤٥.

**أراه ولكن ليس الآن:** لا يمكن أن يكون الذى يراه، ولكن ليس الآن؛ إسرائيل. لأنه كان يرى إسرائيل حينئذ فى محلته أمام عينيه. فلزم من ذلك أنه كان يرى بعين الذهن من سيأتى، لا من هو فى الحضرة. والظاهر: أنه كان يتصور كوكبا بارزا من يعقوب، على ما فى العبارة التالية.

**يبرز كوكب من يعقوب:** هذا الكوكب رجل ذو سلطان. بدليل قوله على الإثر «قضيب من إسرائيل» على أن الإضافة إلى يعقوب كافية للدلالة على أن الكوكب المذكور شخص من نسل يعقوب، كالكوكب فى الهداية. إلا أن قوله: «ويقوم قضيب من إسرائيل» أى صاحب قضيب أو صولجان، أعنى متسلطا. يدل فوق ذلك على أنه ذو سلطان. وقيل: إن الكوكب كناية عن الملك. وفى هذه النبوءة مماثلة لنبوءة يعقوب (انظر تك ٤٦: ١٠) وفى ترجوم أنكيلوس ما مترجمه: «يقوم ملك من يعقوب، والمسيح يمسح من إسرائيل» قالا ابن عزرا: «إن النبوءة فى داود ولكن كثيرين من المفسرين قالوا: إنها فى المسيح» والظاهر: أن الذى ادعى أنه المسيح فى زمان إدريان الملك، ولقب نفسه ببار كوكب (أى ابن الكوكب) أشار إلى هذه النبوءة. ولعل المجوس أشاروا إلى هذه النبوءة بقولهم: «رأينا نجمة فى المشرق» (مت ٢: ٢).

**فيحطمهم طرفى موآب:** تمت هذه النبوءة جزئيا أو رمزيا فى عصر داود (٢ صم ٨: ٢) وموآب وأدوم رمزان إلى أعداء المسيح وأعداء كنيسته وإخضاعها رمز إلى إخضاع ملك الملوك كل أعدائه (قابل بهذا مز ٦٠: ٨).

**ويهلك كل بنى الوغى:** أى بنى الحرب. وترجم بعضهم العبارة بقوله: «ويكلل كل بنى شيت» والكلام مشترك فى العبرانية، فيصح أن يترجم أيضا: ويكلل هام كل بنى الوغى.

**ويكون أدوم ميراثا، ويكون سعير أعداؤه ميراثا، ويصنع إسرائيل ببأس:** (٢ صم ١٤:٨ ومز ٦٠:٨ و ٩و ١٢).

**يكون أدوم ميراثا ويكون سعير أعداؤه ميراثا:** أى أعداء إسرائيل أو أعداء المتسلط الذى يقوم من إسرائيل. وأدوم اسم شعب وسعير اسم بلاد (انظر تك ٣:٣٢) وهذه النبوءة تمت أولا فى أيام داود (٢صم ١٤:٨) لكن أكمل تمامها بشخص المسيح وعمله (إش ١:٦٣-٤).

**يصنع إسرائيل ببأس:** أى بقوة (قابل بهذا: تث ١٧:٨ و ١٨ ورا ٤ :١١).

**ويتسلط الذى من يعقوب، ويهلك الشارد من مدينة:** تك ٤٩ : ١٠.

**ويتسلط:** إيضاح فى هذا التسلط فى قول المريم: «يملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاص الأرض» (مز ٧٢:٨).

**ويهلك الشارد من مدينة:** (ويخرب الباقى من المدن).

المدينة: وإن كانت مفردة قد يراد بها الجمع، لكن بعضهم فهم من المدينة هنا: أنها مدينة أورشليم. والظاهر من القرينة هنا: أنها أم مدن أدوم أو مدن أدوم كلها» (انتهى بنصه).

هذان مثلان قد ذكرتهما؛ لبيان: طريقة لبس الحق بالباطل.

والآن نثبت من كتب أهل الكتاب: أن «الله» هو إله العالم وخالقه ورازقه. لا إله لبنى إسرائيل من دون الناس. ونثبت: أن يوم القيامة حق لا ريب فيه. وأن الله لن يجازى بنى إسرائيل فقط، بل سيجازيهم، وسيجازى جميع الأمم أيضا. ثم نذكر مجمل ما فى كتب أهل الكتاب عن نهاية الزمان، وما يكون فيه:

## المبحث الأول

## الله - إله العالم

خالق العالم هو الله رب العالمين.

وقد أرسل الله رسلا لبيان هذا الأمر، حتى لا يكون للشيطان سلطان على العالم.

## بدء دعوة الأنبياء والرسل إلى الله

وفى التوراة نصوص كثيرة تدل على أن الله لم يترك الأمم للشيطان الرجيم. ومن هذه النصوص:

١- أنه من زمن «آنوش» بن «شيث» بن «آدم» عليه السلام: «ابتدئ أن يدعى باسم الرب» (تك ٤:٢٦) أى أنه من بعد قتل «هابيل» ظهر تأثير الشيطان فى بنى آدم؛ ليصرفهم عن الله. ولذلك أمر الله عباده بدعوة الناس إليه. وفى ذاك الزمان كان الناس أمة واحدة.

٢- وفى التوراة أن الله أرسل «أخنوخ» إلى الأمم. وكانوا فى زمانه أمة واحدة.

ولفظ «السير» يدل على ذلك. ففى الإصحاح الخامس من سفر التكوين: «وسار أخنوخ مع الله» (تك ٥:٢٤) أى دعا الناس إلى الالتجاء إليه وحده.

٣- وفى أيام نبى الله نوح ﷺ فسدت الأرض أمام الله، وامتلأت الأرض ظلما. و «كان نوح رجلا بارا كاملا فى أجياله. وسار نوح مع الله» (تك٦:٩).

٤- ولما تعددت الأمم من بعد طوفان نوح بزمان طويل؛ أرسل الله إبراهيم ﷺ لجميع أمم الأرض. فسار مع الله، وانطلق إلى الأمم، ودعاهم إلى الله فى بلادهم، وبنى مساجد لله فى ديارهم. وخاطبه الله بقوله: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢:٣) وفى أرض كنعان «بنى هناك مذبحا للرب» (تك ١٢:٨) «بنى هناك مذبحا للرب، ودعا باسم الرب» (تك١٢:٨) والمذبح - فى لغتهم - هو مكان العبادة.

ولما صعد من «مصر» هو وامرأته ولوط ﷺ إلى الجنوب - والجنوب تدل على أرض الحجاز - لأن فى شمالها أرض كنعان. سار فى رحلاته إلى المكان الذى بنى فيه المذبح أولا، «ودعا هناك أبرام باسم الرب» (تك١٣:٤).

٥- ونبى الله لوط ﷺ سار مع إبراهيم أمام الله (تك ١٣:٥) ثم افترقا. وبعد افتراقهما أقام إبراهيم فى «حبرون» و «بنى هناك مذبحا للرب» (تك١٨:١) وصرح إبراهيم بأنه يدعو إلى الله رب العالمين؛ وذلك فى قوله: «رفعت يدى إلى الرب الإله العلى، مالك السماء والأرض» (تك١٤:٢٢).

٦- ونبى الله إسحق بن إبراهيم سار مع الله بعد أبيه، ودعا الناس إليه: «فبنى هناك مذبحا ودعا باسم الرب» (تك ٢٦:٢٥).

٧- واسم إسرائيل - ومعناه المجاهد مع الله - يدل على أن يعقوب ﷺ وهو نفسه

إسرائيل كان يغزو فى سبيل الله لمحو عبادة الأوثان، وللتمكين لعبادة الله وحده. وفى التوراة أنه «بنى هناك مذبحا» (تك ٧:٣٥).

٨- وقد أرسل الله رسوله موسى، كما أرسل الرسل من قبله: لدعوة جميع الأمم إلى معرفته. فابتدأ بدعوة فرعون «مصر» وعمل أمامه معجزات تشهد بأنه رسول من الله. ولما عاند فرعون واستكبر قال له على لسان الله تعالى: «لأجل هذا أقمتك؛ لكى أريك قوتى، ولكى يخبر باسمى فى كل الأرض» (خر ١٦:٩) وكانت المعجزات لغرض: هو إيمان فرعون وملئه بالدخول فى دين موسى ﷺ. والأمم مثله فى الإيمان، بعد سماعهم عن المعجزات.

وبين أن المعجزات هى للتأكد من معرفة الله «فتعلمون أنى أنا الرب» (خر١٠ :٢).

وصرح موسى ﷺ بأن شريعة التوراة ليست لبنى إسرائيل من دون الناس، بل لهم ولجميع الأمم، حتى يظهر النبى الأمى الذى وعد الله بظهوره من بعده. فقال: «تكون شريعة واحدة لمولود الأرض، وللنزيل النازل بينكم» (خر ١٢:٤٩) وصرح بأن رحمة الله ليست لبنى إسرائيل من دون الناس، بل لهم ولجميع الأمم. فقد قال على لسان الله تعالى: «أتراءف على من أتراءف، وأرحم من أرحم» (خر ١٩:٣٣) وأمر موسى بنى إسرائيل بالجهاد فى سبيل الله. وقال لهم عن الكفار: «تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون سواريهم؛ فإنك لا تسجد لإله آخر» (خر ٣٤: ١٣-١).

ووصى موسى بإكرام الأمم إذا دخلوا فى دينه مع بنى إسرائيل، فقال: «وإذا نزل عندكم غريب فى أرضكم؛ فلا تظلموه. كالوطنى منكم، يكون لكم. الغريب النازل عندكم، وتحبه كنفسك؛ لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر» (لا ٩ :٣٣-٣٤).

وساوى موسى بين بنى إسرائيل والأمم فى أحكام الشريعة فقال: «ومن قتل إنسانا يقتل. حكم واحد يكون لكم، الغريب يكون كالوطنى» (لا ٢٤:٢٢).

وكانت حروب موسى ﷺ لدخول الأمم فى شريعته، ومن حروبه: أنه أرسل رسلا إلى أرض «فلسطين» وكان فيها العمالقة، والحثيون واليبوسيون والأموريون والكنعانيون. ورجعت رسله، تخوف بنى إسرائيل من فتح الأرض. ما عدا «يشوع بن نون» و «كالب بن يفنه» فإنهما قالا: «إن سر بنا الرب، يدخلنا إلى هذه الأرض، ويعطينا إياها ...» (عد ١٤ :٨) وغضب الله على بنى إسرائيل الذين جبنوا وخافوا. فتضرع موسى إليه أن يصرف غضبه «فقال الرب: قد صفحت حسب قولك. ولكن حى أنا؛ فتملأ كل الأرض من مجد الرب» (عد ١٤) يريد أن يقول: إننى أريد من الحرب، معرفة الأمم بى، وهم لا يريدون أن

يحاربوا، ليعرفوا الأمم بى. يريدون إطفاء نورى وإخفاء اسمى وأنا أريد أن «تملأ الأرض من مجد الرب» لا أرض إسرائيل وحدها.

ثم قال: «جميع الذين أهانونى؛ لا يرونها» «وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى هذا القفر» (عد ١٤).

وصرح موسى بأن أفعاله كلها من الله الذى أرسله. وأن الله الذى أرسله هو «إله أرواح جميع البشر» لا إله بنى إسرائيل من دون الناس. وإذ هو إله الجميع، تكون شريعة موسى للجميع. والذى يوصلها للجميع بنو إسرائيل. وفى مقابل إيصالها يعطيهم الملك على الأمم. ومن يمت منهم؛ فإن له الجنة؛ جزاء على بذل روحه فى سبيله.

ففى سفر العدد: «وقالا: اللهم إله أرواح جميع البشر» (عد ٢٢:١٦) - «فقال موسى: بهذا تعلمون: أن الرب قد أرسلنى لأعمل كل هذه الأعمال؛ وأنها ليست من نفسى» (عد ٢٨:١٦).

وفى سفر التثنية: «إياك قد اختار الرب إلهك؛ لتكون له شعبا، أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» (تث ٦:٧) وهو قد اختارهم من بين الأمم، لتعليم الأمم؛ لأنه يعلم أنهم خير من يقومون بما يريده منهم ومن الأمم. ومثل ذلك مثل معلم يختار من قومه عشرة صبيان يعلم أن فيهم فطانة وقوة تحمل. ويصبر على تعليمهم، ثم يرسلهم واحدا واحدا إلى بلاد كثيرة؛ ليعلموا أهلها. وإذا ساروا وعلموا، فإنه بعد سنوات يكون الجميع واحدا. المعلم والصبيان وأهل البلاد.

وهذا هو ما فعله موسى وبنى إسرائيل فى البدء. فإنهم ساروا أمام الله وعلموا الأمم، والأميون علموا هم أيضًا. ولما أحاط بهم الكافرون فى زمان الأسر البابلى، وأجبروهم على ترك الجهاد فى سبيل الله. جعلوا الشريعة لهم، وقعدوا عن الجهاد. خوفا من أمم الكفر. وكتبوا نصوص دعوة الأمم فى توراة موسى خالية من الحث على الجهاد، فى نظر الجاهلين بلغاتهم. لا فى نظر العلماء الراسخين فى العلم منهم أو من غيرهم. يدلك على ذلك: أنهم قصروا الشريعة على اليهود، والساكنين بينهم من الأمم. فهب أن أمميا، من الساكنين بينهم سافر إلى أرض آبائه وأجداده، وأراد أن يدعو إلى الله. فماذا نقول له؟ هل نقول له: لست مكلفا بالسير أمام الله كيف وقد سار إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى؟ وهم قدوة. والعمالقة والحثيون واليبوسيون والأموريون والكنعانيون، سكان الأرض التى كتبها الله لبنى إسرائيل تبين التوراة أنهم يدخلون فى جماعة الرب، أى يتساوون مع

اليهود فى الشريعة، فى الجيل الثالث، والعاشر (تث ٢٣) سواء أقاموا معهم فى الأرض أو لم يقيموا. وموسى صاحب الشريعة تزوج بامرأة من نساء الحبشة (عدد ١٢:١) وتحرم التوراة على بنى إسرائيل والداخلين معهم فى شريعة موسى أن يملك عليهم ملك وثنى لا يعبد الله. ولو ملك عليهم ملك يدعو إلى غير الله: فإنهم مأمورون بقتاله إن استطاعوا. وهذا هو الجهاد.

ففى سفر التثنية: «لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا: ليس هو أخاك» (تث ١٧: ١٥).

وكتاب الأسفار قد وضحوا هذا بأجلى بيان. ففى سفر طوبيا: «اعترفوا للرب يا بنى إسرائيل وسبحوه أمام جميع الأمم؛ فإنه فرقكم بين الأمم الذين يجهلونه؛ لكى تخبروا بمعجزاته، وتعرفوهم أن لا إله قادرا على كل شىء سواه» (طو ١٣: ٣-٤).

انظر إلى هذا النص. وهو من سفر مترجم من العبرانية إلى اليونانية فى سنة ٢٨٢ ق.م. وتأمل فيه. نجد أن الله وحده هو الخالق للعالم، وأنه اختار بنى إسرائيل من بين الأمم للدعوة إليه. وأنهم قاموا بالدعوة إليه طوعا وكرها. فقد بنوا المساجد فى كل مكان وطأته أقدامهم، وعلموا بشريعة موسى، وعملوا الأعمال الصالحة أمام الأمم. ثم طال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وجعلوا الشريعة لهم، وامتنعوا عن مخالفة الأمم. وذلك مذكور فى كتبهم، وفى القرآن الكريم أيضا. فقد قال تعالى عنهم: «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك، إلا ما دمت عليه قائما. ذلك بأنهم قالوا: ليس علينا فى الأميين سبيل» أى منهم الصالح ومنهم الفاسد، ومنهم العادل ومنهم الظالم. ولما كذبوا وقالوا: إن ظلمنا الأمم وأخذنا أموالهم بالظلم، فلن يجازينا الله على هذا الظلم؛ رد عليهم كذبهم بقوله: «ويقولون على الله الكذب. وهم يعلمون» أنه كذب من نص التوراة الذى يلزمهم بإكرام الأمم ليؤلفوا قلوبهم على دين موسى.

وفى شريعة أهل الكتاب: أن «العمل للحق» يدل على السلوك الخلقى المطابق للشريعة. ومن يخالف، فإنه يوصف بصفة الكذب على الله تعالى. ففى الرسالة الأولى ليوحنا: «إن الله نور، لا ظلام فيه. فإذا قلنا: لنا مشاركة معه، ونحن نسير فى الظلام، كنا كاذبين، ولم نعمل للحق».

وقد ذكر الله فى القرآن الكريم: أنه اختار بنى إسرائيل على علم على العالمين. فقال: «ولقد اخترناهم، على علم، على العالمين، وآتيناهم من الايات ما فيه بلاء عظيم» فلماذا اختارهم من الأمم لحمل رسالته إلى الأمم؟

لا بد من سبب. وهذا السبب معروف عند أهل الكتاب. فقد قال كاتب الرسالة إلى روما: «وإننا نعلم: أن جميع الأشياء تعمل لخير الذين يحبون الله. أولئك الذين دعوا بسابق تدبيره. ذلك بأنه عرفهم بسابق علمه» يريد أن يقول: إن الله اختار بنى إسرائيل من نسل إسرائيل؛ لسابق علمه أنهم يقدرون على الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجهاد بالسيوف، وذلك لأن إبراهيم أباهم كان داعيا ومجاهدا. والفرع يتبع الأصل غالبًا فى وراثة الصفات، ومن مكافأة الله لإبراهيم: أن يسره باصطفائه لأولاده من بعده. ففى سفر التكوين: «هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله؟ وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية، ويتبارك به جميع أمم الأرض؛ لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب؛ ليعملوا برا وعدلا؛ لكى يأتى الرب لإبراهيم بما تكلم به» (تك ١٨:١٧-١٩) فقوله: «ويتبارك به جميع أمم الأرض» هو قول يدل على أن نسله من بعد موته، سيحملون رسالته إلى جميع الأمم والشعوب، عوضا عنه. وهذا يدل على عالمية الدعوة. وقوله: «لأنى عرفته» يدل على أنه اختارهم «على علم» وقوله: «ليعملوا برا وعدلا» يدل على أن الاختيار بالأعمال، والإيمان معا. وليس بالإيمان وحده، كما يزعم «بولس» (رو ١٣:٦). وقد صحح القرآن له هذا المعنى فى قوله تعالى: «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات؛ فأتمهن» أى اختبره بأعمال، فعملها. منها تحطيم الأوثان، والهجرة فى سبيل الله، ودعوة الناس إلى الحج، إلى الكعبة المعظمة فى مكة المكرمة، وإقدامه على ذبح ابنه البكر الوحيد، وهو يحبه، وجهاده بالسيف فى سبيل الله.

وقال بولس: إن الله اختار بنى إسرائيل «على علم» وفى زمان ارتدادهم، لم ينبذهم؛ لأنه كانت فيهم بقيه تعمل فى الخفاء من أجل الله. «فأقول إذا: أترى نبذ الله شعبه؟ حاش له. فإنى أنا إسرائيلى من نسل إبراهيم، وسبط بنيامين. ما نبذ الله شعبه، الذى عرفه بسابق علمه... إلخ» (رو ١١:١- ).

## المبحث الثانى

## مجازاة الأمم

هل المجازى لجميع الأمم هو الله؟ أم الله لليهود فى المجازاة، وللأمم آلهتهم؟

هذا هو السؤال الأول. وهل المجازاة عند أهل الكتاب على الإيمان والأعمال، أم على الإيمان وحده؟ هذا هو السؤال الثانى.

**والإجابة:**

بتتبع نصوص التوراة وأسفار الأنبياء عن المجازاة. نجد أن المجازى لجميع الأمم هو الله وحده، لأنه هو وحده «إله كل الأرض» ففى سفر إشعياء: «قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يدعى» (إش ٥٤:٥) وهو يجازى على الإيمان والأعمال معا. والإيمان بدون الأعمال لا ينجى من نار جهنم، والأعمال بدون الإيمان لا تدخل الجنة. ويقر جمهور اليهود بذلك. ويقر النصارى أجمعون بأن الإيمان بالمسيح ربا مصلوبا يدخل الجنة، وأن الأعمال ليست شرط صحة فى الدين، فبدونها يخلص المرء فى يوم الجزاء. والقرآن الكريم ينص على أن الإيمان وحده لا يدخل الجنة وبه يأخذ الخوارج والمعتزلة من المسلمين. والحديث النبوى ينص على أن الإيمان وحده يدخل الجنة. وبه يأخذ الحنابلة والأشاعرة وأهل الحديث. السنيين والشيعة، ويصرحون بأن الأعمال شرط كمال فى الدين لا شرط صحة وينص القرآن الكريم على التأييد المطلق فى الجنة أو فى النار. وينص الحديث النبوى على التأييد المحدد بمدة.

ويقول اليهود: إن التأبيد محدد بمدة. وحجتهم من النص والعقل. هى:

**أما النص:** ففى قصة العبد المؤبد. وفى أن الشريعة أبدية.

**وأما العقل:** فإن جزاء السيئة يكون بسيئة مثلها. وليس من العدل أن يخطئ إنسان مائة سنة، ويعذب بأكثر من المائة سنة.

والعبد المؤبد: هو أن العبد إذا أراد سيده أن يعتقه، ولم يرض العبد بالعتق؛ فإنه يصير له عبدا إلى الأبد. ومعلوم أن السيد لن يعيش إلى نهاية الدنيا؛ فإن له أجلا محددا. فضلا عن نص فى التوراة وهو أنه فى نهاية كل خمسين سنة. يعود العبد إلى الحرية رغم أنفه. فإذن لفظ التأبيد مغيى بغاية. وليس إلى يوم القيامة.

وتأبيد الشريعة معناه: أنها باقية فى بنى إسرائيل إلى ظهور النبى الأمى الآتى على مثال موسى. فإذن ليست التوراة إلى يوم القيامة، فإذن لفظ الأبد ليس على الدوام المطلق.

**تلك حجتهم. والآن إلى نصوص المجازاة:**

١- قال إبراهيم ﷺ لله تعالى: «أفتهلك البار مع الأثيم؟... حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن تميت البار مع الأثيم. فيكون البار كالأثيم. حاشا لك. أديان كل الأرض لا يصنع عدلا؟» (تك ١٨ : ٢٣- ).

إنه استبعد المساواة بين البار والأثيم. وخاطب الله بأنه «ديان كل الأرض» لا ديان بنى إسرائيل من دون الناس.

٢- قال عيسى ﷺ لعلماء اليهود الذين كفروا به: «يا أولاد الأفاعى. كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟ فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم، الإنسان الصالح، من الكنز الصالح، فى القلب، يخرج الصالحات، والإنسان الشرير، من الكنز الشرير يخرج الشرور. ولكن أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس، سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين؛ لأنك بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان» (متى ١٢:٣٤-٣٧).

٣- قال الله تعالى على لسان إشعياء: «أليس أنا الرب، ولا إله آخر غيرى. إله بار ومخلص، ليس سواى. التفتوا إلى وأخلصوا يا جميع أقاصى الأرض. لأنى أنا الله وليس آخر. بذاتى أقسمت: خرج من فمى الصدق. كلمة لا ترجع. إنه لى تجثو كل ركبة، يحلف كل لسان» (إش ٤٥:٢١-٢٣).

وقد استدل به بولس فقال: «سنمثل جميعا أمام محكمة الله. فقد ورد فى الكتاب: «يقول الرب: بحقى أنا الحى ولى تجثو كل ركبة، ويحمد الله كل لسان» إن كل واحد منا سيؤدى إذًا عن نفسه حسابا لله» (رو١٤:١٠-١٢).

ولم يقل بولس إن الله سيجازى اليهود فقط، بل قال: إنه سيجازى اليهود والأمم. ذلك قوله: «من إله ديان للخلق أجمعين» (عب ١٢:٢٣) وفى ترجمة أخرى: «وإلى الله ديان الجميع».

وقال: إن تميز اليهود عن الأمم، هو أن الله اختارهم ليسوسوا الأمم (رومية ١٤:١٢) وهم والأمم أمام الله سواء.

وقال: إن نصوص التوراة تلزم الأمم بشريعة موسى. ولذلك يدخلون مع اليهود فى المجازاة. واستدل بالمزمور ١٨:٥٠ و ٢ صم ٢٢:٥٠ واستدل بنص فى كتاب موسى هو: «افرحى أيتها الأمم مع شعبه» (تث ٣٢:٤٣) واستدل بمزامير داود. ومنها: «سبحى الرب أيتها الأمم جميعا، ولتثن عليه جميع الشعوب» (مز ١١٧:١) وذلك فى الإصحاح الرابع عشر من رسالته إلى روما.

وتنص التوراة على أن كل امرئ مرتهن بأعماله، وأنه «لا حميم ولا شفيع يطاع» وهذه النصوص ترد على النصارى قولهم بأن المسيح قد غفر الخطايا، ومحا الآثام. ففى سفر العدد: «وأما النفس التى تعمل بيد رفيعة من الوطنيين، أو من الغرباء؛ فهى تزدرى بالرب، فتقطع تلك النفس من بين شعبها؛ لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته قطعا تقطع تلك النفس. ذنبها عليها» (عدد ١٥:٣٠-٣١).

وفى سفر التثنية: «لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيته يقتل» (تث ٢٤:١٦).

ونصوص اللعنة تدل على أن للمخطئ عقاب. وإلا فلماذا يلعن؟

١- ملعون الإنسان الذى يصنع تمثالا منحوتا...

٢- ملعون من يستخف بأبيه أو أمه.

٣- ملعون من ينقل تخم صاحبه.

٤- ملعون من يضل الأعمى عن الطريق.

٥- ملعون من يعوج حق الغريب واليتيم والأرملة... إلخ (تث ٢٧).

وقد لعن داود ﷺ بنى إسرائيل ولعنهم المسيح عيسى ابن مريم. فلماذا اللعن؟ أليس هو للتعدى على الوصايا؟

ففى المزمور المائة والتاسع عشر يقول داود ﷺ: «الخلاص بعيد عن الأشرار؛ لأنهم لم يلتمسوا فرائضك» (مز ١١٩:١٥٥) فكيف يقول بولس بخلاص الأشرار الذين لم يعملوا بفرض أو بسنة؟

وقد لعن داود بنى إسرائيل فقال: «انتهزت المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك» (مز ١١٩:٢١).

ولعن المسيح بنى إسرائيل فقال: «اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية» (متى ٢٥:٤١).

**وقد أشار القرآن إلى ذلك فى قوله:** ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ٧٨).

وبماذا يفسر بولس المزمور الأول لداود، وهو ضد كلامه حرفا حرفا؟

ونصه: «طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار. وفى طريق الخطاة لم يقف. وفى مجلس المستهزئين لم يجلس. لكن فى ناموس الرب مسرته، وفى ناموسه يلهج نهارا وليلا؛ فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه، التى تعطى ثمرها فى أوانه، وورقها لا يذبل، وما يصنعه ينجح.

ليس كذلك الأشرار. لكنهم كالعصافة التى تذريها الريح. لذلك لا تقوم الأشرار فى الدين، ولا الخطاة فى جماعة الأبرار؛ لأن الرب يعلم طريق الأبرار، أما طريق الأشرار فتهلك» أ.هـ

ففى هذا النص: أن الأشرار والخطأة والمستهزئين بآيات الله؛ ليس لهم نصيب فى الجنة. وعبر عن حرمانهم من الجنة بقوله: «لذلك لا تقوم الأشرار فى الدين، ولا الخطأة فى جماعة الأبرار» وفى هذا النص: أن الكلمة الطيبة كشجرة طيبة. أصلها ثابت وفرعها فى السماء. وقد أشار القرآن إلى ذلك فى قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ...﴾ (النساء: ١٤٠) . وفى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ...﴾ (إبراهيم: ٢٤).

**والمنزل فى الكتاب:** هو الذى فى المزمور الأول لداود عليه السلام.

## المبحث الثالث

## الأدلة على يوم القيامة من توراة موسى

اتهم المسلمون اليهود بأن التوراة ليس فيها كلام عن القيامة من الأموات. وهم يقرأون فى القرآن الكريم ما حكاه الله عن اليهود بأنهم ﴿قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (آل عمران: ٢٤) وهم لا يقولون بدخول فى النار إلا بكلام مدون فى كتاب موسى. وهو لا يحكى قولا، يقدر الخصم على تكذيبه.

يقول ابن حزم الأندلسى: «وأما التوراة التى بأيدى اليهود، فليس فيها ذكر لنعيم الآخرة أصلا، ولا جزاء بعد الموت»(١).

واتهام المسلمين لليهود فى هذا الأمر يعنون به: أن الأسفار المنسوبة إلى موسى صاحب الشريعة خالية من ذكر البعث، ولا يعنون به أسفار الأنبياء، التى يطلق عليها اسم التوراة. كسفر الزبور وأيوب وإشعياء؛ فإن فى أسفار الأنبياء نصوصًا واضحة الدلالة على البعث من القبور.

وهأنذا أبين هذا الأمر:

إن بنى إسرائيل اثنا عشر سبطا. وقد اتفقوا وهم فى أسر ملوك «بابل» على إعادة

(١) الفصل لابن حزم ج٢ ص ١٠٩.

كتابة توراة موسى، وأعادوا الكتابه، ووضعوا فيها النصوص الصريحة على يوم القيامة. ولما رجعوا من «بابل» إلى «فلسطين» اختلفوا على عاصمة الدولة وعلى الجبل المقدس، الذى أرادوه قبلة فى الصلوات والحج. ونتج عن هذا الاختلاف: أنهم صاروا طائفتين. وظهر خلاف فى توراة موسى التى أعادوا كتابتها. فالنسخة التى يتمسك بها إلى هذا اليوم الأسباط العشرة؛ فيها النص على يوم القيامة. والنسخة التى يتمسك بها إلى هذا اليوم سبطى يهوذا وبنيامين. فيها النص محتملا للجزاء على الأعمال. إما فى الدنيا، وإما فى الاخرة. **ذلك قولهم المأثور عنهم.**

فالقول بأن بنى إسرائيل حذفوا من التوراة نصوص البعث هو قول باطل. وإن قلت ليهودى من يهود السبطين. هل تنكرون البعث؟ يجيب بقوله: لا. نحن نقر به، ولا تنكره. ولا يقدر أن يقول: إن التوراة محرفة فيه، لاحتمال النص جزاء دنيويا أو أخرويا. لا يقدر أن يقول بالاحتمال. ونقدر نحن أن نقول له: إذا كان النص محتملا، وأنت لمعرفتك باللغة العبرانية رجحت أحد الاحتمالين؛ فإن ترجيحك، يؤخذ به. لدرايتك باللغة. ولخوفك من مضاداة قومك؛ أظهرت الترجيح؛ ونفيت التحريف.

هذا فى النص الذى قال السامريون: إن العبرانيين وضعوه محتملا للمعنيين، ونحن تسلمناه من موسى نفسه يدل على معنى واحد. وقولهم نحن تسلمنا من موسى نسخة التوراة التى بأيدينا. هو قول باطل. فإن التوراة التى بأيديهم هى المعاد كتابتها فى بابل. وأحد الفريقين زاد فيها أو أنقص منها.

ولكن المسيح عيسى بن مريم ﷺ لم يستدل على البعث بهذا النص المحتمل، لما سئل عنه. واستدل بنصين من كتاب موسى الذى بأيدى الفريقين إلى هذا اليوم. واستدل بنصوص كثيرة على البعث من أسفار الأنبياء.

والنص المحتمل فى توراة السبطين، قد وضع الكتاب بعده ما يدل على أنه غير محتمل فى نظر العلماء. وهذا هو نصه من الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية، يقول الله تعالى: «أليس ذلك مكنوزا عندى، مختوما عليه فى خزائنى؟ لى النقمة والجزاء، فى وقت تزل أقدامهم» (تث ٣٢:٣٤-٣٥) وفى التوراة السامرية: «إلى يوم الانتقام» وإن قوله: «فى وقت» يحتمل وقتا فى الدنيا، ووقتا فى الآخرة. «وإلى يوم الانتقام» هو نص فى الآخرة. وبعده: «أنا أنا هو. وليس إله معى. أنا أميت وأحيى» (تث ٣٢:٣٩) فقد بين: أنه ديان كل الأرض، وأن أعمال الأمم فى صحف عنده. وأنه سيجازيهم عليها. وقد قال: «أنا أميت» وأضع الموتى فى القبور. ثم «أحيى» من القبور. ولم يقل: أنا أحيى، وأميت، وإنما

قال: «أنا أميت وأحيى» أى أميت فى الدنيا، وأحيى فى الآخرة. وفى التوراة: أن نبى الله اليسع ﷺ كان مشهورا فى زمانه بالمعجزات وكان فى زمانه رجل اسمه نعمان السريانى رئيس جند ملك أرام وأصابه البرص. فأرسل ملك أرام إلى إسرائيل أن يوصل نعمان إلى اليسع ليبرئه من برصه. وكتب له خطابا جاء فيه: «فالآن عند وصول هذا الكتاب إليك. هو ذا قد أرسلت إليك نعمان عبدى؛ فاشفه من برصه. فلما قرأ ملك إسرائيل الكتاب مزق ثيابه، وقال: هل أنا الله؛ لكى أميت وأحيى» (٢ مل ٥:٦).

انظر إلى تعبيره فى معرض المرض والشفاء وهو: «هل أنا الله؛ لكى أميت وأحيى»؟

فقد قابل بين الموت والحياة. لأن الحياة تأتى بعد الموت، كما أن الشفاء يأتى بعد المرض.

وهذا موافق لقول الله تعالى عن «أخنوخ» الذى يقال إنه بعدما مات، رفعه الله إليه. ففى سفر التكوين: «وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد؛ لأن الله أخذه» (تك ٥:٢٤) فقد أثبت ١- أنه سار مع الله أى جاهد فى سبيله، ودعا الناس إلى عبادته. ٢- وأثبت أنه لم يوجد فى الدنيا؛ لأنه مات. ٣- وأثبت أن الله أخذه إليه فى محل كرامته. وإذ قد أخذه ووضعه فى محل الكرامة؛ فإنه يكون فى محل الكرامة حيا، لا ميتا. وقد حام المسيح عيسى ﷺ حول هذا المعنى. فقال:

إن السير أمام الله معناه دعوة الناس إلى الله. والداعى لا بد أن يحصل من الله على أجر عن دعوته. فهب أن هذا السائر أمسك بالسيف وقاتل، فقتل، فكيف يحصل على أجره؟ وإنه حيث قد وعد بأجر ومات من قبل أن يأخذه، فلا بد من إثبات حياة أخرى، فيها يحصل على هذا الأجر؛ لأن وعد الله لا يتخلف.

ففى سفر التكوين: أن الله قال لإبراهيم: «أنا الله القدير. سر أمامى، وكن كاملا» وسار إبراهيم مع الله. وقال له الله: «لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك. أجرك كثير جدا».

يفسر المسيح عيسى ﷺ هذا الأجر الكثير. بأنه قد يكون فى الدنيا. وقد يكون فى الآخرة. وقد يكون فى كليهما معا. فشهيد المعركة لم يحصل على أجره فى الدنيا. وهو موعود بأجر كثير. فكيف يحصل عليه؟ والذى ربح المعركة قد حصل على غنائم وملك على الأمم فى الحياة الدنيا. ولو مات على طاعة فإنه سيحصل على أجر فى الآخرة. وقد لحظ هذا المعنى مفسرو التوراة وهم يفسرون «عش الطائر» ففى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التثنية: «إذا اتفق قدامك عش طائر فى الطريق، فى شجرة ما، أو على الأرض. فيه

فراخ أو بيض. والأم حاضنة الفراخ أو البيض؛ فلا تأخذ الأم مع الأولاد. أطلق الأم، وخذ لنفسك الأولاد؛ لكى يكون لك خير، وتطيل الأيام» (تث٢٢: ٦-٧).

فقوله: «لكى يكون لك خير» هو حصول على ثواب عظيم فى دار لا نهاية لأيامها. وهى الآخرة. وذلك لأنه لو اتفق أنه أطلق الأم، ووقع من على أعلى الشجرة، ومات فى الحال. فإنه يكون قد فعل الخير، ولم يأخذ ثوابه. وحيث أن وعد الله لا يتخلف؛ وهو قد مات فى الدنيا؛ فإنه لا بد من أن يحصل عليه فى الآخرة.

**هذا هو الدليل الأول للمسيح من توراة موسى على البعث.**

**والدليل الثانى:** حكاه عنه متى ومرقس ولوقا. ومعناه: أن الله اصطفى من الناس رسلا لأداء رسالة معينة. والله حى، فهم أحياء. إذ الموت لا يستطيع أن يضع حدا للفصل بين الله وبين رسله. ففى سفر الخروج يقول الله لموسى: «أنا إله أبيك: إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب» (خر ٣:٦) وهم قد ماتوا من قبل موسى بزمان. فلو كان الموت قد وضع حدا لحياتهم؛ لكانوا بالموت منفصلين عن الله الحى. وإذا انفصلوا؛ فأى فائدة من تمجيدهم. فإنهم إذا صاروا ترابا، ولن يعادوا. فلا فرق بينهم - وهم فى التراب - وبين الحيوانات والطيور، بل ولا فرق بينهم وبين عباد آلهة الأمم. وحيث أنه قد ذكرهم بالذكر الحسن، وأثنى عليهم بالثناء العاطر؛ فإنهم يكونون أحياء عند ربهم يرزقون.

وقال المسيح: إن الرجل فى الحياة الدنيا يتزوج المرأة لإيجاد نسل، ولا نسل فى الآخرة. وعليه فإن الرجل فى الجنة هو وزوجه، يكونان مثل الملائكة فى تسبيح الله وتمجيده. ويفضلون تسبيح الله وتمجيده على الشهوات والملذات الحسية.

قال متى: «فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون - الذين يقولون: ليس قيامة - فسألوه قائلين: يا معلم. قال موسى: «إن مات أحد وليس له أولاد؛ يتزوج أخوه بامرأته، ويقم نسلا لأخيه» فكان عندنا سبعة إخوة. وتزوج الأول ومات. وإذا لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه. وكذلك الثانى والثالث إلى السبعة. وآخر الكل ماتت المرأة أيضا. ففى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة؛ فإنها كانت للجميع؟

فأجاب يسوع وقال لهم: تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله؛ لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله فى السماء.

**وأما من جهة قيامة الأموات:**

أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: «أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله

يعقوب؟» ليس الله إله أموات، بل إله أحياء. فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه» (متى ٢٢:٢٣- ).

**وفى توراة موسى نص رابع على البعث وهو:** «لتمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم» (عدد ٢٣:١٠).

وقد بين المسيح عيسى ﷺ أن لفظ «الأبرار» يطلق على العاملين بالشريعة. وأن لهم الخير العظيم (أ) إما فى الدنيا (ب) وإما فى الآخرة. والقرينة اللفظية فى النص هى التى تبين دار الجزاء.

فالمكافأة فى الآخرة. يدل عليها قوله: «إذا صنعت غذاء أو عشاء؛ فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء؛ لئلا يدعوك هم أيضا؛ فتنال المكافأة على صنيعك. ولكن إذا أقمت مأدبة فادع الفقراء والكسحان والعرجان والعميان. فطوبى لك إذ ذاك؛ لأنهم ليس بإمكانهم أن يكافئوك؛ فتكافأ فى قيامة الأبرار» (لو ١٤: ١٢-١٤).

فقد بين هذا النص: أن المكافأة تكون فى الحياة الآخرة؛ عند قيامة الأبرار من القبور. وروى لوقا فى سفر الأعمال: أن القيامة من الأموات تكون للأبرار وللأشرار. غير أنه لا قيامة للأشرار على معنى: أنه لا حظ لهم فيها. يقول: «على أن أقر: بأنى أعبد إله آبائى، على الطريقة التى يزعمون أنها شيعة. وأومن بكل ما جاء فى الشريعة وكتب الأنبياء، راجيا من الله ما يرجونه هم أيضا. وهو أن الأبرار والفجار؛ سيقومون. فأنا ايضا أجاهد النفس؛ ليكون ضميرى، لا لوم عليه عند الله وعند الناس» (أعمال ٢٤:١٤-١٦).

وقال المسيح: إن الأبرار والفجار يتساوون فى منافع الحياة الدنيا. وذلك أنه فى نزول المطر ينزل على الكل، وفى طلوع الشمس، تطلع على الكل. وحيث أنهم متساوون فى منافعها؛ فإنه لا بد من حياة أخرى لا يتساوون فيها. يقول: «لأنه يطلع شمسه على الأشرار والأخيار. وينزل المطر على الأبرار والفجار» (متى ٥:٤٥).

**والدليل الخامس من توراة موسى على البعث من الأموات:** هو إلزام التوراة للإنسان بأنه مسئول عن أعماله. والمسئول عن أعماله؛ يحاسب عليها. ففى سفر التثنية: «إن هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم. ليست عسرة عليك، ولا بعيدة منك. ليست هى فى السماء؛ حتى تقول: من يصعد لأجلنا إلى السماء، ويأخذها لنا، ويسمعنا إياها؛ لنعمل بها، ولا هى فى عبر البحر حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر، ويأخذها لنا، ويسمعنا إياها؛ لنعمل بها. بل الكلمة قريبة منك جدا، فى فمك، وفى قلبك؛ لنعمل بها.

انظر. قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير، والموت والشر» (تث ٣٠:١١-١٥).

وفى سفر العدد: «وأما النفس التى تعمل بيد رفيعة من الوطنيين أو من الغرباء؛ فهى تزردى بالرب، قطعا تقطع تلك النفس من بين شعبها. ذنبها عليها» (عدد ١٥:٣٠-٣١).

وقد أظهرت التوراة: أنه من زمان «آنوش» «ابتدئ أن يدعى باسم الرب» (تك ٤:٢٦) أى أنه قد انقسم الناس إلى قسمين قسم مع الله، وقسم مع الشيطان. وأن الله يمهل الذين يسيرون مع الشيطان، ويلزمهم بالحجة عن طريق القسم الذى هو معه. ثم يعطى عقابا؛ ليزجر عن الشر، وليحجز عن الإثم. وقد أظهر العقاب عيانا جهارا فى قوله لنوح: «نهاية كل بشر قد أتت أمامى؛ لأن الأرض إمتلأت ظلما منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض» (تك ١٣:٦) وقد أهلكهم بطوفان الماء. وفى المقابل أنعم على عباده بخير وفير. هذا فى الدنيا. ولا يستبعد مثله فى الآخرة.

وقد فسر المسيح عيسى ﷺ النصين السابقين بقوله: إن النص الأول ينص على أن الله قد خلق الإنسان حرا؛ ليتحقق عدله فى الثواب وفى العقاب. وأن النص الثانى يدل على أن الله سيحاسب الناس على أعمالهم فى يوم القيامة، وذلك فى قوله: «ولكن أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس؛ سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين؛ لأنك بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان» (متى ١٢: ٣٦-٣٧).

**والدليل السادس من توراة موسى على البعث:** النص على صحف للأعمال، وحفظها إلى يوم الحساب. ولم تحفظ إن كان الدهر يهلك، ولا بعث ولا حساب؟ وقول الله تعالى: «أليس ذلك مكنوزا عندى، مختوما عليه فى خزائنى. لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم» (تث ٣٢:٣٤-٣٥) يدل على ذلك. ويقول ملاخى النبى: «حينئذ كلم متقو الرب. كل واحد قريبه. والرب أصغى وسمع، وكتب أمامه سفر التذكرة، للذين اتقوا الرب، وللمنكرين فى اسمه» (ملا ٣:١٦) يريد أن يقول: إن أعمالهم فى صحف عندى.

وصحف الأخيار محصاة فى جانب، وصحف الأشرار محصاة فى جانب آخر. ففى سفر إشعياء أن العبد المتألم أحصى فى نظر الله مع الأخيار، وأحصى فى نظر الناس مع الأشرار: «وأحصى مع أثمة» (إش ٥٣:١٢).

وقال المسيح للحواريين: «وأما أنتم فحتى شعور رءوسكم محصاة» (متى١٠:٣٠).

وقال أيوب: «أليس البوار لعاملى الشر، والنكر لفاعلى الإثم؟ أليس هو ينظر طرقى،

ويحصى جميع خطواتى؟». وقد ذكر الله تعالى فى القرآن الكريم أن علماء بنى إسرائيل «بدلوا نعمة الله كفرا، وأحلوا قومهم دار البوار، جهنم يصلونها وبئس القرار» وهذا يدل على أن مقصود أيوب من «البوار» هو الهلاك فى يوم الحساب. وصرح أيوب بذلك فإنه قال بعد كلام حسن: «إن كنت رفضت حق عبدى وأمتى فى دعواهما على، فماذا كنت أصنع حين يقوم الله؟ وإذا افتقد، فبماذا أجيبه؟» (أى ٣١) يريد أن يقول: إذا انتصب الله لدينونة العباد فى يوم الدين، وافتقد أعمالهم، وسألنى عما عملت. فبماذا أجيب إن كنت قد فعلت الشر؟ وكيف أهرب فى هذا اليوم العصيب، إذا كنت مستحقا للبوار؟

والافتقاد: هو الطلب لفعل شىء كان قد وعد به؛ لقوله: «وافتقد الرب سارة، كما قال...» - «أفتقد ذنوب الآباء» - «إلى يوم افتقادى إياها» - «يمجدون الله فى يوم الافتقاد» (١ بط ٢:١٢).

**والدليل السابع من توراة موسى على البعث:** التعبير بانضم إلى قومه. ومعناه: أن الأخيار إذا مات منهم واحد، يقولون عنه: إنه «انضم إلى قومه» والأشرار إذا مات منهم واحد يقولون عنه: «انضم إلى قومه» وهو ينضم إلى قومه؛ ليقوم معهم فى يوم الدين.

ففى سفر التكوين عن إبراهيم ﷺ: «وانضم إلى قومه» (تك ٢٥ :٨).

وعن إسماعيل ﷺ: «وأسلم روحه ومات وانضم إلى قومه» (تك٢٥ :١٧).

وعن يعقوب ﷺ: «أنا أنضم إلى قومى» (تك ٤٩ :٢٩).

وموسى وهرون -عليهما السلام-: «تضم إلى قومك أنت أيضا، كما ضم هرون أخوك» (عدد ٢٧ :٣).

وداود ﷺ: «لأن داود بعدما خدم جيله بمشورة الله؛ رقد، وانضم إلى آبائه» (أ ع ١٣ :٣٦).

وفى سفر الجامعة: «وهكذا رأيت أشرارًا يدفنون، وضموا» وبعده: «الخاطئ وإن عمل شرا مائة مرة، وطالت أيامه؛ إلا أنى أعلم: أنه يكون خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه، ولا يكون خير للشرير، وكالظل لا يطيل أيامه؛ لأنه لا يخشى قدام الله» (جا ٨ :١٠-).

**والدليل الثامن من توراة موسى على البعث:** هو أن علماء بنى إسرائيل علموه للأمم الذين دعوهم إلى الدخول فى دين موسى، ودخلوا فيه. ولو كانت التوراة خالية من ذكره، لما علموه لأهلهم وللأمم. ومما يدل على ذلك: قانون حمورابى. وهو يوجد الآن بمتحف اللوفر

بباريس. وله أثر آخر، فى خمسة وخمسين لوحة من اللبن، بالمتحف البريطانى وحمورابى سنة ٢١٢٥-٢٠٨١ ق.م وعدد مواده مائتان وثمانون واثنتلن مادة وقد حفر هذا القانون على تمثال من الحجر الأسود، ارتفاعه ثمانية أقدام. واكتشف فى سنة ١٩٠١ على يد أحد الغزاة فى إحدى مدن الجبال الفارسية.

ويقال: إن هذا القانون كان قبل زمان موسى ﷺ، وأن كتاب التوراة وهم فى بابل كانوا على علم به. ومن الممكن أن يقال: إنه كان بعد نزول التوراة بزمان. ولأن التواريخ مشكوك فيها، لا يقدر أحد على التأكيد على زمان بعينه. ونحن نعلم: أن نبى الله يونس ﷺ كان رسولا من الله إلى أهل «نينوى» وهم من الذين كانوا تحت حكم ملوك «بابل» فى زمان من الأزمان، وقد كان هو من اليهود العبرانيين من بعد موسى. ودعاهم إلى الله فتابوا وساروا على شريعة موسى. ويقول كتاب الأناجيل: إن المسيح وبخ اليهود بأنهم أهل الشريعة، ولم يتوبوا كما تاب أهل نينوى بمناداة يونان - الذى هو يونس ﷺ. وأهل نينوى لم يكونوا من بنى إسرائيل، وأمروا معهم بالدخول فى دين موسى. كما دخل أهل سبأ فى حياة سليمان عليه السلام، وهم ليسوا من بنى إسرائيل.

ومن يعتقد: أن حمورابى كان قبل زمان موسى بوقت طويل. فقد بنى اعتقاده على قانون الزواج؛ لأنه مخالف لقانون الزواج عند موسى.



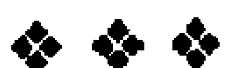
وقد قال كاتب من الكتاب: «وتدل مقارنة النصوص السومرية -البابلية- على أن هناك تشابها كبيرا بين النصوص البابلية ونصوص التوراة حول فكرة البعث والنشور بعد الموت. فكلاهما ينكران البعث والقيامة. فليس لدى البابليين جنة ونار، أو نعيم وجحيم»(١).

وهذا خطأ عظيم. فإن فى التوراة السامرية نصوص صريحة على البعث، واليهود العبرانيين، لا ينكرونه. وهم أعرف الناس بلغة كتابهم.

وإن التشابه موجود بين التوراة، والنصوص البابلية، فى أن الإنسان بعد الموت، يذهب إلى دار الأموات. وهو عالم ظلام ورهبة، وأطلق عليه السومريون اسم «العالم السفلى» وسماه البابليون: «أرالو» وقد أطلقت التوراة على عالم الأرواح السومرى والبابلى،

(١) ص ٢٢٨ مجلة الدراسات الشرقية.

عدة تعبيرات منها: «شاءول» (إش ١٤: ٩ ومز ٤٩: ١٥ ومز ٨٨: ٧) ومنها «الجب العميق» و «عالم الظلمات والأموات» وقضاة العالم السفلى هم المنوطون بمحاكمة النفس.



وقد قال عالم من علماء الأزهر، هو المرحوم الشيخ عطية إبراهيم: إن كتاب التوراة وضعوا فيها من شريعة حمورابى. ومما وضعوه قانون النفس بالنفس والعين بالعين. قال ما نصه: «ومن هنا يمكن معرفة من أين جاء العبرانيون بقانونهم العين بالعين... إلخ» هذا نص كلامه. وفى القرآن الكريم: أن الله تعالى هو الذى أعطاهم هذا القانون. فقد قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة: ٤٥).



وجاء فى كتاب «كتب الشرق المقدسة وآدابه» ج١ ص٢ «المعتقدات اليهودية والمسيحية تأسست على التفكير والعلم البابلى، ومعتقداتنا الحديثة، لا تزال مرتبطة بخيوط يمكن تتبعها إلى الأصل البابلى» أ.هـ وقد علق على هذا بقوله: وساعدهم على ذلك اكتشاف مكتبة «آشور بنيبال» وهو ملك ملك حوالى سنة ٦٦٩ – ٦٢٩ ق.م ملك «آشور» وأحب العلم واشتغل به، وأسس مملكة عظيمة، فى عاصمة ملكه «نينوى» وعثر على عشرين ألفا من أقراص هذه المكتبة(١) أ.هـ

**والدليل التاسع من توراة موسى على البعث:** وهو تصريح أنبياء بنى إسرائيل به، فى أسفارهم. وبيان ذلك: هو أن موسى ﷺ بين لبنى إسرائيل فى كتابه: أنه سيأتى نبى مثله، له يسمعون فى كل ما يكلمهم به. وأنه لن يقوم فى بنى إسرائيل نبى مثل موسى. وأنه لا يحل لنبى من بنى إسرائيل أن يزيد معنى على كتاب موسى أو ينقص منه معنى. ذلك قوله: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» (تث١٨: ١٧-١٩).

فإذا وجدنا -على ذلك- تصريحا من نبى من أنبياء بنى إسرائيل بالبعث من الأموات؛ فإنه يصرح بمعنى قال به موسى. وشرحه شرحا وافيا للذين آمنوا به. فإشعياء

(١) دراسات فى التوراة – عطية إبراهيم.

يقول لما هلك ملك بابل: «الهاوية من أسفل مهتزة لك، لاستقبال قدومك» (إش ١٤:٩) ويقول داود عن المتكبرين الملاعين: «مثل الغنم للهاوية؛ يساقون، الموت يرعاهم، ويسودهم المستقيمون. غداة. وصورتهم تبلى. الهاوية مسكن لهم» (مزمور ٤٩:١٤).

والهاوية: هى جهنم. ودار البوار: هى جهنم.

وقال موسى عليه السلام: إن أعمال بنى آدم فى سفر، وهى مذخورة إلى يوم الانتقام. وقد عبر كتاب الأسفار عن هذا المعنى؛ فقال داود عليه السلام: «أما هي فى سفرك»؟ (مز ٥٦:٨).

وقال داود عن الأشرار: «اجعل إثما على إثمهم، ولا يدخلوا فى برك. ليمحو من سفر الأحياء، ومع الصديقين لا يكتبوا» (مز ٦٩:٢٧-٢٨) وقال: إن كل عضو من أعضاء الإنسان. له سفر فقد خاطب الله بقوله: «رأت عيناك أعضائى، وفى سفرك كلها كتبت» (مز ١٣٨:١٦).

وكتاب الأناجيل كتبوا هذاالمعنى. فبولس يقول عن المجاهدين معه: إن أسماءهم قد كتبت «فى سفر الحياة» (١٩:٢٢) «المكتوبين فى سفر الحياة» (٢١:٢٧).

وقول موسى عليه السلام: «إلى يوم الانتقام» فى النص السامرى؛ أيده ابن سيراخ فى سفره؛ فإنه قد قال: «لا تؤخر التوبة إلى الرب، ولا تتباطأ من يوم إلى يوم؛ فإن غضب الرب ينزل بغتة، ويستأصل فى يوم الانتقام. لا تعتد بأموال الظلم؛ فإنها لا تنفعك بشىء، فى يوم الانتقام» (سيراخ ٥:٨-١٠). وقال: «لا ترتض بمرضاة المنافقين. اذكر أنهم إلى الجحيم لا يتزكون» (سيراخ ٩:١٧) - «أعط التقى، ولا تمد الخاطئ؛ فإنه سينتقم من المنافقين والخطاة؛ لكنه يحفظهم ليوم الانتقام» (١٢: ٤ - «أذكر: إن الموت لا يبطىء. ألم يبلغك عهد الجحيم؟» (١٤:١٢).

**والدليل العاشر من توراة موسى على البعث:** هو تصريح المسيح عيسى بن مريم به. وذلك لأنه نبى من أنبياء بنى إسرائيل، المأمورين باتباع التوراة، وعدم الزيادة عليها، والنقص منها. وهو قد صرح بذلك فى قوله لبنى إسرائيل وللأمم: «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه؛فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لاتعملوا» (متى٢٣:٢-٣) فلو علم العلماء أن البعث حق- وهم لن يقولوا به، إلا بناء على توراة موسى- لوجب على المؤمن بالله؛ أن يقر به، ولا يجادل فيه. وقد قال المسيح نفسه أيضا: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء» (متى ٥:١٧) وفى الناموس نصوص على البعث، وفى أسفار الأنبياء نصوص عليه.

وكان المسيح إذا سئل عن شيء في الدين؛ يجيب عنه بأدلة من كتاب موسى. ومثال ذلك:

١- سئل عن قيامة الأموات؛ فأقر بها. واستدل عليها بنص في سفر الخروج.

٢- سئل عن الوصية العظمى في الناموس؛ فأجاب بأنها محبة الله. واستدل عليها بنص في سفر التثنية.

٣- سئل عن «المسيح» الذي هو النبي الآتي على مثال موسى، من نسل من يأتي؟ من إسرائيل أو من إسماعيل؟ فنفى أنه من نسل إسرائيل. واستدل على النفي بنص في سفر الزبور.

وهذا واضح في الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل متى. وما يقابله في إنجيل برنابا.

ومن كلام المسيح في يوم البعث: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة؛ ليشتهيها؛ فقد زنى بها في قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها؛ وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله في جهنم» (متى ٥: ٢٧: ٣٠).

**والدليل الحادي عشر من توراة موسى على البعث:** هو تصريح علماء بني إسرائيل به، السامريين والعبرانيين. وهم على علم بلغة كتابهم.

**والدليل الثاني عشر من توراة موسى على البعث:** هو تصريح النصارى به. وهم طائفة من بني إسرائيل.

## المبحث الرابع

## كيفية إحياء الموتى عند أهل الكتاب

يقول النبي حزقيال - المسمى أيضًا بذي الكفل - في الإصحاح السابع والثلاثين من سفره: «كانت على يد الرب. فأخرجني بروح الرب، وأنزلني في وسط البقعة، وهي ملآنة عظامًا، وأمرني عليها من حولها. وإذا هي كثيرة جدًا على وجه البقعة وإذا هي يابسة جدًا.

فقال لي: يا ابن ادم. أتحيا هذه العظام؟ فقلت: يا سيد الرب أنت تعلم. فقال لي: تنبأ على هذه العظام، وقل لها: أيتها العظام اليابسة: اسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد

الرب لهذه العظام: هاأنذا أدخل فيكم روحًا، فتحيون، وأضع عليكم عصبًا، وأكسيكم لحمًا، وأبسط عليكم جلدًا، وأجعل فيكم روحًا، فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب.

فتنبأت كما أمرت. وبينما أن أتنبأ، كان صوت. وإذا رعش. فتقاربت العظام، كل عظم إلى عظمه. ونظرت وإذا بالعصب. واللحم كساها، وبسط الجلد عليها من فوق، وليس فيها روح. فقال لى: تنبأ للروح. تنبأ يا ابن آدم وقال للروح: هكذا قال السيد الرب: هلم يا روح من الرياح الأربع، وهب على هؤلاء القتلى، ليحيوا. فتنبأت كما أمرنى، فدخل فيهم الروح. فحيوا. وقاموا على أقدامهم. جيش عظيم جدًا جدًا» (حز ٣٧:١-١٠).

فكيفية إحياء الموتى هى:

**أولا: مرحلة بعث الجسد:**

(أ) لما حدث صوت الأمر الإلهى بالإحياء (ب) صار رعش (ج) وتقاربت العظام (د) والتأمت العظام (هـ) وكساها اللحم (و) وبسط الجلد عليها.

**ثانيا: مرحلة وضع الروح فى الجسد:**

(أ) نادى الله على الرياح (ب) فدخلت كل روح فى جسدها. لقوله: «من الرياح الأربع».

وهذا مثل خلق آدم فى بدء الخليقة:

حدث الأمر الإلهى بأن يكون. فصنع من الطين على مثال إنسان، ونفخ الله فيه الحياة. بواسطة الرياح؛ فصار آدم نفسًا حية.

وهو أيضًا مثل خلق الإنسان فى يوم البعث:

يصير رعش وتتقارب العظام، وتلتئم، ويكسوها الله باللحم ويبسط الجلد عليها. وينفخ في كل جسد من روحه بواسطة الرياح؛ فتحيا الجثث وتقوم لرب العالمين.

ويستدل اليهود بكلام حزقيال هذا على إمكان البعث فى يوم القيامة. وعلى قدرة الله فى الدنيا. أما النصارى. فهذا نص كلام الآباء اليسوعيين فيه:

«وقد استظهر كثير من الآباء بهذا النص، لإثبات قيامة الموتى. إلا أن برهانهم مستنتج، فيما صرح به أكثرهم، باعتبار العلاقة بين هذا الرمز والمرموز به إليه. لا باعتبار مفهوم الرمز من حيث هو.

وبيان ذلك -كما ذكره القديس إيرونيمس-: أن هذا المثال -أى مثال قيامة الموتى- لم يتخذ فى الكتاب المقدس رمزًا إلى لم شعث اليهود؛ إلا لأن قيامة الموتى أمر مقطوع به. لا بد أن يتحقق فى مستقبل الزمن. ويزيد هذا الكلام جلاء: ما قاله ترتليانس: إن المجاز لا ينتزع إلا من أمر ذى حقيقة. فتلخص من ذلك: أن هذا المثال. لما كان مأخوذًا من القيامة العامة؛ كان دليلا جازمًا على أن هذه القيامة أمر حقيقى، لا بد من وقوعه فعلا»(١) أ.هـ

## المبحث الخامس

## حجج علماء بنى إسرائيل العبرانيين على البعث من التوراة

يقول سعديا الفيومى فى كتابه الأمانات والاعتقادات:

«عرفنا ربنا -تبارك وتعالى- أنه قد أعد زمانًا لمجازاة الصالحين. وفيه يفصل بينهم وبين الكافرين. لقوله(١): «ويكونون لى قال رب الجنود، فى اليوم الذى أنا صانع خاصة، وأشفق عليهم، كما يشفق الإنسان على ابنه الذى يخدمه. فتعودون وتميزون بين الصديق والشرير، بين من يعبد الله ومن لا يعبده» (ملاخى ٣:١٧-١٨) وأقام لنا على ذلك الآيات والبراهين، فقبلناه.

فينبغى أن أذكر موجبات هذا الزمان - المسمى دار الآخرة - من الحجج المعقولة والمكتوبة والمنقولة» وبعدما فرغ من الحجج المعقولة. شرع فى الحجج المكتوبة. وذكر سبع حجج.

الأولى: إن الشريعة تسمى ما يكسبه الإنسان من الحكمة والشريعة: حياة. لقوله: «لم يسلكوا فى فرائضى ولم يحفظوا أحكامى، ليعملوها، التى إن عملها إنسان، يحيا بها» (حز ٢٠:٢١) وتسمى ما يناله الجاهل، مما يكسبه بالجهالة: موتًا. لقوله: «النفس التى تخطئ هى تموت» (حز ١٨:٢٠) ولما لم يجز أن يومئ بهذا إلى حياة الدنيا، إذ الصالح والظالم متفقان فيها؛ وجب أن يومىء بها إلى حياة الآخرة.

الثانية: عرفتنا الشريعة أن ذخرًا صالحًا باق بين يدى الله للصالحين، وذخرًا سيئًا باق للصالحين. لقوله: «ذكر الصديق للبركة، واسم الأشرار. ينخر» (أمثال ١٠:٧) وقال نحميا: «اذكر لى يا إلهى للخير كل ما عملت لهذا الشعب» (نح ٥:١٩) وقال فى الأشرار:

(١) ص ٧٢ - ٧٣ حواش على الكتاب المقدس - ترجمة الآباء اليسوعيين.

(٢) المؤلف ذكر أدلة من التوراة على يوم القيامة بالحروف العبرانية. ونحن ذكرناها بالترجمة إلى العربية. من ترجمة البروتستنت والآباء اليسوعيين.

«اذكر يا إلهى طوبيا وسنبلط حسب أعمالهما هذه. ونوعدية النبية وباق الأنبياء الذين يخيفوننى» (نح ٦:١٤) وهذا بعد ما قال الله فى التوراة: «وإنه يكون لنا بر، إذا حفظنا جميع هذه الوصايا، لنعملها أمام الرب إلهنا، كما أوصانا» (تثنية ٦:٢٥).

الثالثة: عرفتنا الشريعة أن لله كتبًا ودواوين، محفوظ فيها أعمال الصالحين والطالحين. كقول موسى ﷺ: «والآن إن غفرت خطيتهم. وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت» (خروج ٣٢:٣٢).

الرابعة: الإنذار بأن لله -عز وجل- موقفًا يجازى فيه كل من عمل خيرًا أو شرًا. كقوله: «إن أحسنت، أفلا رفع؟» (تكوين ٤٠:٧) وأيضًا: «إن طالت حياتهم فإنهم يحسبون كلا شىء، وفى أواخراهم تكون شيخوختهم بلا كرامة. وإن ماتوا سريعًا، فلا يكون لهم رجاء ولا عزاء فى يوم الحساب» (حكمة ٣:٧-١٨).

وأيضًا: «الشرير يتفكر ضد الصديق، ويحرق عليه أسنانه الرب يضحك به، لأنه رأى أن يومه آت» (مزمور ٣٧-١٢-١٣) وأيضًا: «السالك بلا عيب وفاعل البر، والمتكلم بالحق فى قلبه، الذى لا يغتاب بلسانه ولا يصنع بصاحبه شرًا، ولا يلقى على قريبه عارًا، وعنده الرذيل مهين، ويكرم الذين يتقون الرب. ويحلف للمسىء إليه ولا يخلف، ولا يعطى فضته بالربى، ولا يقبل الرشوة على البرىء. فمن عمل بذلك فلن يتزعزع إلى الأبد» (مزمور ١٤:٢-٥).

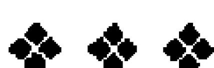
الخامسة: اتساع الكتب فى أن الله عز وجل حاكم عدل، يكافىء كل إنسان بما يصنعه. قالت التوراة: «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة. لا جور فيه. صديق وعادل هو» (تثنية ٣٢:٤) وأيضًا: «الرب بار فى كل طرقه، ورحيم فى أعماله» (مز ١٤٥:١٧).

وأيضًا: «أما الرب فإلى الدهر يجلس. ثبت للقضاء كرسيه. وهو يقضى للمسكونة بالعدل. يدين الشعوب بالاستقامة ويكون الرب ملجأ للمنسحق. ملجأ فى أزمنة الضيق» (مزمور ٩:٧-٩) وأيضًا: «لأن عينيه على طرق الإنسان وهو يرى كل خطواته» (أيوب ٣٤:٢١).

السادسة: التحذير من يوم أعده الله للمجازاة. وقال فيه: «قريب يوم الرب العظيم. قريب وسريع جدًا. صوت يوم الرب. يصرخ حينئذ الجبار مرا. ذلك اليوم يوم سخط، يوم ضيق وشدة. يوم خراب ودمار. يوم ظلام وقتام. ويوم بوق وهتاف على المدن المحصنة وعلى الشرف الرفيعة. وأضايق الناس فيمشون كالعمى. لأنهم أخطأوا إلى الرب فيفسح دمهم

كالتراب ولحمهم كالجلة. لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع إنقاذهم فى يوم غضب الرب، بل بنار غيرته تؤكل الأرض كلها؛ لأنه يصنع فناء باغتًا لكل سكان الأرض» (صفنيا ١:١٤-١٨).

السابع: تسمية الثواب موب (مآب) وإن الطالحين يمنعون منه. لقوله: «لأنه من هو من جميع البشر الذى سمع صوت الله الحى يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش» (تثنية ٥:٢٦).



وأيضا ما أعظم جودك الذى ذخرته لخائفيك وفعلته للمتكلين عليك تجاه بنى البشر تسترهم وجهك من مكايد الناس تحفيفهم فى مظلة من مخاصمة الألسن» (مزمور٣١:١٠٩:٢٠).

وبعد أن فرغ من ذكر أدلة التوراة، شرع فى ذكر نصوص مأثورة عن علماء بنى إسرائيل، مذكورة فى كتاب التلمود: منها: «إن مثل الدنيا عند الآخرة كدهليز عند قصر الملك، الذى ينبغى أن يتشكل المرء فيه بما يصلح له، قبل الدخول إلى القصر، إلى حضرة السلطان» ومنها: «ساعة توبة فى الدنيا، أنفع من جميع دار الآخرة. إذ لا توبة فيها» ومنها: «إن دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور. وليس مع ذلك لا طعام ولا شراب ولا غشيان ولا تناسل ولا شراء ولا بيع، ولا سائر الأمور التى فى الدنيا، وإنما ثواب من نور الخالق - جل وعز-» ومنها: «إن كل من لا يعتقد ثواب الآخرة، وتنزيل التوراة[1]، وصدق الناقلين لها، ليس له ثواب فى دار الآخرة».

ثم تكلم عن الثواب والعقاب. وبين أنه سيكون للروح وللجسد. ولكن الله تعالى سيبدل الأرض غير الأرض، والسموات غير السموات. وإذا كان فى الدنيا زروع وأنهار. فذلك لمعايش الناس. أما فى الآخرة فالناس لا يحتاجون إلى زروع وأنهار، ولا إلى تناسل. ولذلك لن يكون فى الآخرة للمؤمنين ما كان فى الدنيا، بل سيكون لهم نعيم من نور الله. وهذا النعيم حسى وللبدن والروح معًا. ولكننا لا نعلم كيفيته. لأنه من نور الله. وشرع فى ذكر أدلة من التوراة تصرح بالنعيم الحسى والعذاب الحسى. منها ما ترجمته: «نور الصديقين يفرح، وسراج الأشرار ينطفئ» (أمثال ١٣:٩) «حرش جلدى على وعظامى احترت من الحرارة فى» (أيوب ٣٠:٣٠) «ويصير القوى مشاقة، وعمله شرارًا. فيحترقان. كلاهما معًا. وليس من يطفئ» (إش ١:٣٠) «ومنذ الأزل لم يسمعوا ولم يصغوا. لم تر عين

(١) كلمة التوراة مكتوبة فى أصل المؤلف بالخط العبرى.

إلها غيرك يصنع لمن ينتظره» (إش ٦٤:٤) «ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا على، لأن دودهم لا يموت، ونارهم لا تطفأ. ويكونون رذالة لكل ذى جسد» (إش ٦٦:٢٤).

واعلم: أن إشعياء ٦٤:٤ وإشعياء ٦٦:٢٤ استدل بهما عيسى ﷺ على أن النعيم والعذاب فى الآخرة للروح والجسد. كما نقل عنه القديس برنابا.

ويعلق سعديا على النصوص التى نقلناها عنه بقوله: «وهذا القول يوجب أن يحفظ أرواحهم فى أجسامهم، بمعنى لطيف، سوى الحر المؤلم عقابًا لهم ويحتملونه. ويستقيم أيضًا أن يحفظ أرواحهم -أعنى المثابين- فى أجسامهم، بمعنى لطيف حتى يكون النور الواصل إليهم لذة دائمة».

وتحدث عن مكان الثواب والعقاب. فقال: «هؤلاء المثابين والمعاقبين. إذ هم ناس. أجساد وأرواح. لا بد لهم من مكان يستقرون عليه، ومحيط يحيط بهم، فيخلقه الخالق -جل وعز- ويسكنهم فيه. وهذا القول ضرورة الخلق تدفع إلى القول به. ومع ذلك فالكتب قد ذكرته. لكنها سمته سماء وأرضًا، تقريبا إلى فهمنا. إذ ليس نشاهد إلا سماء وأرضًا. ذاك قوله: «لأنه كما أن السموات الجديدة، والأرض الجديدة، التى أنا صانع تثبت أمامى. يقول الرب» (إش ٦٦:٢٢).

## المبحث السادس

## يوم القيامة فى أسفار الأبوكريفا

وأنقل هاهنا من أبوكريفا التوراة، وأبوكريفا الأناجيل، ما يدل على يوم القيامة؛ فأقول:

(أ) فى سفر رؤيا إبراهيم النبى ﷺ وهو من أسفار الأبوكريفا أنه رأى أحداثا مستقبلية؛ منها: خراب هيكل سليمان ﷺ، ومجىء المسيا المنتظر، ودينونة الأشرار. وفى هذا السفر: أن الله قال لإبراهيم: إن الشر يأتى من إرادة الإنسان الحرة. أ هـ.

ودينونة الأشرار. تعنى ١- إما هلاك اليهود على يد المسيا وأتباعه ٢- وإما الجزاء فى الدار الآخرة. وسفر عهد إبراهيم - وهو من أسفار الأبوكريفا- يبين أنه عندما شاهد إبراهيم شرور الناس على الأرض، وهو فى أيام موته؛ استمطر الدينونة عليهم. وعندئذ ظهر له -فى رؤيا- الطريق الرحب الذى يؤدى إلى الهلاك، والطريق الضيق الذى يؤدى إلى الفردوس. ثم يرى وزن النفوس فى الدينونة. وبعد موته أخذه ملاك الموت وأتى به إلى الفردوس. أ هـ

وفى قصاصة من إنجيل: وجدت فى «البهنسا» لقيها «جرنفيل» و «هنت» يقول عيسى ﷺ: «قبل أن يرتكب الإنسان الشر، يحاول أن يجد كل المبررات، ولكن احترس من أن نفعل نفس هذه الأشياء مثلهم؛ لأن فعلة الشر بين الناس، لا ينالون جزاءهم فى هذه الحياة فحسب، بل ينتظرون دينونة وعذابا شديدا» أ.هـ

(ب) فى سفر أسرار أخنوخ (النسخة السلافية): «أن الله خلق النفس صالحة، ولكن لأنها كانت حرة للإرادة، ولسكناها فى الجسد؛ ظهرت الخطية رغم ما تلقاه الإنسان من تحذرات من الطريقين. ولذلك فعلى الناس مواجهة الدينونة. ولن ينجو إلا الأبرار من جهنم المعدة للخطاة» وفى سفر أخنوخ الأول الإصحاحات ٤٥-٥٧ حديث عن سعادة القديسين وقياس الفردوس ودينونة الملوك والعظماء. والإصحاح ١٠٨ يتحدث عن مكافأة الأبرار وعقاب الأشرار.

## المبحث السابع

## حياة البرزخ عند أهل الكتاب

### انفصال الروح عن الجسد من بعد الموت عند اليهود:

يستدل اليهود على أن الروح لا تفنى بفناء الجسد. يقول زكريا: «يقول الرب باسط السموات ومؤسس الأرض وجابل روح الإنسان فى داخله» (زك ١٢:١) فسعديا الفيومى يقول: «عرفنا ربنا - تبارك وتعالى - أنه مبتدأ نفس الإنسان فى قلبه، مع كمال صورة جسمه، لقول (زكريا ١٢:١) وأنه جعل أجلا لمقامها مجتمعين. فإذا انقضى، فرق بينهما، إلى أن يتم عدد النفوس التى أوجبت حكمته خلقها. فإذا استتمها، جمع بينها وبين أجسامها. وجازاهم».

وعرف سعديا النفس بقوله: «جوهر عقلى صاف، أصفى من جوهر الكواكب والأفلاك. ونحن ليس نراها حسًا»(١).



ولماذا قال اليهود ببقاء الأنفس من بعد الموت؟

لأنه من وسائل جمعهم للمال من غير حله، أن بنوا قبورًا مشيدة للشهداء والصالحين. ووضعوا عليها مساجد، وعلقوا صناديق فى سقوف الأضرحة للم الصدقات.

---

(١) ص ١٦٦ الأمانات والاعتقادات.

زاعمين: أن الميت المدفون تحت الضريح تأتى روحه لتسمع وترى. وتقضى الحوائج، وتزيل الكربات والشدائد.

ولكنهم لا يصرحون بعذاب فى القبر أو بنعيم. لأن العذاب عندهم أو النعيم مصرح به فى يوم القيامة. وعلى عدم تصريحهم هذا، فإن الأرواح تكون معدومة من قبل يوم المجازاة. وهو يوم القيامة. لقوله: «أليس ذلك مكنوزًا عندى، مختومًا عليه فى خزائنى. لى النقمة والجزاء. فى وقت تزل أقدامهم» (تث ٢: ٣٤- ٣٥) وفى السامرية: «إلى يوم الأنتقام» ولقوله سعديا نفسه: «إلى أن يتم عدد النفوس التى أوجبت حكمته خلقها، فإذا استتمها جمع بينها وبين أجسامهم وجازاهم».

ولقول داود عليه السلام ﷺ «ترسل روحك، فيخلقون وتجدد وجه الأرض» بعد فناء الأجساد والأرواح فى القبور.

**انفصال الروح عن الجسد من بعد الموت عند النصارى:**

ويقول النصارى فى الأرواح بما يقول به اليهود، سواء بسواء، ولكنهم لما تكلموا فى حياة البرزخ – أى المدة من حين الموت إلى حين القيامة – لم يضبطوا كلامهم. وذلك لأنهم قالوا: إن أرواح السعداء عقب الموت مباشرة تكون مع المسيح فى الفردوس. أى أنها لا تعدم بعدم الجسد، وأن أرواح الأشقياء تظل فى عذاب إلى أن تقوم القيامة. وسعادة الروح وشقاؤها فى الحياة البرزخية يكون بقدر ضئيل هو أقل مما ينتظرها فى الجنة أو النار. مع أن نصوص التوراة تنفى حياة البرزخ. ونصوص الإنجيل تنفى حياة البرزخ.

**وهل لأرواح الأشقياء من فداء فى الحياة البرزخية؟**

تقول طائفة منهم – هى طائفة الكاثوليك –: إن روح الميت ستحاكم على الأعمال عقب الموت مباشرة. ونفوس الأخيار ستصعد إلى حيث يقيم المسيح. ونفوس الأشرار ستنزل فى مكان يسمى «المطهر» لتنال عذابًا على أعمالها السيئة. ومن الممكن فداء النفوس من عذاب المطهر بصدقات وأدعية وصلوات، يوهب ثوابها إلى الموتى. وإذ يفعل ذلك عنهم، تتطهر النفوس من الخطايا، وتخرج من المطهر إلى حيث يقيم المسيح. وهى نفس الحيلة التى احتال بها اليهود فى أكل أموال الناس بالباطل، لما بنوا القبور المشيدة وزعموا: أن أرواح الصالحين تسمع وترى.

وهى نفس الحيلة التى يحتال بها بعض المسلمين فى أكل أموال الناس بالباطل. لما بنوا القبور وزعموا: أن أرواح الصالحين تسمع وترى. ويزعمون أن جميع الموتى ينتفعون

بالصدقات وهبة ثواب قراءة القرآن. وذلك كله لا نصوص عليه، لا من القرآن، ولا من السنة الصحيحة.

والنصارى بقولهم هذا قد وقعوا فى تناقض. وذلك لأنهم يزعمون: أن الأعمال ليست شرط صحة فى دخول الجنة. فإن المسيح قد رفع عنهم الخطايا بموته على الصليب. وهاهنا يصرحون بعذاب للمقصرين: فى الأعمال. وهذا هو التناقض.

وقولهم بـ (أ) المطهر (ب) والفداء. هو سبب ما يحدث على قبور موتى المسلمين فى هذه الأيام. وكذلك قولهم بالشفاعة. والشفاعة عندهم تكون فى الدنيا، وذلك أن الحى منهم يدعو المسيح أو يدعو أمه أو يدعو صالحا من الصالحين فى نظره بقوله: لقد أذنبت وأخطأت. وها أنا اليوم تبت وأنبت فاشفع لى عند رب العالمين. أن يغفر لى ذنوبى، وأخطائى لا يحاسبنى عليها وأن يساعدنى على استمرار التوبة ثم يعمل الأعمال الصالحة. أما فى الدار الآخرة فإنهم ينفون الشفاعة رأسًا. كما ينفيها القرآن فى قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨).

**النبى – صلى الله عليه وسلم – يصدق اليهود فى إنكارهم عذاب القبر:**

وفى القرآن الكريم آيات نزلت بمكة، وآيات نزلت بالمدينة، ومن الآيات المكية آية آل فرعون فى سورة غافر. ولم يفهم منها النبى ﷺ أنها تدل على عذاب القبر. ولم تفهم عائشة أيضًا. وذلك لأنه بعد الهجرة. كانت خادمة تخدم النبى ﷺ فكلما صنعت عائشة معها معروفًا، دعت لها اليهودية بقولها: وقاك الله عذاب القبر. فاستنكرت عائشة –رضى الله عنها– قولها. واستنكارها هو دليل قوى على أن آية آل فرعون لا تدل عليه. ولذلك سألت النبى ﷺ عن عذاب القبر. وأجاب بالنفى. ثم قال لها: من زعم ذلك؟ قالت: اليهودية التى تخدمنا. فقال: «كذبت يهود. وهم على الله أكذب. لا عذاب دون يوم القيامة»(١).

(١) توجد رواية أخرى تدل على أنه بادر إلى تصديق اليهودية (راجع تفسير سورة غافر فى تفسير ابن كثير الدمشقى) واعلم: أن كتب علماء اليهود تنفى عذاب القبر وفى بعض الروايات أنه قال بعد النفى: أوحى إلى أن فى القبر عذابا. وعلى هذه الرواية لا تكون آية آل فرعون نصا فى عذاب القبر. ويلزم على المثبت إيراد آية الوحى. وذلك لأن العقائد لا تثبت بأحاديث.

## تأبيد الثواب والعقاب فى التوراة:

وقد قال -تعالى- فى القرآن الكريم: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٤٠) والمنزل عليهم فى الكتاب: هو فى الزبور الأول لداود ﷺ. ونصه فى ترجمة اليسوعيين: «طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة المنافقين، وفى طريق الخطأة لم يوقف، وفى مجلس الساخرين لم يجلس. بل فى شريعة الرب هواه، وفى شريعته يلهج، نهارًا وليلا. فيكون كالشجر المغروس على مجارى المياه، الذى يؤتى ثمره فى أوانه، وورقه لا يذبل، وكل ما يصنعه ينجح. ليس كذلك المنافقون. لكنهم كالغفى الذى تذريه الريح. لذلك لا يقوم المنافقون فى الدين، ولا الخطأة فى جماعة الصديقين، فإن الرب عالم بطريق الصديقين، أما طريق المنافقين فتهلك» وفى ترجمة البروتستانت: «طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس... إلخ».

وقال -تعالى- فى القرآن الكريم عن اليهود: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ٢٤).

أى أن فى الدين من الذى لم يفتروا فيه: أن الثواب مؤبد، والعقاب مؤبد. ومن نصوص التأبيد:

١- «وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار. للازدراء الأبدى. والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردوا كثيرين إلى البر[١]؛ كالكواكب إلى أبد الدهور» (دانيال١٢:٢-٣).

٢- «تعرفنى سبيل الحياة. أمامك شبع وسرور. فى يمينك نعم إلى الأبد» (مزمور ١٦:١١).

٣- «لا يفتدى أحد أخاه أصلا. ولا يعطى الله كفارة عنه. إذ فداء نفوسهم ثمين، حتى لا يحصل عليه إلى الأبد. أفيحيا أيضًا على الدوام، ولا يعاين الفساد؟ بل يعاينه.

(١) الذين ردوا كثيرين إلى البر: يعنى بهم: المجاهدون فى سبيل الله، كما سار إبراهيم -عليه السلام- أمام الله.

الحكماء يموتون وكذلك الجاهل والغبى. يهلكون ويخلفون غناهم لآخرين. قبورهم منازلهم مدى الدهر، ومساكنهم إلي جيل فجيل. وقد دعوا البلاد بأسمائهم. كان الإنسان فى كرامة فلم يفهم، فماثل البهائم وتشبه بها. هذا هو طريقهم وجهلهم. وأعقابهم يرتضون بهم. سلاه. جعلوا فى الجحيم كالغنم. فيرعاهم الموت ويسود عليهم المستقيمون فى الغداة. ويمحو الجحيم ذكرهم حتى من سكناهم. الله وحده يفتدى نفسى من يد الجحيم، حين يأخذنى. سلاه. لا تخشى إذا استغنى إنسان ونمى مجد بيته؛ فإنه إذا مات لا يأخذ شيئًا ولا ينزل معه مجده. وبينما يبارك نفسه فى حياته، ويمدح على رغد عيشه، ينضم إلى جيل آبائه، الذين لا يعاينون النور أبدًا» (مزمور ٤٨ :٨-٢٠) وفى ترجمة البروتستانت لفظ «الهاوية» بدل «الجحيم».

٤- «فى البدء أسست الأرض، والسموات هى صنع يديك. هى تزول وأنت تبقى. وكلها تبلى كالثوب. وتطويها كالرداء فتتغير. وأنت أنت وسنوك لن تفنى. بنو عبيدك سيسكنون وذريتهم تثبت أمامك» (مزمور ١٠١ :٢٦-٢٩).

**تأييد الثواب والعقاب فى أسفار الأبوكريفا عند اليهود:**

يوجد مقر للأموات. والأبرار فيه منفصلون عن الأشرار، الذين يقاسون قصاصهم هناك. فسفر أخنوخ يفرق بين أربعة مساكن للراحلين. منها اثنان للأبرار، واثنان للأشرار (١٣:٢١) فقريق من الأشرار - الذين نالوا العقاب فى هذه الحياة - يبقون فى «الهاوية» إلى الأبد، بينما يقوم الآخرون ويمضون إلى عذاب جهنم (٢:١٧) أما الأبرار ففى الفردوس «جنة الحياة» (١٢:٦١) «جنة البر» (٢:٦٧).

وهذه الخاصية لـ «الهاوية» كمكان للعقاب، سواء كان وقتيا أو دائما تذكر كثيرا فى كتاب اليوبيل ٢٩:٧ و ٢٢:٢٢ وفى المكابيين الثانى ٢٣:٦ وفى مزامير سليمان ١٤ :٦ و ١١:١٥ و ٢:١٦.

ويقول الدكتور تشارلز: «إنه فى بعض المواضع صارت الهاوية مسكن النار. وبذلك فهى وجهنم يعنيان شيئا واحدا» وفى العديد من المواضع من الشبهات فى أخنوخ ٩١ :١٠٤ نجد الهاوية وجهنم مترادفتان».

وفى سفر أخنوخ تجد الساقطين الذين زنوا مع النساء (تك ٦:٢) مقرزون فى الدينونة للنار الأبدية المتقدة (أخنوخ ٢١:١ - ٦و ٩٠:٢٠-٢٥).

وفى سفر أخنوخ تناقض عن القيامة. ففى أخنوخ ٢٢ سيقام الأبرار وفريق من

الأشرار وفى أخنوخ ٦١: ٥ و ٩٠: ٢٣ وفى مزامير سليمان ٣: ١٦ أن كل الأبرار سيقامون، ولن يقوم أحد من الأشرار. وفى أخنوخ ٩٠: ٣٨ أن أجساد الأبرار ستتغير فى القيامة.

وفى سفر المكابيين الثانى: أن القيامة لبنى إسرائيل من دون الناس ٣: ١٦و ١٣: ٩ و ١٤و ٢٣ وليس للأمم قيامة ٧: ١٤ و ٣٦.

## المبحث الثامن

## يوم الرب العظيم

هو «اليوم» المحدد، لظهور النبى المماثل لموسى ﷺ. وهو يوم عظيم ومخيف كما عبر عنه ملاخى فى سفره. وذلك لأنه هو وأصحابه الأخيار سيقومون بحروب على بنى إسرائيل والأمم، وسينتصرون على بنى إسرائيل والأمم، ويؤسسون مملكة لا تنقرض أبدا، وشعبها لا يترك لملك آخر. كما وضح النبى دانيال فى حديثه عن ملكوت السموات.

ولهذا اليوم العظيم والمخوف علاقة ببنى إسرائيل، وعلاقة بالأمم.

(أ) أما علاقته ببنى إسرائيل. ففى سفر إشعياء إنه يوم تأديب لهم من الله على خطاياهم (إش ٢: ١٢) وفى سفر عاموس أنه ليس نقمة على أعداء بنى إسرائيل فحسب (٥: ١٨) كما كانوا يستفتحون على أمم الكفر، بل إن بنى إسرائيل أنفسهم هم أول من يقع عليهم ضربات تأديب الله. يقول عاموس: «إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض. لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم» (عا ٣: ٢).

وليست دينونة الله على بنى إسرائيل للعقاب فقط فإنها هى أيضا للتطهير والتنقية. إذ سيسلم منهم أناس، ويدخلون فى دين النبى الأمى الآتى، ويكونون زرعا مقدسا بأخذ أجره مرتين، كما فى إش ٦: ١٣ عا ٩: ٩ صنفيا ٣: ١٢ و ٢٠ وسفر هوشع يوضح هذا بأسلوب رصين.

(ب) وأما علاقته بالأمم - والأمم هم أى أمة غير بنى إسرائيل - فإن التوراة تبين: أن الله تعالى سيستخدم الأمم أدوات لإتمام قضائه على بنى إسرائيل. أى أنه سيحارب بنى إسرائيل بالأمم التى دخلت فى دين النبى المماثل لموسى. ولسوف ترجع بقايا من جميع أمم الأرض إلى الله تعالى وتدخل فى دينه مع الذين دخلوا أولا، كما فى زكريا ١٤: ١٦ وتجمع أسفار التوراة على أن «ملكوت الله» وهو ملك النبى الأمى المماثل لموسى، سيمتد حتى تمتلئ الأرض من مجد الله، ويدخل الناس فى دين الله أفواجا. انظر:

إش ٢: ٢-٥ ميخا ٤: ١-٥ إش ٤٢: ٤ و ٦٠ و ٦٦: ٣-٦ إرمياء ١٢: ١٤-١٦ و ١٦: ١٩-٢١

حز ١٦ :٥٣ و ٥٥ و ٦١ وسيرد الله الأمم المقهورة إلى القوة فى حالة اعتناقها للشريعة الجديدة ودخولها فى ملكوت الله كما فى عاموس ٩:١١ حب ١٤:٢ مز ٢٢ :٢٧ - ٣١و ٦٥ :٢ و ٥ و ٨٦ :٩ ومز ٨٧ وهذه الحوادث فى لغة كتاب الأسفار تختص بالأيام الأخيرة لملكوت بنى إسرائيل والأيام الأولى لملكوت النبى الآتى (إش ٢ :٢ إرمياء ٤٨ :٤٧ حز ٢٨ :١٦ هوشع ٥:٣ ميخا ٤ :١).

فى نبوءة دانيال العظيمة عن الممالك الأربع، نراها تتحطم إلى أجزاء، بواسطة «ملكوت السموات» المشبه بحجر، قطع من جبل بغير يدين (دانيال ٢ :٤٤ و ٤٥ مع ٧: ٢٧).

وأعطى قديم الأيام الملكة إلى شبه «ابن الإنسان» (١٣:٧). كما يشارك حجى وزكريا النبيان - بعد السبى - فى هذه الآمال اللامعة (حجى ٢ :٦ و ٧ زك ٢ :١٠ و ٨ :٢٠ - ٢٣ و ١٤ :١٦). وفى سفر ملاخى نجد واحدا من أقوى الأقوال النبوية: «من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم بين الأمم» (١ :١١) ويختتم النبوة بالإعلان عن النبى المماثل لموسى مرسلا من الله؛ فهو الذى سيأتى باليوم «العظيم والمخوف» (ملاخى ٤).

ويتفق معنا اليهود والنصارى فيما قلناه؛ عن «يوم الرب» وفى الشواهد التى ذكرناها من الكتاب. ويصرحون بختم النبوة بالإعلان عن النبى الأمى الآتى المماثل لموسى مرسلا من الله؛ فهو الذى سيأتى باليوم «العظيم والمخوف» ووجه الخلاف هو فى قول النصارى: أن النبى الأمى الآتى هو المسيح بن مريم وقد جاء. وفى قول اليهود: إن هذا النبى الأمى لم يأت بعد.

وهم يعلمون علم اليقين: أن المسيح عيسى بن مريم ﷺ لم يحارب ولم ينتصر. وأن الأزمنة التى حددتها النبوءات لظهور النبى الأمى قد تمت فى محمد ﷺ أليس هو الذى أزال دولة الروم من الأرض، كما أنبأ دانيئال؟

## المبحث التاسع

## الدينونة الأخيرة

والدينونة ومعناها: القصاص والجزاء، تكون فى الدنيا، وتكون فى الآخرة.

والدينونة فى الدنيا تكون للفرد، وتكون للجماعة. فالدينونة على الفرد بسبب أعماله السيئة؛ أشار إليها داود ﷺ فى المزمور الأول الآية الخامسة.

والدينونة على الجماعة أبرز مثال لها: ما حدث لبنى إسرائيل فى سبى بابل؛ فقد

سلط الله عليهم الأمم الكافرة. بسبب أعمالهم السيئة. وأشار داود إلى دينونة على العالم الشرير، فى المزمور السادس والتسعين ١٣ والثامن والتسعين ٩ و ٥٠.

وظهور النبى الأمى مع أصحابه الأخيار وحربهم للأشرار أهل الكتاب وانتصارهم عليهم هو دينونة. وقد نص الكتاب على ذلك فى قوله: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تباد من الشعب» وفى القرآن الكريم عن هذه الدينونة: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ (الحشر:٢).

يعنى بديارهم أرض فلسطين. ويعنى بأول الحشر أول لقاء بينه وبينهم فى شخص النبى والصحابة. وذلك لتأسيس الملكوت فى ديارهم وأرضهم.

ويعبر سفر أخنوخ عن القصاص والجزاء فى الحياة الآخرة بتعبير «الدينونة العادلة» - «يوم الدينونة العظيم» - «الدينونة الأخيرة» - «دينونة كل الأبدية» (١٠ و ٦ و ١٢ و ١٦:١ و ١٩:١ و ٢٢:٤ و ١١ و ٢٥:٤ و ٩٠:٢٦ و ٢٧ ...إلخ). «فسيدان الملائكة الأشرار والناس الأشرار، ويلقى بهم فى جهنم، فى دينونة، لا نهاية لها» أ هـ

وفى أسفار الرؤى المتأخرة: نجد أن البعث من الأموات للدينونة الأخيرة، يكون بعد ظهور «المسيا» وهو النبى الأمى المماثل لموسى ﷺ. أى أنه إذا ظهر النبى الأمى، تكون الساعة قد اقتربت. وذلك لأنه صاحب شريعة سيظهرها الله لجميع الأمم. وستدين بها الأمم. وحينما تدخل الأمم فى دينه، تكون النهاية للحياة الدنيا، وتتبدل الأرض غير الأرض، والسموات.

ومنهم من حدد ملك المسيا بأربعمائة عام، ومنهم من يقول: إنه غير محدد المدة، ويضم فى ملكه الأمم المخلصين (الأقوال السبلينية ٦٩٨:٣ - ٧٢٦ أخنوخ ٢٠:٣٠ و ٣٧ مع ٤٨:٥ و ٥٣:١ ومزامير سليمان ١٧:٢٢-٣٥).

وفى كتب علماء بنى إسرائيل تجد أقوالا مشوشة، منها: أن المدة أربعمائة سنة وقال بعضهم: هى ألف عام - كما جاء فى تاريخ الشعب اليهودى لشورر. وفى نهايتها تجديد العالم والقيامة والدينونة والسعادة الأبدية للأبرار. وتعتبر دينونة الأشرار -غاليا- أبدية. وقال بعضهم: إن الدينونة محدودة المدة، ولن تمسهم النار إلا أياما معدودة.

## المبحث العاشر

## انقضاء الدهر

وفى توراة موسى -عليه السلام- بركة لإسماعيل، وبركة لإسحق. أى لنسل إسحق مدة ملك بشريعة إلهية على الأمم، ولنسل إسماعيل مدة ملك بشريعة إلهية على الأمم. ومدة ملك نسل إسحق تسمى بملكوت الله على الأرض، ومدة ملك نسل إسماعيل تسمى بملكوت الله على الأرض. وتعبر التوراة بتعبير «اليوم الأخير» عن اليوم الذى تنتهى فيه مدة ملك نسل إسحق، وعبر عنه إشعياء بآخر الأيام. ويعبر عنه علماء بنى إسرائيل بانقضاء الدهر. أى انقضاء دهر بركة إسحق، وبدء دهر بركة إسماعيل. ويعبرون عن دهر المسيا بالعالم الآتى. وهذه التعبيرات مذكورة أيضا فى الأناجيل (مت ١٣:٣٩ و ٤٠ و ٤٩ و ٢٤:٣ و ٢٨:٢٠ يو ٦:٣٩ و ٤٤ و ٥٤ و ١٢:٤٨ و ١ كو ١٠:١١ و ٢ تى ٣:١ وعب ١:٢ و ٩:٢٦ يع ٥:٣ و ١ بط ١:٥ و ٢٠ و ٢ بط ٣:٣ و ١ يو ٢:١٨ ويهوذا ١٨).

ولأن النصارى يزعمون أن المسيا هو يسوع -وليس هو- يقولون: «إن المؤمنين بيسوع يعيشون فى «الأيام الأخيرة» و «إليهم قد انتهت أواخر الدهور» ولكن «اليوم الأخير» أو «انقضاء الدهر» مازال فى طى المستقبل» هذا هو قولهم. ومعناه:

(أ) أن دهر المسيا قد ظهر، وأنه هو دهرهم.

(ب) وأن اليوم الأخير أو انقضاء الدهر ليس هو اليوم الذى ظهر فيه المسيا أيا كان شخصه. بل هو يوم المجىء الثانى ليسوع ليكمل ملكوته.

أما أن دهر المسيا هو دهرهم: فذلك باطل؛ لأنهم طائفة من بنى إسرائيل. وأما أن اليوم الأخير أو انقضاء الدهر، هو المجىء الثانى ليسوع. فإن يسوع نفسه قد قال فى إنجيل يوحنا: «ولست أنا بعد فى العالم».

### المجىء الثانى للمسيح

إن التمييز بين «المجىء الأول» و «المجىء الثانى» ليسوع الذى يدعى المسيح؛ غير موجود فى الأناجيل الأربعة. وموجود فى سفر مزيف هو سفر عهود الآباء الاثنى عشر (٥٢:١٦) وسبب وجوده فى هذا السفر المزيف: هو أنه من قبل زمان عيسى ﷺ كان بعض اليهود يعتقدون: أن الله قد خلق «المسيا» ووضعه فى مكانه. يعنون: أنه لما نبه على مجيئه من قبل مجيئه، فكأنه قد خلقه بالفعل ووضعه فى مكان عنده.

## المبحث الحادى عشر
## الدينونة فى الأناجيل

يتفق النصارى مع اليهود فى أن ظهور المسيا، مقدمة للقيامة من الأموات. ويقولون: أن عصر المسيا مرحلة، والقيام من الأموات مرحلة. ونحن فى المرحلة الأولى. وفى نهايتها تبدأ المرحلة الأخيرة وهى مرحلة «الدينونة العادلة» ويسمون عصر المسيا، من حين ظهوره إلى حين انتهاء العصر بعصر «ملكوت الله» أو «ملكوت السموات».

وعندهم مشكلة لا يجدون لها حلا. وهى: أن ملك «المسيا» على الأمم بالحرب لم يحدث. وذلك لأنهم يزعمون أن «المسيا» هو يسوع المسيح. ويسوع المسيح لم يملك على الأمم ولم يحارب، ولم ينتصر. والنبوءات عن «المسيا» تنبئ أنه سيكون ملكا، وسيحارب وينتصر. فإذن يسوع المسيح ليس هو «المسيا» النبى المماثل لموسى. وكيف يكون هو، وهو نفسه قد عبر عن ملكوت الله بقوله: «قد اقترب منكم ملكوت الله» أى ليس هو صاحبه؟ كيف ودانيئال قد حدد ظهور الملكوت بزوال المملكة الرابعة وهى دولة الروم؟ ويسوع قد ولد فى بدئها، وقال عنها!! «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» وظلت الروم قائمة فى فلسطين إلى ظهور محمد -صلى الله عليه وسلم- وقد أزالها، وأسس الملكوت، كما أنبأ دانيئال.

وهم قد قالوا عن هذا الأمر: إن يسوع هو المسيا، وأنه أسس الملكوت ولم يكمله. وسوف يأتى ليكمله. والمؤمنون به من حين ظهوره إلى أن يظهر لتكميله؛ هم فى انتظاره؛ ليكمل بناء الملكوت. وهل سيكمله على الأرض، أم سيكمله فى السماء؟ يقولون: سيكمله فى السماء.

فهم يتوقعون (أ) مجيئا ثانيا، ومعه دينونة. (ب) ويتوقعون بعد انتهاء مدة التكميل «الدينونة العادلة» فى يوم القيامة. والدينونة عندهم تكون روحية، كإنسان يحلم حلما.

## المبحث الثانى عشر
## الرجاء القومى

وعند اليهود فكرة «الرجاء القومى» ومعناها: أن بنى إسرائيل فى أيام المسيا، سيملكون على بلاد الأمم، وسيتمتعون بخيرات بلادهم، وتجبى إليهم فى «أورشليم» ثمرات كل شىء. ويقهرون أعداءهم، ويغلبونهم، وينتصرون عليهم وقد صرح كتاب الأناجيل بذلك. فقد قال يهودى لعيسى ﷺ «طوبى لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله».

وهذه الفكرة عليها نصوص كثيرة فى التوراة وفى الأناجيل. منها: «ولا يكون لملكه نهاية» ومنها أقوال يوحنا المعمدان نفسه، عن تأسيس الملكوت بالحرب الضروس، والانتصار على الأمم. ومنها ما جاء فى أقوال العلماء: أن المسيا سيحكم على الأرض هو وأتباعه أربعمائة أو ألف عام. وهذه الأقوال كلها تنفى الملك الروحى للمسيح ﷺ الذى يزعم النصارى أنه هو المسيا. ذلك لأنه لم يحكم على وطأة قدم من أرض بنى إسرائيل.

والأقوال تدل على أنه بعد انتهاء عصر المسيا تكون الحالة الأبدية. وهى الحياة الآخرة بعد البعث من الأموات. وتكون الحياة لكل فرد بروحه وجسده.

وعند النصارى فكرة «الرجاء القومى» ومعناها: أن ملك المسيا هو ملك روحى، وأن انتصاره على الأعداء قد تحقق بخلاص المؤمنين من ذل المعصية، وأن ملكوته الدائم سيكون فى السماء وليس على الأرض. ويفرقون بين الدهرين بقولهم: إن «العصر الحاضر» - «هذا العالم» - «هذا الدهر» فى مقابلة «الدهر الآتى» أو «العالم الآخر» معناه: دهر الشر الوقتى، ودهر الكامل والدائم. فلكل دهر خواصه وترتيب الأشياء فيه. وهذا المعنى مردود بالنصوص الكتابية التى تبين أن الدهرين هما فى الحياة الدنيا. أولهما: دهر الشريعة فى بنى إسرائيل، وآخرهما: دهر الشريعة فى بنى إسماعيل. لقوله: «بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك» ولقوله: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه... إلخ».

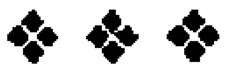
عنده، فى السماء، أو فى الأرض. ويعتقدون: أن هذا هو الظهور الأول له. وإذا ظهر فى حينه يكون ظهوره ثانيا، لا أولا. فاستخدم النصارى هذا الاعتقاد لبيان أن عيسى ظهر أولا على الأرض، ولم يقم مملكة. ولسوف يظهر ثانية ليقيمها. وقد أخذوا هذا الاعقتاد من باروخ المزيف ٢٩: ٣ و ١:٣٠ وإسدراس الرابع أو الثانى ٢٨:٧.

ويرد اعتقادهم هذا: أن عيسى ﷺ لما تكلم عن ملكوت السموات وهو ملكوت المسيا. قال: إنه قد اقترب، وذكر علامات تحدث على الأرض. إذا ظهرت. فإن ملكوت الله يظهر فى الحال. وقال: إن رجسة الخراب التى تحدث عنها دانيال فى المكان المقدس وهو مدينة أورشليم، ستحدث فى حال ظهور ابن الإنسان وهو المسيا. ودانيال حدد زمن الرجسة بسبعين أسبوعا، وحدد ظهور الملكوت بزوال دولة الروم. كما هو مبين فى إنجيل متى وفى الإصحاح السابع والتاسع من سفر دانيال.

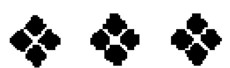
ومع هذا ينفى عيسى ﷺ مجيئه ثانية على الأرض ويقول: «ولست أنا بعد فى العالم» - «ولا تروننى أيضا».

## ويلات المسيا

وقد ذكر عيسى ﷺ علامات لإعلان اقتراب المسيا. منها المصائب والضيقات، المصاحبة لختام الدهر الحاضر - دهر بركة إسحق -، وبداءة الدهر الآتى، - دهر بركة إسماعيل - باعتبارها أوجاع مخاض الدهر الآتى. وذلك فى متى ٢٤:٨ ومرقس ١٣:٨ وهذا يقول به اليهود والنصارى. ثم ينفرد النصارى بقولهم: إن من العلامات: خراب أورشليم، وهدم هيكل سليمان، ونشر تعاليم الإنجيل بين الأمم وانسكاب الروح القدس فى عيد الخمسين.



أما عن خراب أورشليم وهدم الهيكل: فإن علماء بنى إسرائيل يعرفون أن النبى الآتى سيأتى بحروب ليقر شريعة من الله. وهم مكلفون بالسماع منه. وهما يدخلان تحت الحروب والضيقات العظيمة وقد قال المسيح: إنهما من العلامات.



نص العلامات عن محمد -صلى الله عليه وسلم- من إنجيل لوقا:

«وإن كان قوم يقولون عن الهيكل إنه مزين بحجارة حسنة وتحف قال هذه التى ترونها ستأتى أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض. فسألوه قائلين يا معلم متى يكون هذا وما هى العلامة عندما يصير هذا. فقال انظروا لا تضلوا. فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين إنى أنا هو والزمان قد قرب. فلا تذهبوا وراءهم. فإذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا لأنه لا بد أن يكون هذا أولا. ولكن لا يكون المنتهى سريعا. ثم قال لهم تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة. وتكون زلازل عظيمة فى أماكن ومجاعات وأوبئة. وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء. وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمى. فيؤول ذلك لكم شهادة. فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا. لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوسوها أو يناقضوها. وسوف تسلمون من الوالدين والإخوة والأقرباء والأصدقاء ويقتلون منكم. وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى. ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك. بصبركم اقتنوا أنفسكم. ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا إنه قد اقترب خرابها. حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال. والذين فى وسطها فليفروا خارجا. والذين فى الكور فلا يدخلوها. لأن هذه أيام

انتقام ليتم كل ما هو مكتوب. وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب. ويقعدن بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم. وتكون أورشليم مدرسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم.

وتكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم. وعلى الأرض كرب أمم بحيرة. والبحر والأمواج نضيح. والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتى على المسكونة لأن قرات السموات تتزعزع. وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحابة بقوة ومجد كثير. ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب. وقال لهم مثلا. انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار. متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب. هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب. الحق أقول لكم إنه لا يمضى هذا الجيل حتى يكون الكل. السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول. فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة. لأنه كالفخ يأتى على جميع الجالسين على وجه كل الأرض. اسهروا إذاً وتضرعوا فى كل حين لكى تحسبوا أهلا للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا عدام ابن الإنسان» أ.هـ

وأما عن نشر الإنجيل بين الأمم: فالإنجيل هو البشرى المفرحة بمجىء المسيا. وليس هو عيسى ﷺ الذى قال لأتباعه: إن الكرازة بالإنجيل هى «شهادة لهم وللأمم» على أن النبى المماثل لموسى سيأتى من بعده.

وأما عن انسكاب الروح القدس: فهو تضليل من النصارى فى معنى «بيراكليت الروح القدس» أى: أحمد، الآتى من الله الطاهر، لا من الشيطان النجس.

ولذلك يقول علماء النصارى: إن العلامات التى ينفرد بها النصارى «من أصعب وأعقد المشاكل، ولا يوجد لها حل كاف حتى الآن» أ.هـ

وقد أزلت صعوبتها، وحللت عقد مشاكلها فى كتاب «البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل» وبينت أن العلامات هى علامات لظهور محمد ﷺ الملقب عندهم بالمسيا المنتظر. وبابن الإنسان.

وقد فرق عيسى ﷺ بين (أ) العلامات (ب) وظهور المسيا من بعد العلامات فقال: لا بد من حدوث العلامات على الأرض. وبعد تمامها سوف يظهر المسيا. ولكننى لا أعرف اليوم الذى سيظهر فيه.

وقد عبر عن حدوث العلامات بقوله: «لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله» كناية عن قرب مجيئه؛ وعبر عن جهله باليوم الذى سيظهر فيه المسيا بقوله: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد».

ومن العلامات: رجسة خراب دانيال والضيقات العظيمة التى تحل باليهود وظهور أنبياء كذبة وانتشار الإنجيل فى العالم «ثم يأتى المنتهى» وقيام حروب بين الأمم وحدوث زلازل ومجاعات. وإذا وقعت العلامات على الأرض، يظهر ابن الإنسان وأتباعه لخراب أورشليم وهدم الهيكل.

وعلماء النصارى متحيرون فى هذا الشأن. وذلك لأن العلامات قد حدثت وظهر بعدها محمد رسول الله ﷺ وفى كتب تفاسيرهم رأيان:

الرأى الأول: إن بعض العلامات قد حدثت بعد عيسى مباشرة، وباقى العلامات ستكون داخلة فى المجىء الثانى. والاعتراض عليه: (أ) هو أن المسيح يذكر علامات لحدث واحد. هو تأسيس الملكوت. لقوله: «فاعلموا: أن ملكوت الله قريب» (ب) إن تجزئة العلامات - كما يقول «زاهن» فى تفسيره لإنجيل متى - يخلق مشكلة افتراض الهيكل فى أورشليم فى الأيام الأخيرة، قبل المجىء الثانى مباشرة. فرجسة الخراب، المأخوذة عن دانيال ١٢:٨ و ٢٧:٩ و ٣١:١١ و ١١:١٢ وسيراخ ٢:٤٩ معناها: خراب الهيكل.

وقد خرب هيكل سليمان بعد ظهور محمد ﷺ ولن يبنى بعد، لقول المسيح: «لا يترك هاهنا حجر على حجر لا ينقض» (ج) إن تبشير الأمم بالإنجيل لم يتم فى جيل المسيح. والإنجيل يبشرهم باقتراب «ملكوت السموات» الذى سيتأسس بعد دولة الروم. والمجىء الثانى معناه أن دولة الروم ما تزال قائمة. والتاريخ لا يقر بذلك.

والرأى الآخر - وهو رأى «برجز» فى مسيح الأناجيل ١٣٢ - ١٦٥ - هو: أن حديث المسيح عن العلامات يدل على (أ) خراب أورشليم والهيكل (ب) وعلى نهاية العالم. وأن المسيح حدث الحواريين عن (أ) الوقت (ب) والعلامات.

ويقول: إن العلامات كلها لحدث واحد. وتحديد الوقت معقد. فهو سلبى فى مرقس ١٣:٥-٨ وهو إيجابى فى مرقس ١٣:٩-١٣ ويستدل على أن خراب أورشليم والهيكل حادثة وليس علامة بما ورد فى لوقا ٢١:٢٠-٢٤.

والاعتراض عليه: هو أنه فهم نهاية العالم على أنه انتهاء الحياة الدنيا وبدء الحياة الآخرة من بعد البعث من الأموات. وفهمه باطل. وذلك لأن المسيح يقول: «وأما تلك الأيام

بعد ذلك الضيق» (مز ١٣ :٢٤) وقوله يشير إلى زمن دنيوى يكون بعد وقوع العلامات. وهذا الزمن الدنيوى يتأسس فيه ملكوت ابن الإنسان. والعلامات -كما قال- كلها تدل على خراب أورشليم والهيكل فى حال ظهور ابن الإنسان وأصحابه. كما قال متى: «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده... الخ».

وسؤال الحواريين للمسيح. لم يكن فقط عن حدوث الكارثة القومية المروعة لخراب المدينة المقدسة والهيكل. وإنما كان أيضا عن مجىء «ابن الإنسان» لتأسيس «ملكوت السموات» بعد خراب المدينة. وأجاب المسيح بالارتباط الشديد بين الكارثة ومجىء ابن الإنسان. بل صرح بأن «ابن الإنسان» هو الذى ستتم على يديه هذه الكارثة المروعة. وذلك واضح من قوله: «ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش، فاعلموا: أنه قد اقترب خرابها» ومن قوله: «وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحابة بقوة، ومجد كثير» ومن قوله «متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا: أن ملكوت الله قريب».

وقوله ﷺ «من الآن» يأتى «ابن الإنسان» وهو فى أيامه الأخيرة. يشير إلى مستقبل قريب فى مجد دنيوى ظاهر؛ ليدين أعداءه الذين سخروا منه واستهزأوا به.

## ضد المسيا

ولم يذكر عيسى ﷺ من علامات مجىء ملكوت السموات: علامة مجىء شخص يكون ضد «المسيا» الذى هو «المسيح الرئيس» وإنما ذكر أنبياء كذبة بصيغة الجمع. وقد ظهر منهم كثيرون من قبل محمد ﷺ الذى هو «المسيا» الرئيس. وأول من ذكر ذلك هو «بولس» ولا توجد إشارات فى أسفار التوراة عن مجىء «ضد المسيا» من قبل ظهوره. ويقر النصارى بذلك فى قولهم: «لم يرد مفهوم وجود عدو واحد أخير فى الكتابات اليهودية السابقة للمسيحية... إلخ».

يقول بولس: «هذا هو روح ضد المسيح، الذى سمعتم: أنه يأتى إلى العالم» (٢ تس ٢:٧).

ولماذا قال بولس بضد واحد للمسيح؟ إنه يعرف من نبوءات التوراة: أن محمدا ﷺ سيظهر بعد المملكة الرابعة وهى مملكة الروم ومحمد ﷺ فى نظرهم سيكون ضد عيسى الذى يزعمون أنه هو المسيح. أى أن دولة الروم فى زمانه هى الحاجز بين اليهود وبين محمد ﷺ. ولو زالت دولة الروم من الوجود، لانمحى الحاجز، وظهر محمد -الذى هو المسيا- واعترافه الصريح بأن ضد عيسى الذى يزعمون أنه هو المسيا سيظهر بعد دولة الروم؛ هو دليل على تحريف النصرانية؛ للغو فى نبوة محمد ﷺ من قبل ظهوره.

إنه قال إن ضد المسيح، سيكون مزودا بقوة شيطانية، وسيهزم السلطة الرومانية. وإن استمرار السلطة الرومانية هو «ما يحجز» أو الإمبراطور «الذى يحجز الآن» وقال : إن ضد المسيح سيرفع نفسه فوق كل ما يدعى إلها. أو معبودا، وأنه إنسان خاطئ.

وقد فاته: أن المسيا فى نبوءات التوراة عنه؛ لا يتعظم على الله رب العالمين.

## المبحث الثالث عشر
## وقت قيام الأموات من القبور

تتزامن القيامة مع المجيء الثانى والوصول إلى الدهر الآتى - عند النصارى- وعندهم: أن الأموات سيقومون من القبور، قبل إتمام نزول المسيح من السماء.

وعند اليهود اختلاف فى قيامة الموتى. فأحيانا نجد قيامة الشهداء فقط (أخنوخ ٩٠) وأحيانا قيامة كل الأبرار فى بنى إسرائيل (مزامير سليمان ٣:١٠ أخنوخ ٩١-٩٤) وأحيانا قيامة كل الأبرار وبعض الأشرار من بنى إسرائيل (أخنوخ ١-٣٦) وأحيانا كل الأبرار وكل الأشرار (إسدراس الثانى ٤٥:٥ و ٣٢:٧ ورؤيا باروخ ٤٢:٨ و ٥٠ : ٢) ويقول يوسيفوس: إن الفريسيين كانوا يعتقدون بأن الأبرار فقط هم الذين سيكون لهم نصيب فى القيامة.

ومما تجدر ملاحظته هو أن كل الكتابات الرؤية عند اليهود، التى تثبت شمولية القيامة؛ تقدم لنا نفس الظاهرة الموجودة فى العهد الجديد. أى أنها تحتوى على فصول تتحدث عن القيامة فيما يتصل بمصير الأبرار. مما يخلق الظن بأنه لا توجد قيامة أخرى. وكانت توجد أفكار متضارية بين الفريسيين بخصوص هذا الموضوع؛ طمس «يوسيفوس» معالمها. وفى حوار المسيح عيسى عليه السلام مع الصدوقيين أثبت قيامة الأبرار، لكنه لم ينفى قيامة الآخرين (مرقس ١٢ :٢٦ و ٢٧).

ومرد هذا الاختلاف -فى نظرنا- إلى عدم التمييز بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى فى النصوص. فهو إذ يقول عن الأبرار: إنهم سيقومون، أما الأشرار فلا قيامة لهم. فهو يعنى: أن الأبرار سيكون الله معهم، وأن الأشرار لن يعطيهم نجاة. أى لن يقيمهم من العثرات، كما يقيم الأبرار من كل عثرة.

وقد عبر المسيح عيسى ﷺ عن الأبرار، بأنهم سيكونون كملائكة الله فى السماء (مر ١٢ :٢٥) وهو لا يقصد أنهم سيبعثون بالروح دون الجسد. وإنما يقصد أنهم فى حالة عدم الزواج والتكاثر. ويقال بأنه لا يوجد فى الرسالة إلى العبرانيين دلالة مباشرة على

قيامة الأجساد. ولكن عبرانيين ١١:٢٢ و ١٢:٣٥:١٠:٢ و ١٣:٢٠ مع المفهوم الروحى للنصوص وتعاليم بولس؛ يشير إلى أجساد سماوية روحانية، لا إلى الوجود بدون أجساد.

## فساد بنى إسرائيل وعلوهم الكبير فى الأرض مرتين

قال النبى دانيال: إن حربا ستقوم فى أرض فلسطين، بعد ألفين وثلثمائة سنة، من حين دخول الاسكندر الأكبر أرض فلسطين، وسيكون المهزومون فى هذه الحرب: عباد الله الصالحين. وقد وقعت هذه الحرب فى ميعادها. وانهزم المسلمون فيها. ولا يذكر أهل الكتاب: هذه المرة من الأخرويات، ولا المرة التى بعدها؛ لأنهم إذا ذكروها، يلزمهم الاعتراف بصحة دين الإسلام. قال دانيال: «ومن واحد منها خرج قرن صغير، وعظم جدا، نحو الجنوب ونحو الشرق، ونحو فخر الأرض، وتعظم حتى إلى جند السموات، وطرح بعضا من الجند والنجوم إلى الأرض وداسهم، وحتى إلى رئيس الجند تعظم، وبه أبطلت المحرقة الدائمة، وهدم مسكن مقدسه، وجعل جند على المحرقة الدائمة بالمعصية، فطرح الحق على الأرض، وفعل ونجح. فسمعت قدوسا واحدا يتكلم. فقال قدوس واحد لفلان المتكلم: إلى متى الرؤيا، من جهة المحرقة الدائمة، ومعصية الخراب؛ لبذل القدس، والجند مدوسين؟ فقال لى: إلى ألفين وثلاث مئة صباح ومساء؛ فيتبرأ القدس» (دانيال ٨:٩ - ١٤) وفى ترجمة اليسوعيين: «ثم يتطهر القدس» من اليهود. لا من المسلمين.

وقال عن المرة الآخرة: «فإذا تم تفريق أيدى الشعب المقدس؛ تتم كل هذه... إلخ» (دانيال ١٢:٧- ).

وقد تمت المرة الأولى فى سنة ألف وتسعمائة وسبعة وستين من الميلاد. وفى المرة الآخرة سيأتى الله ببنى إسرائيل من بلاد العالم إلى فلسطين. ليشنوا حربا ضد المسلمين، وفى هذه الحرب سيهزم المسلمون مثل هزيمتهم فى المرة الأولى. وقد بين الله تعالى هذا فى القرآن فى قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الإسراء: ٤) وفى قوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ (التوبة: ١٠١).

وقد وضحنا هذا فى غير هذا الكتاب.

## العصر الألفى

ويقول جماعة من النصارى يلقبون بالألفيين: أن حادثة القيامة من الأموات ستتم

على دورين. الدور الأول: يظهر المسيح على الأرض مع القديسين والشهداء ويقيم مملكة أرضية لمدة ألف سنة. وعند نهاية الملك الألفى يبدأ الدور الثانى وهو القيامة العامة.

والرد عليهم: هو أن التوراة تبين أن ملك المسيا يكون قبل نهاية العالم. وليس فى الأناجيل أية إشارة إلى دورين.

**الإحياء عند المجيء الثانى:**

ويقول النصارى: إن كل الأمم لن تحيا من القبور مع بنى إسرائيل عند المجيء الثانى للمسيح. فإن الإحياء قاصر على المؤمنين بالمسيح فقط. كما قال بولس فى (١ كو ١٥: ٥١ - ٥٢ و ٢ كو ٥: ١ - ٥ وفى ٣: ٢٠ و ٢١).

ولو فرض أن ناسا كانوا أحياء على ظهر الأرض. حالة إحياء الله الموتى المؤمنين بالمسيح، عند المجيء الثانى. فإن الأحياء ستتغير هيئاتهم إلى الهيئة التى يظهر فيها الموتى؛ ويكون الجميع هيئة واحدة. هكذا يقولون، وهو يدل على الاستمرارية بين الجسد الحالى وجسد القيامة.

**مكان الدينونة:**

قال بعضهم: مكانها هو الأرض، كما يبدو من ارتباطها بالمجيء الثانى (مت ١٣: ٤١ و ٤٢ ومر ١٣: ٢٦ و ٢٧) مع أن البعض يستنتج من (تس ٤: ١٧) فيما يختص بالمؤمنين: إنها ستكون فى الهواء.

**الديان:**

ومن الذى سيجرى الله الدينونة على يديه؟

إذا قلنا: الله هو الديان. فالقول صحيح؛ صحيح؛ لأن كل شيء منه وإليه. وهو يستخدم بعض مخلوقاته لتنفيذ مشيئته، لا أنه يفعل كل شيء بيديه.

وإذا قلنا: العصا ضربت الولد. فالقول صحيح؛ لأنها الأداة التى باشر الله بها الفعل. وإذا قلنا: إن المسيا هو الذى يدين الأمم. فالقول صحيح؛ لأن الله مكنه من ذلك، نيابة عنه.

والديان هو الله فى (مت ٦: ٤ لو ١٢: ٨) ولذلك يقال: «يوم يهوه» أو «يوم الرب» للدلالة على اليوم الذى يظهر فى المسيا بملكوته.

وجاء: أن الديان هو المسيا نفسه (أخنوخ ٥١:٣ و ٤٥:٤ و ٦١:١٠ و ٦٣ عزرا الرابع رؤيا باروخ ٧٢: ٢ الأقوال السبليانية ٢٨٦:٢ متى ١٠:٢ - ١٢ لو ٦:٢ - ١٧ و ٢ تس ٨:٢ - ٢).

وقد وضح عيسى ﷺ أن الله قد أعطى الدينونة للابن. وعيسى ليس هو الابن. فالابن لقب من ألقاب المسيا فى المزمور الثانى لداود ﷺ وينفى أن عمله الحالى يشمل إجراء الدينونة (يوحنا ١٥:٨ و ٤٧:١٢) وقد بين عيسى ﷺ: أن أصحاب المسيا -ويعبر عنهم بملائكته- سيكونون معه فى إجراء الدينونة على اليهود والأمم حال ظهوره (متى ١٣: ٣٩ و ٤١ و ٤٩ و ٢٧:١٦ و ٣١:٢٤ و ٣١:٢٥ و اتس ١٣:٣ و ٢ تس ٧:١ يهوذا ١٤ وما بعده).

وتشمل الدينونة حال ظهور المسيا اليهود وجميع الأمم (متى ١١: ٢٢ و ٢٤ و ٢٥: ٣٢ و يو ٢٩:٥) وتشمل الدينونة عند البعث من الأموات اليهود، وجميع الأمم. وهى دينونة بحسب الأعمال للمؤمنين وللكافرين (متى ٣٤:٢٥ وما بعده - اكو ٥:٤ و ٢ كو ١٠:٥ ورؤ ١٢:٢٢).

ويؤيد «بولس» مبدأ الدينونة بحسب الأعمال. وينتج عن تأييده: مشكلة مزدوجة؛ وهى: (أ) إذا كان المسيح قد غفر الخطايا. فلماذا الحساب فى الآخرة؟ أى أن غفران الخطايا، يجعل الدينونة أمرا لا لزوم له. (ب) إذا كان الإيمان بالمسيح إلها مصلوبا، يكفى فى دخول الجنة، فلماذا يكون الحساب فى يوم الدين على الأعمال؟

ويتحير النصارى فى حل هذه المشكلة. ويجيبون بقولهم:

(أ) إن الله تعالى هو منشئ التبرير، أى هو غافر الذنوب وحده. والمسيح هو رئيس المحكمة فى اليوم الأخير.

(ب) من الممكن أن يخلص المرء بالإيمان (اكو ١٥:٣) ولكن الحساب على الأعمال ضرورى لإثبات عدالة الله.

وليس عند النصارى مرحلة تشبه مرحلة «الأعراف» التى يقول بها بعض المسلمين. وهى حالة بين الجنة والنار. لمن تساوت أعمالهم الحسنة وأعمالهم السيئة.

وما عندهم: هو جماعتان متميزتان، هما المدانون والمخلصون (متى ٣٣:٢٥ - ٣٤ ويو ٢٩:٥) ولا يوجد بينهما فريق وسط، غير محدد المصير. والحكم الصادر: هو حكم نهائى دائم حيث يوصف بأنه «أبدى».

**لفظ الأبد:**

ولفظ «الأبد» عند اليهود، يطلق على مدة طويلة محددة، ويطلق على ما لا نهاية له. وهم يفسرون أبدية العذاب فى الحياة الآخرة بزمن معين، أو مدة معينة. وعند النصارى أن «الأبد» غير محدد المدة. وأنه هو نهائى. ويعللون ذلك بأن كلمة «الدهر» أبدية، وكل حالة أو مصير يرتبط به، فلا بد أن تكون له نفس الصفة. ولذلك يقولون: إنه من المستحيل من الناحية التفسيرية أن نعطى معنى نسبيا لمثل هذه العبارات: «نار أبدية» (متى ١٨:٨ و ٢٥: ٤١ ويهوذا٧) و «عذاب أبدى» (متى ٢٥:٤٦) و «هلاك أبدى» (٢ تس ١:٩) و «دينونة أبدية» (مر ٣:٢٩ عب ٦:٢) ويظهر هذا أيضا فى الأوصاف المجازية التى توضح المقصود لكلمة «أبدى». «نار لا تطفأ» (متى ٣:١٢) «دود لا يموت» (مر ٩:٢٣-٤٨).

**ولتدعيم عقيدة الخلود المشروط:** يقول اليهود: إن بعض التعبيرات الوصفية لمصير المدانين، مثل «هلاك» - «فساد» - «عطب» - «موت» تشير بالأحرى إلى توقف الوجود. ويرد النصارى عليهم: بأن هذا يستند على تفسير غير كتابى لهذه المصطلحات التى تدل فى كل مكان توجد فيه، فى التوراة والإنجيل، على الوجود، فى حالة غير مرغوب فيها، ولا تعنى مطلقا النفى القاطع للوجود. كما أن كلمة «الحياة» فى التوراة والإنجيل تدل على شكل إيجابى للوجود. والكلمات: هلاك - فساد - عطب - موت. تستخدم فى كل هذه الحالات بالإشارة إلى سعادة الإنسان أو حالته الروحية الأخلاقية بدون التلميح إلى إفناء وجوده الجسدى.

## تفريق المسيح بين الجسد والنفس والحس

قال المسيح عيسى ﷺ: إن جسد المرء مكون من لحم ودم، وإنه مثل كل أجساد الطيور والدواب، ينمو أو يضعف بالأكل والشرب. وإن النفس يتنفس بها الهواء. وهى لما تتحد بالجسد، يكونان معا متجهان الملذات، إما لذة المآكل والمشارب وإما لذة العلم والحب. ولأننا نعلم أن الجسد ينمو أو يضعف بالأكل والشرب، فإن النفس يكون نموها بلذة العلم والحب.

أما الحس. فإنه قد يميل إلى الجسد، وقد يميل إلى النفس. ويجب على من لا يريد تغذيته بالملذات الجسدية، أن يغذيه بالملذات الروحية.

وهل الحس منفصل عن النفس والجسد؟ يقول: إن الإنسان إذا وقع فى غيبوبة،

يفقد الحس. ولا يفقد النفس والجسد. فإذن الحس منفصل عنهما، وإذ هو منفصل، يكون كيانا مستقلا بذاته عن الجسد، والجسد يكون كيانا مستقلا عن النفس، والنفس تكون كيانا مستقلا بذاته عنهما.

ومثل ذلك: مثل صفة العلم. فإنها تغاير صفة القدرة، وهما معا يغايران الإرادة. وكل الصفات تغاير الذات الإنسانية. كل مستقل بذاته فى مفهوم اللغة، ونظر الناس. والشخص الواحد. الموصوف بكل هذه الصفات؛ لا يقال: هو وصفاته أشياء كثيرة، وإنما يقال: واحد من خصائصه صفة العلم وصفة القدرة وصفة الإرادة. وذلك لأن العين إذا رأت شخصا، لا ترى صفاته من بين يديه، ولا من خلفه.

ونفى المسيح الحياة فى القبر بقوله: إذا مات المرء؛ فإن نفسه لا ترجع إليه إلا بمعجزة، خارقة للعادة. وبغير معجزة لا ترجع النفس إلى الجسد إلا فى اليوم الأخير. وقد جرت العادة بأن من مات لا يحيا إلا بمعجزة. كإحيائه «لعازر» بإذن الله. ومن غير معجزة؛ فإنه لا يحيا إلا فى القيامة العامة. فقد حكى عنه برنابا:

«أما يسوع فقال: يتألف الإنسان من ثلاثة أشياء. أى النفس والحس والجسد. كل منهم مستقل بذاته. ولقد خلق إلهنا النفس والجسد، كما سمعتم، ولكنكم لم تسمعوا حتى الآن كيف خلق الحس...

لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته: إن كثيرين مخدوعون فى شأن حياتنا؛ لأن النفس والحس، إنما هما شىء واحد، فارقين بينهما بالعمل، لا بالجوهر، ويسمونها بالنفس الحاسة والنباتية والعقلية. ولكن الحق أقول لكم: إن النفس هى شىء حى مفكر. ما أشد غباوتهم، فأين يجدون النفس العقلية بدون حياة؟ لن يجدوها أبدا، ولكن يسهل وجود الحياة بدون حس، كما يشاهد فى من وقع فى غيبوبة متى فارقه الحس.

أجاب تداوس: يا معلم متى فارق الحس، الحياة؛ فلا يكون للإنسان حياة.

أجاب يسوع: إن هذا ليس بصحيح؛ لأن الإنسان إنما يفقد الحياة، متى فارقته النفس؛ لأن النفس لا ترجع إلى الجسد إلا بآية. ولكن الحس يذهب بسبب الخوف الذى يعرض له، أو بسبب الغم الشديد الذى يعرض للنفس، لأن الله خلق الحس؛ لأجل الملذة، ولا يعيش إلا بها، كما أن الجسد يعيش بالطعام، والنفس تعيش بالعلم والحب. فهذا الحس يخالف النفس بسبب الغيظ الذى يلم به؛ لحرمانه فى ملذة الجنة؛ بسبب الخطيئة. لذلك وجب أشد الوجوب، على من لا يريد تغذيته بالملذات الجسدية، أن يغذيه بالملذات الروحية... إلخ» (برنابا ١٥: ٢٧- ).

وقد قال الله تعالى عنه فى القرآن الكريم: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ (آل عمران: ٤٨) وهذا مثل يدل على أنه كان يعرف الحكمة التى هى الفلسفة؛ فإن موضوع النفس والجسد والحس. كان شائعا فى أرض فلسطين ضمن موضوعات الفلسفة. وكانت فلسفة أرسطوطاليس مؤدب الإسكندر الأكبر قبل المسيح بثلاثة قرون معروفة فى البلاد التى يحكمها اليونان. والرومان من بعدهم.

هذا هو تصريح المسيح ﷺ بنفى الحياة فى القبور، وقد قال بقوله داود ﷺ وغيره. وإننا نحن المسلمين نطلق على الفترة من الموت إلى يوم القيامة؛ حالة الحياة فى القبر، أو الحياة البرزخية. ولا يقول النصارى بحياة فى القبور. وإنما يقول فريق منهم: إنه من بعد الموت إلى المجىء الثانى للمسيح؛ حالة هى ليست فى القبور، ولا نعلم مكانها - والمجىء الثانى هو نفسه يوم القيامة. لأنهما متزامنان، ولا انفصال بينهما - حالة ليست فى القبور. هى نعيم جزئى أو عذاب جزئى. لا نعلم مكانها. فالأبرار يذهبون إلى الفردوس. والأشرار يذهبون إلى الهاوية. فى حالة ترقب وانتظار للجزاء.

وهذا نصوص من التوراة تشبه كلام عيسى -عليه السلام- فى هذا الشأن:

١- إن الميت لم يعد له وجود بعد «اقتصر عنى؛ فأتبلج؛ قبل أن أذهب، فلا أوجد» (مز ١٣:٣٩) «اذكر أن حياتى إنما هى ريح، وعينى لا تعود ترى خيرا. لا ترانى عين ناظرى...» (أى ٧:٧ - ) «الآن أضطجع فى التراب. تطلبنى فلا أكون» (أى ٢١:٧).

هذا هو الانطباع الأول لعدم الوجود؛ لأن ما يجرى بعد الموت، يخفى عن أعين الأحياء.

٢- يقول داود ﷺ: إن الشهداء فى سبيل الله، لا يصلون فى قبورهم لله ولا يسبحونه. لأن موضع الأموات موضع صمت وسكون. لا نعيم فيه ولا عذاب ولا حس ولا حركة. يقول: «ليس الأموات يسبحون الرب، ولا من ينحدر إلى أرض السكون. أما نحن فنبارك الرب من الآن وإلى الدهر» (مز ١١٥:١٧-١٨).

٣- يقول داود ﷺ لله تعالى: «أفلعلك للأموات تصنع عجائب؟ أم الأخيلة تقوم تمجدك؟ سلاه. هل يحدث فى القبر برحمتك أو بحقك فى الهلاك؟ هل تعرف فى الظلمة عجائب، وبرك فى أرض النسيان؟» (مز٨٨:١٠-١٢) فقد عبر عما بعد الموت بأرض النسيان.

وقال أيوب ﷺ: إن بعد الموت راحة. لا عذاب فيها ولا آلام (أى ١٧:١٦) «إذ ترتاح معا فى التراب».

٤- وكل الأموات يشتركون فى مرحلة ما بعد الموت التى هى سكون تام، وراحة تامة. فقد قال أيوب: «لأنى قد كنت الآن مضطجعا ساكنا. حينئذ كنت نمت مستريحا. مع ملوك ومشيرى الأرض، الذين بنوا أهراما لأنفسهم، أو مع رؤساء لهم ذهب. المالئين بيوتهم فضة، أو كسقط مطمور، فلم أكن. كأجنة لم يروا نورا. هناك يكف المنافقون عن الشغب وهناك يستريح المتعبون...» (أى ٣:١٣- ).

٥- وفرق داود ﷺ بين الموت الذى يدخل القبر، وبين النعاس. فقال: «أنر عينى لئلا أنام نوم الموت» (مز ١٣:٣).

فقد جعل الموت نوما دائما. وهذا مثل ما فى القرآن الكريم: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ (يس: ٥٢) وقال دانيال فى هذا المعنى: «وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض؛ يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدى» (دا ١٢:٢).

٦- وقال داود ﷺ: إنه من بعد الموت؛ لا أمل فى حياة فى القبر، ولا أمل فى الرجوع إلى الدنيا. وأن الموتى فى هذه المرحلة لا يعرفون الله، ولا يحسون بمعجزاته، ولا يقدرون له تسابيح وصلوات وأدعية. قال: «لأنه ليس فى الموت من يذكرك» (مز ٦:٦).

«هل يحمدك التراب؟ هل يخبر بحقك؟» (مز ٣٠:٩) «هل يحدث فى القبر برحمتك، أو بحقك فى الهلاك؟ هل تعرف فى الظلمة عجائبك، وبرك فى أرض النسيان؟» (مز ٨٨:١١-١٢) «ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى أرض السكون» (مز ١١٥:١٧) وقال إشعياء: «لأن الهاوية لا تحمدك. الموت لا يسبحك. لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك. الحى الحى هو يحمدك، كما أنا اليوم» (إش ٣٨: ١٨-١٩).

٧- وقال داود ﷺ: إن الله نفسه لا يعود يذكر الموتى. قال: «المضطجعين فى القبر، الذين لا تذكرهم بعد، وهم من يدك انقطعوا» (مز٨٨:٥).



وبعدما ذكرنا نصوصا من التوراة تنفى الحياة فى القبور، وذكرنا نصوصا من كلام المسيح عيسى بن مريم ﷺ فى نفى الحياة فى القبور؛ نذكر مخالفة النصارى له، فى هذا الشأن:

## حالة الموتى قبل المجيء الثاني
## أو
## حالة الموتى فى البرزخ عند النصارى

وكلام النصارى غير واضح، فى حالة الموتى من حين خروج الروح فى الحياة الدنيا، إلى حين البعث من الأموات. أى فى مدة وجود الأجساد فى القبور. **أى فى حياة البرزخ. فعند النصارى فيه:**

أولا: تشبه حالة الموت بالرقاد. والبعث بالاستيقاظ من النوم. متى ٩:٢٤ يو ١١:١١ و ١ كو ١١:٣٠ و ١٥:٦ و ١٨ و ٢٠- ٥١- اتس ٤:١٣ و ١٥- و ٢بط ٣:٤) وعند اليهود هذا المعنى. مع فارق بينهم وبين النصارى هو: أن الرقاد يستخدم غالبا عند النصارى فى الإشارة إلى الموتى الأبرار، وتقترن به فكرة استيقاظهم المبارك فى القيامة. وعند اليهود يستخدم «الرقاد» لكل الأموات، بلا تفرقة. وتعبير «الرقاد» لا ينطبق على «النفس» أو «الروح» بما يعنى أنها فى حالة من عدم الوعى إلى يوم القيامة، بل هى وصف للشخص. ونقطة المقارنة هى: كما أن النائم ليس حيا بالنسبة لما يحيط به، هكذا الميت لم يعد فى انسجام مع هذه الحياة الأرضية.

ويقول النصارى: إن الموتى يعون ويدركون، ولكنهم لا يعملون أى عمل من الأعمال إذ ليست للأموات أجساد فى القبور (لو ٢٣:٤٦ أعمال ٧:٥٩ عبرانيين ١٢:٢٣).

ثانيا: لا توجد نصوص فى الأناجيل تشجع الأحياء على محاولة الحديث مع الموتى. فالكلام عن «الموتى» بأنهم «نائمون» بالنسبة للحياة الأرضية؛ يدل بوضوح على أن مثل هذا الحديث أمر غير طبيعى. ولا توجد نصوص تثبت إمكانية اطلاع الموتى على حياة الناس على الأرض.

وقول بولس فى الرسالة إلى العبرانيين ١٢:١ إن الشهداء شهداء على الناس. فهو يعنى بقوله: إنه يجب علينا أن تذكر مثالهم، وأن نتأسى بهم فى الجهاد. كأن الدهور الماضية بشخصياتها التاريخية تتطلع إلينا من الأعالى.

ثالثا: ويقول النصارى: إن الشهداء فى عالم الموتى، يعرف بعضهم بعضا، ويذكرون حقائق وظروف الحياة الأرضية. وليس فى الكتاب ما يدل على اهتمامهم بأمور الناس، ولا قيامهم بعمل الشفاعة، سواء طلبها الأحياء منهم أم لم يطلبوها.

رابعا : وحياة القبور. والحياة فى الجنة أو فى النار. هما حياتان. ومدتان. ويقول النصارى إن حياة القبور هى حياة ثابتة إلا أنه لا تطابق بينها - لا فى درجة السعادة ولا فى درجة العقاب - وبين الحالة التى سوف تكون بعد القيامة.

وقد صرح بولس بنفوره من حالة القبور؛ لأنها حالة غير مرغوب فيها (١ كو ١١ :٣٠ و ١ تس ١٣:٤) ونفوره منها يدل على أنه لا سعادة فيها لأحد مع المسيح (٢ كو ٥ :٢-٤ و ٦و ٨ - فى ١ :٢٣).

## نفى الروح المفارقة
## عند طائفة من علماء
## بنى إسرائيل

ولقد قلنا من قبل: إنه ليس من روح مفارقة للإنسان. وأن الله كون الإنسان على هذه الهيئة، كما كون الفأر والسنور والأسد. كل على هيئته. وتركيب أعضاء جسم الإنسان على هذه الهيئة، يسمح بمرور الأفكار والخواطر والأحاسيس على المخ، وإذا من الفكر على المخ، فإنه ينبهه على الفكرة، ويذكره بما يعرفه عنها. فيتولد من الفكر، والتذكر؛ كلام يوجد فى الحال، ويدور فى الذهن، ويعبر عنه اللسان. فيكون الجسم حال مرور الفكر عليه، كالماكينة المركبة من آلات. إذا أنت أوصلت الكهرباء إليها، تحركت كل آلة، فى مدارها المخصوص. ومجموع حركات الآلات؛ ينتج العمل الذى تشتهر به الآلة. وكذلك الإنسان بأعضائه ينتج كلاما، جسمه يوجده. ولو أن «الفأر» قد خلقه الله، على خلقة «الإنسان» لكان نطقه كنطق «الإنسان» ولو أن «الإنسان» مكان «الفأر» أى قد خلقه الله على خلقة «الفأر» لكان نطقه كنطق «الفأر» وهكذا صوت كل مخلوق قد خلقه الله؛ فإنه كلامه. وبه يتخاطب مع أمثاله من بنى جنسه.

وهذا الذى قلناه؛ له نظير فى التوراة. فقد قال قائلون من بنى إسرائيل: «إنا ولدنا اتفاقا، وسنكون من بعد، كأنا لم نكن قط؛ لأن النسمة فى آفاقنا دخان، والنطق شرارة من حركة قلوبنا».

ونفوا الروح المفارقة بهذا القول. وليس من إثم عليهم، فيما ذهبوا إليه من نفى الروح المفارقة، وليس من إثم عليهم فى تعليل تفكير المرء، ونطقه. وإنما الإثم هو فى قولهم: إنه لا حياة من بعد الموت. وذلك لأن القادر على النشأة الأولى، هو يقدر على النشأة الأخرى.

**ففى أول سفر الحكمة:**

«أحبوا العدل يا قضاة الأرض واعتقدوا فى الرب خيرًا والتمسوه بقلب سليم. فإنما يجده الذين لا يجربونه ويتجلى للذين لا يكفرون به. لأن الأفكار الزائغة تقضى من الله واختيار قدرته يثقف الجهال. إن الحكمة لا تلج النفس الساعية بالمكر ولا تحل فى الجسد المسترق للخطيئة. لأن روح التأديب القدوس يهرب من الغش ويتحول عن الأفكار السفيهة وينهزم إذا حضر الإثم. إن روح الحكمة محب للإنسان فلا يبرئ المجدف مما نطق لأن الله ناظر لكليتيه ورقيب لقلبه لا يغفل وسامع لفمه. لأن روح الرب تملأ المسكونة، وواسع الكل. عنده علم كل كلمة. فلذلك لا يخفى عليه ناطق بسوء ولا ينجو من القضاء المفحم. لكن سيفحص عن أفكار المنافق وكل ما سمع من أقواله يبلغ إلى الرب فيحكم على آثامه. لأن الأذن الغيرى تستمع كل شىء وصياح المتذمرين لا يخفى عليها. فاحترزوا من التذمر الذى لا خير فيه وكفوا ألسنتكم عن الثلب فإن المنطوق به فى الخفية لا يذهب سدى والفم الكاذب يقتل النفس. لا تغاروا على الموت فى ضلال حياتكم ولا تجلبوا عليكم الهلاك بأعمال أيديكم. إذ ليس الموت من صنع الله ولا هلاك الأحياء يسره. لأنه إنما خلق الجميع للبقاء فمواليد العالم إنما كونت معافاة وليس فيها سم مهلك ولا ولاية للجحيم على الأرض. لأن البر خالد. لكن المنافقين هم استدعوا الموت بأيديهم وأقوالهم. ظنوه حليفًا لهم فاضمحلوا وإنما عادهوه لأنهم أهل أن يكونوا من حزبه.

**الإصحاح الثانى:**

فإنهم بزيغ أفكارهم قالوا فى أنفسهم إن حياتنا قصيرة شقية وليس لممات الإنسان من دواء ولم يعلم قط أن أحدًا رجع من الجحيم. إنا ولدنا اتفاقًا وسنكون من بعد كأنا لم نكن قط لأن النسمة فى آنافنا دخان والنطق شرارة من حركة قلوبنا. فإذا انطفأت عاد الجسم رمادًا وانحل الزوج كنسيم رقيق وزالت حياتنا كأثر غمامة واضمحلت مثل ضباب يسوقه شعاع الشمس ويسقط بحرها. وبعد حين ينسى اسمنا ولا يذكر أحد أعمالنا. إنما حياتنا ظل يمضى ولا مرجع لنا بعد الموت لأنه يختم علينا فلا يعود أحد. فتعالوا نتمتع بالطيبات الحاضرة ونبتدر منافع الوجود ما دمنا فى الشبيبة. ونترو من الخمر الفاخرة ونتضمخ بالأدهان ولا تفتنا زهرة الأوان. ونتكلل بالورد قبل ذبوله ولا يكن مرج إلا تمر لنا فيه لذة. ولا يكن فينا من لا يشترك فى لذاتنا ولنترك فى كل مكان آثار الفرح فإن هذا حظنا ونصيبنا. لنجر على الفقير الصديق ولا نشفق على الأرملة ولا نهئب شيبة الشيخ الكثير الأيام. ولتكن قوتنا هى شريعة العدل فإنه من الثابت أن الضعف لا يغنى شيئًا.

ولنكمن للصديق فإنه ثقيل علينا يقاوم أعمالنا ويقرعنا على مخالفتنا للناموس ويفضح ذنوب سيرتنا. يزعم أن عنده علم الله ويسمى نفسه ابن الرب. وقد صار لنا عذولا حتى على أفكارنا. بل منظره ثقيل علينا لأن سيرته تخالف سيرة الناس وسبله تباين سبلهم. قد حسبنا كزيوف فهو يجانب طرقنا مجانبة الرجس ويغبط موت الصديقين ويتباهى بأن الله أبوه. فلننظر هل أقواله حق ولنختبر كيف تكون عاقبته. فإنه إن كان الصديق ابن الله فهو ينصره وينقذه من أيدى مقاوميه. فلنمتحنه بالشتم والعذاب حتى نعلم حلمه ونختبر صبره. ولنقض عليه بأقبح ميتة فإنه سيفتقد كما يزعم. هذا ما ارتأوه فضلوا لأن شرهم أعمالهم. فلم يدركوا أسرار الله ولم يرجوا جزاء القداسة ولم يعتبروا ثواب النفوس الطاهرة. فإن الله خلق الإنسان خالدًا وصنعه على صورة ذاته. لكن بحسب إبليس دخل الموت إلى العالم. فيذوقه الذين هم من حزبه.

### الإصحاح الثالث:

أما نفوس الصديقين فهى بيد الله فلا يمسها العذاب. وفى ظن الجهال أنهم ماتوا وقد حسب خروجهم شقاء. وذهابهم عنا عطبًا أما هم ففى السلام. ومع أنهم قد عوقبوا فى عيون الناس فرجاؤهم مملوء خلودًا. وبعد تأديب يسير لهم ثواب عظيم لأن الله امتحنهم فوجدهم أهلا له. محصهم كالذهب فى البودقة وقبلهم كذبيحة محرقة. فهم فى وقت افتقادهم يتلألأون ويسعون سعى الشرار بين القصب. ويدينون الأمم ويتسلطون على الشعوب ويملك ربهم إلى الأبد. المتوكلون عليه سيفهمون الحق والأمناء فى المحبة سيلازمونه لأن النعمة والرحمة لمختاريه. أما المنافقون فسينالهم العقاب الخليق بمشوراتهم إذ استهانوا بالصديق وارتدوا عن الرب. لأن مزدرى الحكمة والتأديب شقى. إنما رجاؤهم باطل وأتعابهم بلا ثمرة وأعمالهم لا فائدة فيها. نساؤهم سفيهات وأولادهم أشرار. ونسلهم ملعون. أما العاقر الطاهرة التى لم يعرف المضجع الفاحش فطوبى لها أنها ستحوز ثمرتها فى افتقاد النفوس. وطوبى للخصى الذى لم تباشر يده مأثمًا ولا افتكر قلبه بشر على الرب فإنه سيعطى نعمة سامية لأمانته وحظًا شهيًا فى هيكل الرب. لأن ثمرة الأتعاب الصالحة فاخرة وجرثومة الفطنة راسخة. أما أولاد الزناة فلا يبلغون أشدهم وذرية المضجع الأثيم تنقرض. إن طالت حياتهم فإنهم يحسبون كلا شىء وفى أواخراهم تكون شيخوختهم بلا كرامة. وإن ماتوا سريعًا فلا يكون لهم رجاء ولا عزاء فى يوم الحساب. لأن عاقبة الجيل الأثيم هائلة» أ.هـ

---

## الفصل العاشر

# فى
# الهيئة الآدمية
# للملائكة والجن

لما أراد الله تعالى أن يكون بنو آدم عمارا للأرض بالزراعة والصناعة، وسائر الأمور التى تعمر بها الدنيا، وتأخذ بها زخرفها وزينتها؛ رأى أن يكون لبنى آدم مساعدون ومعاونون، فى الظاهر والباطن والسر والعلانية.

ولهذه المساعدة جمع الله ملائكته. وقال لهم: ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ لعمارتها وزينتها. فماذا تقولون؟ قالوا: إنهم إذا كانوا من طين الأرض، وعليها يعيشون. فإنهم سيتنافسون على الجمع والتملك والكثرة.

وهذا يؤدى إلى الطمع، والأثرة والأنانية. وكل ذلك قد يؤدى إلى القتل.

ورد عليهم بأنه يريد بنى آدم لعمارة الأرض. لأسباب يعلمها وهم يجهلونها. ثم قال لهم: كونوا فى خدمتهم ليقوموا بواجبهم ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ (الإسراء: ٦١) أى أظهروا له: أنكم مرءوسين تحت يده، ومنفذين لأمره، ومساعدين له فى عمله. وأبناؤه من بعده. تكونون لهم، كما تكونون لآدم. وقد فهم جميع المأمورين بالسجود هذا المعنى. وامتثلوا للأمر. إلا ﴿إبْلِيسَ﴾ وأولاده. فإنه قال لله -تعالى-: كيف أكون أنا وأولادى فى خدمتهم. وأنا أعلى شأنا، وأرفع قدرا؟ ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ (الإسراء: ٦١).

وكان الحاضرون وقت صدور الأمر: أ- الملائكة النورانيون. ب- والجن. ج- وإبليس الذى كان من طائفة الجن. وكل الحاضرين يطلق عليهم لقب «الملائكة» مجازا. على معنى الأتباع والأنصار.

كما هى عادة الناس فى النطق والتعبير. فإنهم يقولون: ملائكة الرئيس. أى أتباعه. وملائكة الشيطان. أى أتباعه. وملائكة النبى. أى أصحابه. وإذا قصدوا المعنى الحقيقى قالوا: ملائكة السماء. يعنون الملائكة النورانيين.

والملائكة النورانيون امتثلوا للأمر وأظهروا علامات الطاعة وهى السجود. والجن

أيضا قد سجدوا. إلا إبليس وذريته؛ فإنهم رفضوا السجود ورفضوا مساعدة بنى آدم وخدمتهم. ثم عاندوا الله بضد قوله. وهو أنهم بدل المساعدة؛ يقومون بإرهاقهم، وصرفهم عن الله، وأمرهم بالكسل، واليأس من الحياة، وتضييع أوقاتهم فى اللهو والعبث، بدل ما ينفع ويفيد.

ومن أيام آدم إلى أن تقوم القيامة يكون الملائكة النورانيون، والجن فى خدمة بنى آدم للعمارة، ويكون إبليس وبينه فى صرف بنى آدم عن العمارة.

وقد بين الله فى القرآن الكريم: أن الملائكة النورانيين يظهرون للأخيار من بنى آدم فى صورة رجال من البشر، ويساعدونهم، وهم يظنون أنهم بشر مثلهم. وفى التوراة وفى الإنجيل هذا المعنى. وتدل قصص الناس على حدوث مساعدات من أشخاص قد رأوهم، ثم اختفوا عن أعينهم. ولهم كلام فى هؤلاء الأشخاص غير سوى. كل بحسب اعتقاده.

ونُدلل بالأدلة الآتية:

١- لما أراد الله لمريم العذراء أن تحبل فى عيسى ﷺ من غير أب، أرسل إليها الملاك جبريل ﷺ فى هيئة رجل من بنى آدم ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم: ١٧) وقد كلمته على أنه إنسان. وهى لا تعتقد حال بدء الكلام: أنه ملاك من ملائكة السماء. ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾

(مريم: ١٨-١٩)

وفى إنجيل لوقا: «وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله، إلى مدينة من مدن الجليل، اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود، اسمه يوسف. واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك. وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت فى النساء فلما رأته اضطربت من كلامه، وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك: لا تخافى يا مريم؛ لأنك قد وجدت نعمة عند الله...» (لو ١: ٢٦-).

٢- لما رأى النبى زكريا ﷺ أن مريم -رضى الله عنها- ترزق من الله بغير أسباب ظاهرة للرزق ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾

(آل عمران: ٣٨-٣٩)

وفى إنجيل لوقا: «فظهر له ملاك الرب. واقفا على يمين مذبح البخور. فلما رآه زكريا، اضطرب، ووقع عليه خوف. فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا؛ لأن طلبتك قد سمعت. وامرأتك إليصابات ستلد لك ابنا، وتسميه يوحنا...

فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا؟ لأنى أنا شيخ، وامرأتى متقدمة فى أيامها. فأجاب الملاك، وقال له: أنا جبرائيل الواقف قدام الله، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا» (لو ١:١١- ).

٣- لما أراد الله تعالى إهلاك قوم لوط ﷺ بسبب العصيان والمخالفة؛ أرسل ملائكة فى صورة رجال، وظهروا للناس فى هيئة آدمية، ولم يعرف أحد أنهم من ملائكة السماء. لا من الأنبياء ولا من غيرهم. وهؤلاء الملائكة الكرام.

(أ) ذهبوا إلى إبراهيم ﷺ.

(ب) ثم ذهبوا إلى لوط ﷺ.

أما عن إبراهيم. فإنه -طبقا لما فى الكتب- كان لا يأكل إلا مع ضعيف. وقد قعدت الشياطين فى مداخل المدينة فى هيئة رجال؛ ليمنعوا الغرباء عن دخولها؛ فيزداد إبراهيم جوعا. وقد أراد الله إخراجه من هذا الحرج؛ فلذلك أرسل إليه الملائكة. الذين لما رآهم، فرح فرحا شديدا، وقدم لهم طعاما ليأكلوا. ولم يأكلوا. ولما رآهم قد امتنعوا عن الأكل؛ أوجس منه خيفة. وعندئذ أظهروا له حقيقتهم، وبينوا له: أنهم قد جاءوا للوط ﷺ لخدمته ولمساعدته ضد أعدائه.

وأما عن قوم لوط. فإنهم كانوا يأتون الذكران، ويتركون النساء. وهذا ضد الفطرة التى فطر الله الناس عليها، ويؤدى إلى انقراض النسل، وفناء البشر.

ويدل وصول الملائكة إلى إبراهيم ولوط - عليهما السلام - إلى أنهما فى خدمة بنى آدم. فإنهم كانوا للبشرى بظهور نسل من إبراهيم لعمارة الدنيا. وكانوا مهلكين لفئة شاذة تمنع النسل؛ لعمارتها. فإن الذكر مع الأنثى ينجب نسلا، والذكر مع الذكر لا ينجب نسلا. ولا تعمر الدنيا بما يفعلون. وما سبقهم من العالمين لم يفعلوا هذا الأمر؛ لأنهم لو فعلوه، فى بلادهم لما جاءوا من بعدهم.

وقد قال الله -تعالى- عن البشرى، وعن الإهلاك:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا

رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب...﴾ الخ (هود: ٦٩-٧٠).

وفى الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين. أن إبراهيم أسرع إلى الخيمة إلى سارة وقال: أسرعى بثلاث كيلات دقيقا سميذا اعجنى واصنعى خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام؛ فأسرع ليعمله. ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعه قدامهم.

وفى الإصحاح التاسع عشر: أن الملاكين جاءا إلى سدوم مساء، وكان لوط جالسا فى باب سدوم. فلما رآهما لوطا، قام لاستقبالهما، وسجد بوجهه إلى الأرض... الخ.

٤- وفى القرآن الكريم: أن الله تعالى نصر النبى محمدا ﷺ وأصحابه بالملائكة. وقال بعض المفسرين بنزولهم فى ساحة المعركة على هيئة آدمية. وهم على خيل وبأيديهم سيوف. وقال بعضهم: إن الله قد وضع فى قلوب أصحابه قوة، تعادل قوة الملائكة. وعلى الرأيين. فإن خدمة الملائكة النورانيين لبنى آدم تكون حقيقة واقعة. فقد قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ (الأنفال: ١٢) الخ.

وفى نصوص التوراة عن محمد ﷺ أن الملائكة تكون فى خدمته. ومن ذلك نبوءة نشيد موسى فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية. حسب النص اليونانى.

٥- وتدل نصوص القرآن الكريم على أن رجلا صالحا. لم تخدمه الملائكة فحسب، بل كانت الأنبياء الكبار فى خدمته أيضا. فإن موسى نبى الله وكليمه هو وفتاه، وجدا جدارا يريد أن ينقض؛ فأقامه. وأن العبد الصالح الذى كان معهما تعجب من فعلتهما. وقد رد عليه موسى بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف:٨٢) كما هو مبين فى سورة الكهف.

٦- وفى الإنجيل: أن الملائكة صارت تخدم عيسى عليه السلام بعد التجربة. ففى إنجيل متى: «حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان؛ لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد، ثم تركه إبليس. وإذا ملائكة قد جاءت، فصارت تخدمه» (مت ٤:١٠-١١).

ويقول بولس عن الملائكة فى الرسالة إلى العبرانيين: «أليس جميعهم أرواحا خادمة مرسلة للخدمة؛ لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص؟» (عب١:١٤).

٧- وتقص التوراة قصة «طوبيا ابن طوبيا» و «سارة بنت رعوئيل» ليظهر منها خدمة ملائكة السماء الذين يتقون الله من بنى آدم.

**وخلاصتها:**

أن أسرة يهودية، استطاعت أن تعيش حياة التقوى والبر والالتزام بوصايا الله فى بلاد السبى، كنموذج صالح للتمسك بالله فى أرض غريبة، وبين شعب غريب. فقد كان «طوبيا» يسكن «نينوى» مع المسبيين. وكان رجلا صالحا رحيما يصنع صدقات كثيرة. وكان سالكا فى جميع وصايا الرب وأحكامه، بلا لوم. ولكن حياة التقوى لا تمنع أن يسمح الله له بالتجارب والآلام «فالذى يحبه الرب؛ يؤدبه» (عب ١٢:٦) فقد سمح الله لـ «طوبيا» أن يفقد بصره، ويفتقر. وقد أعطاه الله ابنا، فسماه «طوبيا» على اسمه.

وفى نفس الوقت. كانت تحيا فى بلاد الفرس، أسرة «رعوئيل» اليهودى التقى. وهو يمت لـ «طوبيا» بالقرابة. وقد جرب هو أيضا فى ابنته «سارة» إذ كان شيطان يسمى «أزموداس» -أى المهلك- يقتل أزواجها السبعة. الواحد تلو الآخر، عقب الزفاف مباشرة. مما جعلها فى حالة يأس وإحباط. لكن الله استجاب لصلاة كل من طوبيا الأب، وسارة بنت رعوئيل. إذ أرسل ملاكه «روفائيل» – ومعناه: الله شافى – الذى أخذ صورة رجل من بنى إسرائيل وتسمى باسم «عزريا بن حننيا» – وكلمة عزريا معناها: الله مساعد. وحننيا معناها: الله حنان – وكان الملاك يقول: إنه مرسل للخدمة والمساعدة من قبل الله الرحيم.

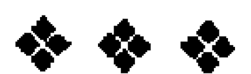
وارتضى طوبيا الأب أن يكون «روفائيل» رفيقا لابنه «طوبيا» فى سفره؛ لاسترداد مبلغ من المال، أعاره إلى واحد من بنى جنسه، اسمه «غابليوس» وهنا تتجلى عناية الله فى رعاية الملاك لطوبيا. إذ قدم له نصائحه الثمينة، وزوجه بسارة، وطرد عنهما الشيطان. وفى العودة خلص طوبيا الأب من العمى، وانقلبت أحزان الصديقين الصابرين إلى أفراح. ثم أظهر الملاك حقيقة أمره، وتوارى عن الأنظار.

ومن النصائح الثمينة التى قدمها الملاك: أن يقدس طوبيا وسارة الثلاث الأيام الأولى لزواجهما، ويتفرغا فيها للصلوات. فيقول لطوبيا: «إن الذين يتزوجون فينفون الله من قلوبهم، ويتفرغون لشهوتهم، كالفرس والبغل، اللذين لا فهم لهما؛ أولئك للشيطان عليهم سلطان».

ومن عبارات هذا السفر: «فبينما خرج طوبيا إذا بفتى بهى قد وقف مشمرا كأنه متأهب للمسير، فسلم عليه. وهو يجهل أنه ملاك الله. وقال: من أين أقبلت يا فتى الخير؟» – «ثم إن طوبيا استدعى الملاك، الذى كان يحسبه إنسانا» – «والآن. فإن الرب قد أرسلنى؛ لأشفيك، وأخلص سارة كنتك من الشيطان. فإنى أنا رافائيل الملاك، أحد السبعة الواقفين أمام الرب. فلما سمعا مقالته هذه، ارتاعا، فسقطا على أوجههما على الأرض

مرتعدين. فقال لهما الملاك: سلام لكم. لا تخافوا؛ لأنى لما كنت معكم إنما كنت بمشيئة الله؛ فباركوه، وسبحوه» - «وبعد أن قال هذا، ارتفع عن أبصارهم، فلم يعودوا يعاينونه بعد ذلك»... إلخ.

**هذا عن خدمة الملائكة النورانيين لبنى آدم.**



## التأثير الخفى للملائكة وللشياطين فى بنى آدم:

وفى القرآن الكريم: أن الملائكة كما تظهر فى هيئة بشرية كاملة، هى أيضا للخدمة والمساعدة. تعطى تأثيرا خفيا فى النفوس؛ ووحيا؛ للخدمة والمساعدة. فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠).

وعن وسوسة الشياطين. يقول تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ (طه: ١٢٠).

**وفى التوراة:**

نص عن مجىء محمد ﷺ من بعد موسى عليه السلام وفى آخره: أن الملائكة تخدمه وتخدم المسلمين الذين يؤمنون بدينه. وأن شعبه بنى إسماعيل، ستنضم الأمم إليه فى الإيمان به، ويكون الجميع شعبا واحدا. وأن جميع السادة سيسجدون له. أى سيخضعون لشريعته، ويدخلون فى ملكه. وخدمة الملائكة له، وللمسلمين؛ ليست مذكورة فى النص العبرى. ومذكورة فى النص اليونانى.

١- «اغبطوا يا شعوب قومه» (تث ٣٢:٤٣ سامرى).

٢- «تهللوا أيها الأمم شعبه؛ لأنه ينتقم بدم عبيده، ويرد نقمة على أضداده، ويصفح عن أرضه عن شعبه» (عبرى).

٣- «تهللى معه أيتها السموات، واسجدوا له يا جميع الآلهة. تهللى أيتها الأمم مع شعبه، ولتعلن قوته ملائكة الله جميعا. لأنه يثأر لدم عبيده، ويرد الانتقام على خصومه، ويجازى مبغضيه، ويكفر عن أرض شعبه» (يونانى).

٤- واقتبس بولس هذا النص هكذا: «تهللوا أيها الأمم مع شعبه» (رو١٥: ١٠).

**الأدلة من حياة الناس على التأثير:**

قد يخطر على بال إنسان. أمر قد حدث له فى الزمان الماضى، ويتذكر شخصا معينا، كان له دور بارز فى هذا الحدث. وفجأة وهو جالس يتذكر، يدخل عليه هذا الشخص. فيقول له: أنت كنت على بالى الآن. وهذا الخاطر وشبهه قد يكون من فعل الملائكة أو من فعل الشياطين يدل: على أن الله موجود فى العالم، وله تأثير فى حياة الناس.

ومن تأثير الملائكة والشياطين فى بنى آدم: أن زيدا من الناس يكون له صديق يثق فيه كل الثقة. وهم يريدون إيصال خدمة أو أذى لزيد هذا. فماذا يفعلون؟ قد تستخدم الملائكة هذا الصديق بالإيحاء إليه بالأمر. وهو يقوم بالتنفيذ. وقد تستخدمه الشياطين بالوسوسة. ومثل هذا كثير فى دنيا الناس.

ويشاع أن رجلا متزوج من تحت الأرض. يعنون: أنه متزوج من جنية. والحق: أنه مرافق لشيطانة، ويزنى بها. لأن الذين سجدوا لآدم فى البدء من الجن، منهم المؤمن والكافر، ولا صلة لهم بالإنس.

ويرى الناس شابة حسناء تقوم فجاة من مجلس كانت فيه مع نساء ورجال وأولاد وبنات. ثم تعود. والخبر بعد تكرار لهذا الأمر: أن شيطانا يظهر لها ولا تقدر أن تمتنع منه.

**العلاج من تأثير الشياطين:**

وقد جرت عادة الناس فى مثل هذه الأمور؛ أن يذهبوا إلى الحاخامات والقساوسة والمشايخ لطلب الشفاء. وهذا خطأ بين. وذلك لأن كل إنسان من بنى آدم معه أ- ملائكة ب- وشياطين. الملائكة للخدمة والشياطين للأذى. والإنسان بينهم. إذا عمر قلبه بحب الله، خدمته الملائكة، ومنعت عنه الشياطين. وإذا عمر قلبه بالملذات والشهوات، خدمته الشياطين، وحجبت عنه الملائكة. فالإنسان هو الذى يطرد الشيطان بنفسه، وهو الذى يعالج نفسه بنفسه. وهب أن إنسانا لم يعقل هذا، وقال: إنه لا بد للمريض من الطبيب. فماذا يقال له؟ وهو يعلم: أن الطبيب لو نصح بتناول أدوية فى أوقات متفرقة. ولم ينتصح المريض. فما هى الفائدة من الطبيب؟ وما هى الفائدة من الأدوية؟

ولذلك قال المسيح عليه السلام: إن الشياطين لا تخرج من أجساد الآدميين، إلا بالصلاة والصوم. وقوله هذا واضح فى نهى القساوسة والرهبان، وكل النصارى، وكل أهل الكتاب،

بعدم التعرض لمرضى الشياطين بالشفاء بالعزائم والرقى والأدعية؛ لأن المريض يقدر على شفاء نفسه بتقوى الله عز وجل. ومع هذا النهى الواضح نسمع عن كثيرين منهم يقبلون المرضى بمال كثير. فهم يخالفون فى هذا الحكم. وعندهم: أن ملكوت الله: هو ملك محمد ﷺ ونبوته، وأن المسيح قد أمرهم بالدخول فيه. وهم يخالفون فى هذا الحكم. كأنهم يقولون للمسيح: إننا نقبل من كلامك ما فيه منفعة لنا، وأنت إذا خالفناك؛ للمنفعة؛ تشفع لنا عند ربك.

**فى إنجيل متى:**

«ولما جاءوا إلى الجمع؛ تقدم إليه رجل، جاثيا له، وقائلا: يا سيد ارحم ابنى؛ فإنه يصرخ، ويتألم شديدا، ويقع كثيرا فى النار، وكثيرا فى الماء. وأحضرته إلى تلاميذك، فلم يقدروا أن يشفوه. فأجاب يسوع وقال: أيها الجيل غير المؤمن الملتوى. إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتملكم؟ قدموه إلى هاهنا. فانتهره يسوع، فخرج منه الشيطان. فشفى الغلام من تلك الساعة. ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد، وقالوا: لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه؟ فقال لهم يسوع: لعدم إيمانكم. فالحق أقول لكم: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل. انتقل من هنا إلى هناك؛ فينتقل، ولا يكون شىء غير ممكن لديكم. وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم» (متى ١٧:١٤-٢١).

وهم من بعد ظهور محمد ﷺ ليس عندهم إيمان؛ لأنهم كفروا به. وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. فكيف يقدرون على إخراج الشياطين. وهم عصاة؟ إنهم إذا قالوا: نحن معهم وهم يعملون لنا خاطر، ويدخلون إذا قلنا، ويخرجون إذا قلنا؛ لكان لقولهم هذا وجه من الصواب؛ لأن الشبيه يحب شبيهه، ويعمل على مرضاته، وإيذاء خصومه(١).

**سرقة آثار الفراعنة:**

ومن القصص الشائعة عند تجارالآثار: أن شيطانا، يتفق مع رجل إنسى. ويقول له: أحضر لى جراما من الزئبق الأحمر. وأنا أدلك على كنز من الكنوز.

فيذهب الرجل الإنسى إلى التاجر ويخبره بطلب الشيطان. فيحضر له الزئبق. فيتسلمه الشيطان، ويقول له: أحضر لى قلة ماء من الفخار. فيحضر له القلة. فيقول له: خذها، وانطلق إلى مكان كذا. وضع القلة على الأرض. وهى ستمشى وحدها وتتحرك وتتجه إلى المكان المطلوب حفره. وتنقره. فإذا نقرته؛ فاحفر إلى عمق ثلاثة أمتار؛ فإنك

(١) راجع كتاب علم السحر بين المسلمين وأهل الكتاب - نشر دار الثقافة الدينية بالقاهرة.

تجد الكنز. ويزعمون: أن الشيطان يشرب الزئبق الأحمر، فيرجع شابا، ويطول عمره؛ لأنه يخاف من الموت. والرجل الإنسى الذى يتفق معه الشيطان. هو من أعوان الشيطان وأنصاره. وأحيانا يوهمه بأنه لن يقضى له طلبا. إلا إذا أحضر له امرأة، وزنى بها. وفى حالة الفعل؛ يستجيب له. وأحيانا يطلب منه إنسانا. ويأمره بقتله؛ ليستجيب له، إذا هو قتله.

ومما هو شائع: عمل طقس مغربى. وذلك أن الشيطان يطلب من الإنسان الذى يتعامل معه: أن يعبده، وأن يسجد له، وأن يعمل له طقوس عبادة مثل التى فى بلاد المغرب من إيقاد نار، وذبح حيوانات. ورقص حول النار، وأن تكون معه امرأة، للزنى بها. وهى عارية. وإذا تم ذلك؛ يقضى له الشيطان أغراضه.

ومما يشاهده الناس: أن جماعة يضيع منهم شىء. فيسمعون عن شيخ أو قسيس، أو حاخام، فى مكان من الأمكنة: أنه يقدر على الإخبار عن مكانه. فيذهبون إليه. وإذ هم فى بيته. من قبل أن يدخلوا عليه. يدخل عليه شيطانه. ويقول له: إن جماعة جاءوك؛ ليسألوا عن كذا. فأخبرهم أنه فى مكان كذا. فإذا أذن لهم؛ أخبرهم. وهم لا يعلمون أن الشيطان الذى يتعامل معه، هو الذى أخبره؛ لأنه قد عرف المكان من الشياطين الذين جاءوا معهم. وفى هذه الحالة يعتقدون فى المخبر عن المكان، ولا يعتقدون فى الله. ويخشون المخبر ولا يخشون الله. وهذا هو هدف الشيطان.

ومما يشاهدونه: أن امرأة لا تتزوج ابنتها لقبحها أو لسوء أدبها؛ فتذهب أمها إلى الشيخ أو القسيس أو الحاخام؛ فيضع أمامه إناء مملوء ماء، ويحكم غطاءه. ويعزم ويبخر ويتلو أقساما وأدعية. ثم يسكت ويهدأ ويقول لها: افتحى الإناء؛ فتفتحه فتجد فيه أوراقا وطينا. فيقول لها: هذا حجاب كان معمولا بوقف الحال لابنتك. فتصدق المرأة. والحقيقة: أنه ليس من حجاب. وإنما الشيطان الذى يتعامل معه. هو الذى فعل ذلك.

وفى كتاب «تلبيس إبليس» للإمام ابن الجوزى أمثلة كثيرة على مثل هذه الأحوال.

## سحر هاروت ومارت:

ولكن من الأميين من المسلمين يعتقدون: أن السحر فى القرآن الكريم ثابت وواقع من آية هاروت وماروت. ولو أن العلماء أمعنوا النظر فيها، وعلموا الأميين؛ لما اعتقدوا أن السحر ثابت من القرآن الكريم وواقع. فإن القرآن ينفى السحر ولا يقر له حقيقة ولا تأثيرا. وبيان ذلك:

أن الله حرم السحر فى التوراة. وبين أن من اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق. فقال: «متى دخلت الأرض التى يعطيك الرب إلهك؛ لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار، ولا من يعرف عرافة، ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية، ولا من يسأل جانا أوتابعة ولا من يستشير الموتى؛ لأن كل من يفعل ذلك؛ مكروه عند الرب. وبسبب هذه الأرجاس؛ الرب إلهك طاردهم من أمامك. تكون كاملا لدى الرب إلهك. إن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسعون للعائفين والعرافين. وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك، هكذا.

يقيم لك الرب إلهك: نبيا. من وسطك. من إخوتك. مثلى. له تسمعون... إلخ» (تث ١٨:٩- ).

إنه يحرم السحر، ويمنع التعامل مع الشياطين، ويقول لهم: لا تسمعوا من العائفين والعرافين، واسمعوا من النبى الأمى الآتى على مثال موسى، إذا ما جاء. وهو محمد ﷺ.

ولكنهم خالفوا الأمر. فسمعوا من العائفين والعرافين، ولما جاء محمد ﷺ لم يسمعوا منه. وأثناء سبيهم فى «بابل» سنة ٥٨٦ ق.م. ألفوا قصة غير حقيقية. وهى: أن الله أنزل على علماء بنى إسرائيل من السماء ملكًا اسمه هاروت، وملكًا اسمه ماروت. ليعلما السحر، لمن يريد أن يتعلمه منهم. وأن الملكين وهما يعلمان، كانا يقولان لمريد التعلم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ (البقرة: ١٠٢).

ومما فى هذه القصة المزورة: أن سليمان النبى ﷺ كان كافرا. وذلك لأنه استخدم السحر فى الضرر، ولم يستخدمه فى النفع.

وقد نفى القرآن الكريم هذه القصة. وبين أنها مختلقة ومزورة. فقال:

١- ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾

والذين كفروا هم: العلماء الفسقة من بنى إسرائيل. وقد أطلق عليهم لقب «الشياطين» لمشابهتهم للشياطين الحقيقية فى الإضلال والشر.

٢- ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ هذا نفى لنزول الملكين. هاروت وماروت. أى ما أنزل الله عليهما من شىء، حتى ينزلا به على هؤلاء العلماء الفسقة.

٣- ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ هذا نفى لنزولهما، ونفى لتعليمهما.

وإذا نفى التعليم، ينتفى ما أشاعوه كذبا. وهو أنهما ما علما الكل، بل علما البعض؛ لأنهم زعموا: أن الواحد منهما حال التعليم كان يقول: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

وإذا نفى التعليم: نفى تبعا له: زعمهم انهم قالا لمريد التعلم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وأيضا: إذا نفى قول الواحد منهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فإنه ينتفى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ فتعليم ما يفرق: لم يحدث منهما؛ لأنهما لم يقولا: إنما نحن فتنة؛ ولم يعلما.

٤- ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أى بإيهام المريض بالضرر.

ولا يقدر أحد أن يضر إنسانا إلا بإذن الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر: ٣٨).

وفى الإنجيل: «فماذا نقول لهذا؟ إن كان الله معنا؛ فمن علينا؟» (رو٨:٣١) وفى زبور داود ﷺ: «كفوا. واعلموا: أنى أنا الله. أتعالى بين الأمم. أتعالى فى الأرض. رب الجنود معنا» (مز ٤٦: ١٠-١١) وفى سفر الأمثال: «كنوز [illegible] ـر؛ لا تنفع» (أم ١٠: ) وفى سفر التثنية: «انظروا الآن. أنا أنا هو. وليس إله معى. أنـ أميت وأحيى. سحقت وإنى أشفى، وليس من يدى مخلص. إنى أرفع إلى السماء يدى، وأقول: حى أنا إلى الأبد. إذا سننت سيفى البارق، وأمسكت بالقضاء يدى؛ أرد نقمة على أضدادى، وأجازى مبغضى. أسكر سهامى بدم، وأكل سيفى لحما. بدم القتلى والسبايا، ومن رءوس قواد العدو» (تث ٣٢: ٣٩-٤٢).

## إسلام الشيطان:

ومما يشاع بين الناس: أن الممسوس ينام فى هيئة المصروع. ويظهر صوت الشيطان من جسده للسامعين. ويقول: أنا الشيخ محمد. أو أنا كنت نصرانيا وأسلمت. وكان اسمى «كنجور» وكنت معاصرا للفراعنة أو لقوم عاد الأولى فى الزمان أو لقوم ثمود الثانية فى الزمان من بعد قوم عاد وماذا تريد؟ ثم يخدع الناس ويضيع أوقاتهم سدى. وهو كذوب فى ما يقول. ومن كذبه: قوله أنا مسلم. وذلك لأن الشيطان لا يسلم؛ لقوله تعالى عنه:

﴿لأَمْـلأَنَّ جَـهَنَّمَ مِنكُمْ﴾ (الأعراف: ١٨) وهو قد أظهر صوته لجماعة من علماء الأزهر، مدرسين فى كلية أصول الدين. على جسد ابن زميل من زملائهم، وحدثهم فى الدين، كلام دارس راسخ فى العلم، وناقشهم فى الدين مناقشات تدل على سعة اطلاعة. واستمر على هذا الحال مدة. ثم خرج ولم يعد.

ولا يصح لمسلم أن يتوجه إلى أحد؛ لعلاج المس من الشيطان. فإن قلب الإنسان كالبيت المبنى فى الخلاء بلا صاحب. إذا سكنه إنسان من أهل الله، لا يسكنه معه إنسان من أهل الشيطان. وإذا سكنه إنسان من أهل الشيطان؛ لا يسكنه معه إنسان من أهل الله. وكذا القلب. إذا عمر بذكر الله، سكنته الملائكة، وإذا عمر بوسوسة الشيطان؛ بعدت عنه الملائكة.

**ابن الحسناء:**

وقد سمعنا عن تلبس شيطان بفتى صغير السن، أو لفتاة صغيرة السن. وهما لم يعملا خيرا، ولم يعملا شرا. فما هو غرض الشيطان من ذلك؟ غرضه: أن تستعين الأم به، ولا تستعين بالله. ومن شدة حزنها على ما ألم بها؛ يوسوس لها: إن أنا فعلت بك كذا؛ فإنى أبتعد عن هذا البيت. فإذا استجابت لطلبه؛ فإنه يرى الله: أن عباده يستعينون به، ولو خليت بينى وبينهم؛ لأبعدتهم عنك بعد السماء عن الأرض.

ويتوجب على كل مسلم أن يقرأ دائما قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُـوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (سورة الناس)

---

# خاتمة

أولا: بينا: أن الإنسان ليس له «روح مفارقة» بدليل قول الله -تعالى- فى القرآن الكريم: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩) و ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ (الأنبياء: ١٠٤) ولم تكن الأرواح مخلوقة قبل خلق الأجساد. فقد صنع الله آدم من قطعة من طين الأرض، ثم جعلها جسدا صالحا لتأثير الهواء فيه، ثم أمر عليها هواء. فانتصب آدم نفسا حية.

وفى التوراة: «وجبل الرب الإله؛ آدم، ترابا من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة؛ فصار آدم نفسا حية» (تك ٢:٧) وفيها: «فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض؛ لأهلك كل جسد فيه روح حياة، من تحت السماء، كل ما فى الأرض يموت» (تك ٦:١٧) ونسمة الحياة -أو روح الحياة- هى هواء يهب على الجسد؛ فينعشه ويحييه. إذا كان الجسد صالحا لاستقبال الهواء.

وعلى أن الروح «نسمة حياة» لا يكون للجسد، روح مفارقة.

وكيفية الموت هى: عطب الجسد؛ لئلا يكون صالحا لتأثير الهواء فيه، وذلك لأن ضمور عضو من الجسد، يجعله عضوا ميتا، وإذا تلفت أنسجة خلايا الجسم؛ لا يتدفق الدم فى أماكنه. وهكذا إذا تم التلف، يتم الموت. ومن يرى إنسانا على فراش الموت، يرى أن الأعضاء التى تفسد، يخرج منها الهواء مندفعا إلى الأعضاء العليا التى تليها، حتى تفسد الأعضاء كلها؛ فيخرج الهواء بقوة من الرأس وعندئذ يموت البدن كله. ويقال: إنه أسلم الروح.

وإذا أراد الله أن يحيى الميت؛ يجمع عظامه، ويجعله جسدا، صالحا لتأثير الهواء فيه. ثم يرسل الهواء نحوه، فيدخل من أنفه، وينفذ إلى أعضائه، عضوا عضوا. فينتصب حيا بإذن الله. على الهيئة التى مات عليها. ويحضر له الله المكان والزمان والناس. الذين مات وهم من حوله. فيحيا كأنه كان نائما وصحا من النوم. ثم يلقى الله فى روعه أنه كان ميتا وحيى،، وأنه الآن فى القيامة. ثم إنه يبدأ فى تذكر حياته من أول الموت إلى أول وعيه وإدراكه بالحياة ثم يهيئه الله لئن يناقش فيما قدمت يداه. ثم يدخل الجنة أو يدخل النار.

وقد عبرت التوراة عن هذا المعنى، فى هذا النص:

«فتنبأت كما أمرت. وبينما أنا أتنبأ، كان صوت، وإذا رعش؛ فتقاربت العظام. كل عظم إلى عظمه، ونظرت، وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق، وليس فيها روح. فقال لى: تنبأ للروح يا ابن آدم، وقل للروح: هكذا قال السيد الرب. هلم يا روح من الرياح الأربع، وهب على هؤلاء القتلى؛ ليحيوا. فتنبأت كما أمرنى؛ فدخل فيهم الروح؛ فحيوا وقاموا على أقدامهم؛ جيش عظيم جدا جدا» (حز ٣٧:٧-١٠).

فقد بين: أنه نادى على الرياح. وهى الهواء. من جميع الجهات، بأن تهب على القتلى، بعد ما جمع عظامهم، وبسط الجلد عليها، وجعل أجسادهم صالحة لأن تؤثر الرياح فيها، وهبت الرياح عليهم «فحيوا وقاموا».

وحيث أن هذا هو حال «روح» أى إنسان. وكل بنى آدم يعرفون حال هذه الروح. وعلماء بنى إسرائيل يعرفون حال هذه الروح من نصوص التوراة. فإن سؤالهم عن هذه الروح يكون عبثا. إذ كيف يسألون عن روح الإنسان. وعندهم أنها «نسمة الحياة» أو «هبة هواء»؟ كيف يسألون عن شىء لهم به علم؟ وعلى ذلك يكون قول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (الإسراء: ٨٥) لا يكون المراد منه روح الإنسان. وإنما المراد منه: السؤال عن السبب فى مجىء النبى، الملقب بالروح القدس. ما هو السبب فى مجيئه، إذا كانت شريعة موسى نورا وهدى للناس؟ ورد بقوله: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ فهو وحده أعلم بمصالح المكلفين ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ من عيسى ﷺ ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ وهذه كلمات من كلامه عن محمد ﷺ: «وأما المعزى. الروح القدس. الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شىء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٤:٢٦).

ثانيا: بينا: أن الله سيحيى الموتى فى الدار الآخرة للمجازاة على الإيمان والأعمال.

فإن الله يقول فى القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون ١٥، ١٦) ولم يذكر حياة فى القبر.

ولا تقر التوراة بحياة فى القبر، وإنما تقر بحياة فى الدار الآخرة. ومن النصوص الدالة على ذلك: «ما أعظم أعمالك يا رب. كلها بحكمة صنعت. ملآنة الأرض من غناك. هذا البحر الكبير الواسع الأطراف. هناك دبابات بلا عدد. صغار حيوان مع كبار. هناك تجرى السفن. لو ياثان هذا، خلقته؛ ليلعب فيه. كلها إياك تترجى؛ لترزقها قوتها فى حينه.

تعطيها فتلتقط. تفتح يدك فتشبع خيرا. تحجب وجهك فترتاع. تنزع أرواحها فتموت، وإلى ترابها تعود، ترسل روحك، فتخلق، وتجدد وجه الأرض».

ففى هذا النص: ١- تنزع أرواحها فتموت ٢- وإلى ترابها تعود ٣- ترسل روحك فتخلق. ثلاث مراحل هى: الموت، والعودة إلى القبر، وأن الله يخلقها بروح من عنده، معبر عنه من قبل بنسمة حياة. ويقول النصارى: إن ما يفنى من الزهور والأشجار، يجدده الله. أى يخلق بدله. والحق: أنه يتكلم عن حيوانات معينة قد ماتت، وهو يريد أن يحييها بأعيانها من جديد.

ولا يقر الإنجيل بحياة فى القبر، وإنما يقر بحياة فى الدار الآخرة. ففى إنجيل يوحنا: «قالت له مرثا: أنا أعلم أنه سيقوم، فى القيامة، فى اليوم الأخير» ورد عليها بقوله: «من آمن بى، ولو مات؛ فسيحيا» وأثبت عيسى عليه السلام عذابا فى جهنم، ولم يثبت عذابا فى القبر، بقوله: «خافوا من الذى بعدما يقتل، له سلطان أن يلقى فى جهنم» (لو ١٢:٥) وأثبت نعيما فى الجنة بقوله: «لأنك تكافأ فى قيامة الأبرار» (لو ١٤:١٤).

وأعد قراءة نص التوراة عن خلق آدم عليه السلام وهو: «وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة؛ فصار آدم نفسا حية».

وأعد قراءة قول بولس: «إن لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد؛ عدم فساد» تجد أنهما نصان متعارضان. وذلك لأن نص التوراة يثبت: أن روح الإنسان هى «نسمة حياة» أو «هبة هواء» والهواء لا يستقر فى الجو. فكيف مع عدم استقراره، يقال: إن له بعثا ونعيما أو ثوابا؟ فإننا إذا قلنا بالبعث الروحانى، فإنه على هذا القول. تكون «نسمة حياة» أو «هبة هواء» هى التى يسألها الله. ويعذبها فى النار، أو ينعمها فى الجنة. وهل يعقل أحد أن يجمع الله شيئا من الرياح، ويضع الرياح أمامه؛ ليسألها. ثم يسوق هذا الشىء من الرياح إلى الجنة ويحبسه فيها، أو إلى النار، ويحبسه فيها؟ هل يعقل أحد أن يكون البعث الروحانى لرياح هابة؟ هل الهواء ينعم أو يعذب؟

وفلاسفة المسلمين الذين صرحوا بالبعث الروحانى بدون جسد المرء. لم يفطنوا إلى أن «الروح» هبة هواء، أو نسمة هواء. مع أن القرآن الكريم ينص على أنها هواء، فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (ص: ٧٢) أى: توجدته بقدرتى. وجعل الهواء سببا لحياته. ودليلا على المقدرة. والتوراة تنص على أنها هواء. والإنجيل أيضا؛ فإن المسيح عليه السلام قرأ نص التوراة وهو: «وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض... إلخ» واحتج به على أن

البعث فى الدار الآخرة للجسد والروح معا؛ لأن الروح هواء لا يستقر فى الجو؛ لأنه ليس جسما ماديا، ولا جسما روحانيا.

ولو أن المتكلمين من علماء المسلمين فى الروح والعقائد؛ تأملوا فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ...﴾ وفى قوله: «وجبل الرب... إلخ» وأدركوا أن الروح هبة هواء، والهواء لا يثبت فى الجو؛ ما كانوا قد اختلفوا فى ماهيتها. هل هى جسم مادى أم جسم روحانى؟ وهل تلف وتدرج فى الكفن أم لا؟ ما كانوا قد اختلفوا. وما كانوا يقدرون. وهى هواء لا يستقر فى مكان. على إثبات مساءلة للمرء فى القبر، ونعيم أو عذاب.

ثالثا: بينا: أن كل إنسان مسئول عن نفسه، وأن الميت لا ينتفع بأعمال صالحة، يعملها له غيره، ويهب ثوابها إليه. ففى القرآن الكريم: ﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يس: ٥٤) يعنى باليوم؛ يوم القيامة. لا أيام القبر. وفى التوراة: «كل إنسان بخطيته؛ يقتل» (تث ٢٤:١٦) «ذنبها عليها» (٣١:١٥) وفى الإنجيل يقول: عيسى عليه السلام لعلماء بنى إسرائيل الذين كفروا به: «يا أولاد الأفاعى. كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات، وأنتم أشرار؟ فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح، من الكنز الصالح فى القلب؛ يخرج الصالحات. والإنسان الشرير، من الكنز الشرير؛ يخرج الشرور. ولكن أقول لكم: إن كلمة بطالة، يتكلم بها الناس؛ سوف يعطون عنها حسابا، يوم الدين؛ لأنك بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان» (متى ١٢:٣٤-٣٧).

رابعا: بينا: المغزى والهدف من قول «بولس» فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس وهو: «إن لحما ودما؛ لا يقدران أن يرثا ملكوت الله» وبينا: أنه معارض بقول عيسى عليه السلام: «تعالوا يا مباركى أبى، رثوا الملكوت، المعد لكم، منذ تأسيس العالم».

وبينا: أن كتب الأنبياء وافقت كتاب التوراة فى أن الروح هواء. ونذكر هاهنا قول المسيح عيسى عليه السلام فى الفرق بين الجسد والنفس والحس. ونبين موافقته للتوراة والأنبياء:

**فى سفر الحكمة:**

«فإنهم بزيغ أفكارهم، قالوا فى أنفسهم: إن حياتنا قصيرة شقية، وليس لممات الإنسان من دواء، ولم يعلم قط: أن أحدا رجع من الجحيم. إنا ولدنا اتفاقا، وسنكون من بعد، كأنا لم نكن قط؛ لأن النسمة فى آنافنا دخان، والنطق شرارة من حركة قلوبنا. فإذا انطفأت، عاد الجسم رمادا، وانحل الروح كنسيم رقيق، وزالت حياتنا كأثر غمامة،

واضمحلت مثل ضباب، يسوقه شعاع الشمس، ويسقط بحرها. وبعد حين ينسى اسمنا، ولا يذكر أحد أعمالنا. إنما حياتنا ظل يمضى، ولا مرجع لنا بعد الموت، لأنه يختم علينا؛ فلا يعود أحد» (حك ٢:١-٥).

انظر إلى قوله: «وانحل الروح كنسيم رقيق» أى أن «الروح» عنده، هواء فى الجسم. وهو يخرج منه حال الموت. ويختلط بهواء الجو. الذى يثير الأتربة والزوابع والأعاصير، ويستنشقه الأحياء على الأرض.

وقوله إن «الروح» هواء. أخذه من توراة موسى ﷺ وهو: «وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية» (تك ٢:٧) فإن «نسمة حياة» هى هواء معبر عنه بالنسمة. فالجسم: طين. والروح: هواء. وهما معا: نفسا حية. ولا بقاء لأحدهما من غير الآخر. وهما يوجدان معا، ويعدمان معا. لكن الجسد والروح فى نظر الناس: شيئان منفصلان. ولذلك يقول بعضهم: ببقاء الأنفس من بعد موت الأبدان.

ونص التوراة يكذبهم: وذلك لأنه بين أن «الروح» هبة هواء. والهبة قد أحيت جسما. ولما هلك، خرجت الهبة لتذوب مع هواء الحياة الدنيا، كالدخان الذى يتجمع ويعلو ويسد الأفق، ثم يضمحل رويدا رويدا، ويتلاشى كأن لم يكن.

وقد قال المسيح ﷺ: إن الجسد والهواء هما فى مرأى النظر اثنان. ثم صارا شيئا واحدا هو «النفس» واستدل على ذلك بآية سفر التكوين وهى: «وجبل الرب الإله آدم...» ولما صار آدم نفسا حية. صار من خصائص «النفس» إحساس. إحساس. بالشم واللمس واللذة والألم. والحواس تتكامل بتكامل الأعضاء، وتنقص بنقصها. فالأعمى لا حاسة له، والأطرش لا حاسة له. وفرق المسيح بين خصائص الجسد والروح والحواس. فقال: إن الجسد يشتهى المطعومات وأفعال البر. وإن الحواس تعرض وتزول. من الخوف والفرح

والفزع والقلق. وقال: إن بعض الفلاسفة يقسم النفس إلى غاذية[1] وعقلية ونباتية، ويقولون للعقلية روحًا. ولغيرها روح. وبين أن للجسد كله روح. وهى التى تظهر التفرقة

(١) «ولأن النبات يغتذى بذاته؛ فله قوة غاذية. ولأن النبات ينمى بذاته، فله قوة منمية. ولأن من النبات ما يولد المثل، ويتولد عن المثل بذاته؛ فله قوة مولدة. والقوة المولدة غير الغاذية؛ فإن الفج من الثمار، له القوة الغاذية، دون المولدة...

ومعلوم مما سلف: أن جميع الأفعال النباتية والحيوانية والإنسانية؛ تكون من قوى زائدة على الجسيمة، بل وعلى طبيعة المزاج. ويلى النبات؛ الحيوان» (ص ١٩٦ النجاة لابن سينا).

والتقسيمات فى مرأى النظر. وإذا مات الإنسان، خرجت منه الروح. التى هى هبة هواء. ويوم القيامة. يخلق الله العظام ويكسوها لحما ويبسط الجلد عليها. ثم يأمر الهواء بأن يسير نحو الأجساد؛ فيأخذ كل جسد هبة الهواء. فينتصب ويصير نفسا حية، كما كان فى الحياة الدنيا. والمدة من الموت إلى القيامة هى فى نظر الناس مدة، وهى فى نظر الله ﴿عشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات: ٤٦).

وقال المسيح: إن الله لا يرجع الروح إلى الجسد من بعد موته، فى الدنيا؛ إلا لمعجزة، خارقة للعادة، تدل على قدرته. كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها، وكأهل الكهف، وكإحياء «لعازر» و «ابن الأرملة» و «ابنة يايروس».

واستدل المسيح على أنه لا حياة فى القبور، ولا نعيم، ولا عذاب؛ بقول داود ﷺ: «تنزع أرواحها فتموت، وإلى ترابها تعود ترسل روحك؛ فتُخلق، وتجدد وجه الأرض» (مز ١٠٤: ٢٩-٣٠) وفى ترجمة : «تنزع أرواحها؛ فتسلم الروح» وفى المزمور ١٤٦: ٤: «تخرج روحه؛ فيعود إلى ترابه».

خامسا: بينا: أن عيسى ﷺ قال للحواريين: «وأنا لست بعد فى العالم» (يو ١٧: ١١) وأنه ذكر علامات لظهور محمد ﷺ، قال النصارى فيها: إنها ستحدث من قبل مجيئه الثانى قرب القيامة. وهى: قيام حروب بين الأمم، وحدوث مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن، وظهور أنبياء كذبة، وانتشار الإنجيل شهادة لجميع الأمم بظهور محمد ﷺ الذى عبر عن ملكوته بملكوت السموات. وخراب مدينة أورشليم، التى عبر عنها النبى دانيئال برجسة الخراب. وقال المسيح: إن حربا ضروسا ستكون حين تأسيس ملكوت السموات فى «أورشليم» «ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء، بقوة ومجد كثير».

سادسا: بينا: كيف يزول التصوف؛ وكيف يزول اللاهوت من العالم. بنفى الروح المفارقة.

سابعا: وقد جاء فى الأساطير: أن الناس وضعوا ميتا فى قبر، فخرجت منه حية، وهمت بابتلاعه. فنقلوه إلى قبر آخر، فوجدوا فيه الحية نفسها. وهى تريد أن تبتلعه بقوة. وجاء فيها: أنهم بعدما دفنوا امرأة صالحة، وسدوا عليها باب القبر؛ شاهدوا طائرا اخضر، قد خرج من القبر، وطار فى الهواء.

وعللنا هذا: بأنه من فعل الشياطين ببنى آدم؛ لصرفهم عن الحق. وذلك بأن الشيطان هو الذى يتشكل فى شكل حية أو ثعبان أو طائر؛ ويفعل ما يفعل. ليظن الجهال

بالدين أنها حية حقيقة أو ثعبان حقيقى أو طائر حقيقى. وأن هذا يدل على سوء الخاتمة أو حسن الخاتمة. والشيطان يهدف من وراء ذلك: إلى إثبات الصلاح للميت؛ ليعتقد الناس أنه من أولياء الله؛ فيطلبون منه حوائج، ويشتفعون به، ويعملون له مولدا، كل سنة، ويحجون إليه من جهات بعيدة وفى ذلك كله؛ مخالفات للشريعة؛ يحبها الشيطان ويدعو إليها.

وقد يكون الميت من عصاة المسلمين الذين تابوا. ويريد الشيطان أن لا يثبت له قبول توبة، فيخدع الناس فيه من بعد موته بظهوره فى جسد حية أو ثعبان.

وقد وضح هذا شيخ الإسلام ابن تيمية الحرانى، فى الجواب الصحيح.

---

**تم الكتاب ولله الحمد**

# الفهرس

# إصدارات مكتبة النافذة فى مقارنة الأديان

| اسم الكتاب | المؤلف |
|---|---|
| الله واحد أم ثالوث | د. المستشار / محمد مجدى مرجان |
| المسيح إنسان أم إله | د. المستشار / محمد مجدى مرجان |
| محمد ﷺ نبى الحب | د. المستشار / محمد مجدى مرجان |
| بذل المجهود في إفحام اليهود | السموأل بن يحيى المغربى |
| النصرانية والإسلام | المستشار / محمد عزت الطهطاوى |
| محمد ﷺ نبى الإسلام (في التوراة والإنجيل والقرآن) | المستشار / محمد عزت الطهطاوى |
| لماذا أسلم هؤلاء | المستشار / محمد عزت الطهطاوى |
| الإنجيل والصليب | الأب / عبد الأحد داود الأشورى |
| سر مريم | حسنى يوسف الأطير |
| عقائد النصارى الموحدين | حسنى يوسف الأطير |
| المواجهة بين القرآن والإسرائيليات | حسنى يوسف الأطير |
| البدايات الأولى للإسرائيليات في الإسلام | حسنى يوسف الأطير |
| المذهب الدهرى عند العرب | حسنى يوسف الأطير |
| على هامش الحوار بين القرآن واليهود | حسنى يوسف الأطير |
| شبهات مسيحية معاصرة حول الإسلام ( حائرون أم معاندون ) | حسنى يوسف الأطير |
| تقويم الاعتقاد بين القرآن والنصارى الموحدين | حسنى يوسف الأطير |
| تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب | أنسلم تورميد (الشهير : بعبد الله الأندلسي) |
| المناظرة الكبرى فى مقارنة الأديان | د محمود علي حماية |
| التثليث (بين الوثنية والمسيحية) | د محمود علي حماية |

| اسم الكتاب | المؤلف |
| --- | --- |
| دراسات فى الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) | د محمود على حماية |
| يأجوج ومأجوج بين التوراة والقرآن | د. أحمد حجازى السقا |
| أهل الكهف (بين الإسلام والمسيحية ) | د. أحمد حجازى السقا |
| يوحنا المعمدان (بين النصرانية والإسلام ) | د. أحمد حجازى السقا |
| الصابئين (الأمة المقتصدة ) | د. أحمد حجازى السقا |
| الأرواح وحياة القبور( بين المسلمين وأهل الكتاب) | د. أحمد حجازى السقا |
| هيكل سليمان (عند المسلمين وأهل الكتاب) | د. أحمد حجازى السقا |
| معركة هرمجدون ونزول عيسى والمهدى المنتظر (فى التوراة والإنجيل ) | د. أحمد حجازى السقا |
| بروتوكولات حكماء صهيون وأصولها التوراتية والتلمودية | د. أحمد حجازى السقا |
| تاريخ العرب القديم (من سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ ) | د. أحمد حجازى السقا |
| نقد التوراة (أسفار موسى الخمسة ) | د. أحمد حجازى السقا |
| الحج إلى الكعبة (فى التوراة والزبور والإنجيل والقرآن) | د. أحمد حجازى السقا |
| الكنز المرصود فى قواعد التلمود | د. روهلنج / شارل لوران ترجمة : يوسف حنا نصر الله |
| الرد على أصناف النصارى | على بن ربن الطبرى |
| المناظرة التاريخية (بين الشيخ رحمة الله الهندى والقس بافندر ) | تحقيق د . أحمد حجازى السقا |
| إظهار الحق | الشيخ رحمت الله الهندى |

| اسم الكتاب | المؤلف |
|---|---|
| الفارق بين المخلوق والخالق | للأستاذ عبد الرحمن أفندى بلجة جى زادة |
| رسالة في اللاهوت والسياسة | سبينوزا ـ ترجمة : حسن حنفي |
| القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم | موريس بوكاى |
| هرمجدون | محمود النيجيرى |
| العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية | محمد طاهر التنيرى<br>تحقيق وتقديم : د. أحمد السايح<br>المستشار : توفيق على وهبة |
| نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية | د محمد توفيق صدقى |
| أقانيم النصارى | د . أحمد حجازى السقا |
| تاريخ اليهود فى بلاد العرب | د إسرائيل ولفنسون |
| الإسلام والنصرانية | الإمام : محمد عبده<br>تقديم : د. محمد عمارة |
| الانتصارات الإسلامية فى علم مقارنة الأديان | الطوفى الحنبلى |
| المسلمون في إنجيل متى | د . ممدوح جاد |
| المسيح فى الإنجيل بشر | د . ممدوح جاد |
| القرآن وتصديق التوراة والإنجيل | د . ممدوح جاد |
| إنجيل يوحنا مؤيد للعقيدة الإسلامية | د . ممدوح جاد |
| مملكة الله (محمد ﷺ وآله) فى إنجيلى مرقس ولوقا | د . ممدوح جاد |








مكتبة النافذة